وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

العنوان:

أثر ديانة وادي الرافدين على الحياة الفكرية سومر وبابل 3200-539 ق.م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم

- إعداد الطالب:
بلخير بقة

- إشراف الأستاذ:
د. بلقاسم رحماني

لجنة المناقشة:

- **إبراهيم العيد بشي.. رئيسا**
- **أحمد سليماني.. عضوا**
- **السعيد دلوم.. عضوا**
- **بلقاسم رحماني.. مقررا**

الموسم الجامعي: 2009/2008

شكر

أشكر الله العلي القدير وأحمده حمدا كثيرا الذي أمدني بالقوة والعزيمة لإنجاز هذا العمل المتواضع. ثم الشكر والتقدير لأستاذي المشرف الدكتور
بلقاسم رحماني
الذي لم يبخل عليّ يوما بتوجيهاته ونصائحه القيّمة، وصبره عليّ، ومساندته لي من أجل إتمام هذا العمل الذي سطره من بدايته إلى آخر نقطة وُضعت فيه رغم انشغالاته الكثيرة، فكل الشكر لك أُستاذي.

وأجد لزاما عليّ هنا أيضا توجيه عظيم الشكر للجنة المناقشة لتفضلها بقبول مناقشة هذا العمل المتواضع.

كما اشكر أساتذة وموظفي قسم التاريخ، بالإضافة إلى عمال المكتبة الجامعية خاصة سمير. ومداني

كما أُوجه شكري إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذا البحث.

الإهداء

إلى التي سهرت من أجل إسعادي، وتعزّبت من أجل راحتي، وضحت بالغالي من أجل تعليمي، إلى التي لولاها لما كنت لأكون، إلى سر وجودي وأصل كياني، إلى رمز الحب والحنان، إلى أجمل وأروع ما في الكون

إلى حبيبة قلبي أمي الغالية.

إلى من هيأ لي طريق المستقبل، وساعدني من أجل مواصلة المشوار وكان له الفضل في نجاحي أبي العزيز.

إلى من علموني معنى الصبر، واحترقوا من أجل إنارة دربي، إلى من تتأجج براخلهم انتظار زهرة عملي هذا أن تثمر: إخوتي وأخواتي، وإلى الكتكوتين: أسامة ومحمد لمين.

إلى من أنجبتهم الدنيا إخوة لي وبادلوني الحب يومًا فأسعدهم نجاحي

سامو، تومي، عبدو...

إلى كل من يعرفني من قريب أو بعيد.

إلى أرواح شهداء الرافدين وفلسطين..

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع.

بلخير بقة

مقدمة

مقدمة:

إن ما جاءت به الحضارة الإنسانية من إبداعات خلاقة إلى يومنا الحاضر تعود إلى العمل الدؤوب والمستمر الذي مارسه الإنسان منذ وجوده على الكرة الأرضية فكل ما أنتجه منذ أقدم العصور ولحد الآن هو ما تتطلبه الحاجة إليه، فأدوات العمل والرسومات والنصب والتعاويذ والتراتيل والرقصات... لا بل كل ما له علاقة بحياته كانت وسيلة لصراع الإنسان مع الطبيعة ومن أجل الحياة، وكل ما حصل عليه الإنسان من قيم حضارية ومكتشفات جاءت من خلال مواصلته للعمل الذي خلفه سلفه، ولولا هذا العمل لما استطاع الإنسان أن يصل إلى هذا المستوى الحضاري الذي وصل إليه اليوم.

وباعتبار أن حضارة وادي الرافدين جزء من هذه الحضارة فقد عمل إنسانها عند انتقاله إلى طور الحضارة، وبعد أن توفرت له أسباب العيش والحياة الحضرية شرع ينظر في هذا الكون ويفكر في الحياة البشرية ومعانيها وقيمها, فبدأ يحاول التعبير عما خالجه من ظواهر الكون وسلك للتعبير عن أغراض تفكيره سبلا مختلفة فتارة ينظر إلى الأشياء والطبيعة نظرة موضوعية عملية فيستفيد من إمكانياتها وتسخيرها له, فنشأت المعارف وبذور العلم وتارة أخرى كان ينظر إلى الأشياء نظرة أسطورية خيالية فيضفي الحياة على الأشياء الجادة فيعبر عن الحياة تعبيرا خياليا فنيا على هيئة قطعة أدبية نسميها تصويرا أو قصة أو أسطورة، أو على هيئة مشاهد فنية كالنحت والعمارة والموسيقى..

ويبدو أن ما وصل إليه الإنسان في كل من سومر وبابل من منجزات ساعدته على توفير الاطمئنان لنفسه، وساعدته كذلك في التغلب على كثير من الصعاب والأخطار التي حاقت به، ومما ساعده على التدرج الحضاري اعتدال المناخ وملائمة مناطقه المختلفة لحياة الاستقرار ومكنت إنسان هاتين المرحلتين المبكرتين من الوصول إلى أسباب التقدم، وعليه ارتبطت نشأة المجتمع وتاريخه فيهما ارتباطا وثيقا بعوامل البيئة الجغرافية، فالإنسان والبيئة يرتبط كل منهما بالآخر ارتباطا وثيقا، والحضارة ما هي إلا نتيجة مباشرة لتفاعل جهود الإنسان ومؤثرات البيئة تفاعلا تتطور مظاهره من عصر لآخر، حيث يستفيد الإنسان من البيئة ويسخرها بإمكانياته لصالحه.

ويكمن متابعة آثار وبصمات هاتين الفترتين من حضارة وادي الرافدين، فعلاوة على المخلفات المادية كالعمارة من معابد وزيقورات وتماثيل ومسلات.. كذلك يمكـن ملاحظـة الأساطير والملاحم الأدبية، ومنجزات العلوم كالفلك والطب والرياضيات..

ويبدو أن هذه المنجزات لم تكن من باب الصدفة التاريخية بقدر ما عبرت عن ظاهرة نفسية تاريخية رافقت جميع الحضارات القديمة بصفة عامة، ظاهرة نشأت مع السومريين وتطورت وتبناها البابليون.

وبناء عليه نجد أنفسنا أمام التساؤلات التالية:

- ما طبيعة هذه الظاهرة؟
- إلى أي حد تركت الديانة في سومر وبابل بصماتها على المنجزات الفكرية؟
- وما مدى فاعلية الدين على تطورات الأدب والعلوم والفنون؟
- وهل كان للتطور الفكري علاقة بتغير المعتقدات الدينية؟

وقد كان للمنجزات التي خلفها الرافديون وبالتحديد ما تركته الحـضارتان الـسومرية والبابلية والتي عد بعضها ضمن عجائب الدنيا، وكذا اهتمامي الخاص بموضوع الديانات أن دفعاني إلى اختيار هذا الموضوع والربط بين هذه المنجزات العظيمة والمعتقدات الدينية التي رافقتها والبحث في جوهر هذه العلاقة، وعلى ذلك فإن أهمية هذا البحث تكمن فـي دراسـة المعتقدات الدينية والكشف عن خصوصياتها باعتبارها محركا ذا إفـرازات توضـح بنائيـة الحياة الفكرية، ومتابعة آثارها وبصماتها، ومن هنا يصعب علينا فهم هذا التأثير قبل دراسـة العقيدة الدينية دراسة تتصف بالعمق والشمولية، وكذا التمحيص في المنجزات الفكرية وفهمها مما يسهل علينا الوصول إلى أهم الأثار التي تركتها المعتقدات الدينية على فكر الإنسان فـي سومر وبابل، وهذا هو الهدف من هذه الدراسة، مع اختيار سومر وبابل كنمـوذج للدراسـة كون الاعتقاد نشأ في سومر وتطور في أحضان بابل، كما أن البـابليين اعتبـروا الورثـة الحقيقيين للحضارة السومرية دون غيرهم, وتشمل هذه الدراسة الفترة الممتدة ما بين 3200-539 ق.م أي من تاريخ ظهور الكتابة إلى غاية سقوط بابل على يد الفرس.

وتتطلب الدراسات من هذا النوع إتباع المنهج الوصفي والتحليلـي وذلـك بعـرض الجوانب الأساسية في المعتقدات الدينية، ثم تحليل هذه المعطيات قدر الإمكان اسـتنادا إلـى

المادة العلمية الموجودة ثم الخروج باستنتاجات وإجابات تزيح الغموض عن الاستفسارات وعليه فالمنهج المتبع أراه ربما أنجع الطرق لتحقيق المبتغى من الدراسة، والمنهج الوصفي يقوم على جمع المادة التاريخية وتصنيفها وتدوينها من أجل معرفة أثر العوامل المتفرقة على أحداث الظاهرة محل الدراسة من اجل استخلاص النتائج، أما التحليلي فهو يكشف لنا الأسباب والعلل ويتيح لنا قراءة لما بين الأسطر في المجريات والوقائع التاريخية ومنه تبسيط الطريق إلى الحقيقة التاريخية ليست المطلقة وإنما النسبية الأقرب إلى الصدق إذا أمكن لنا ذلك.

وللإجابة على التساؤلات المطروحة فقد اعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

القرآن الكريم: هو كلام ا ووحيه المنزل على خاتم الأنبياء محمد ﷺ المكتوب في المصحف المنقول إلينا بالتواتر ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ [1]، فبالرغم من أن القرآن الكريم ليس كتاب تاريخ كما ذهب إليه العديد من المستشرقين إلا أنه تناول العديد من قصص الأنبياء، والملاحظ أن القرآن الكريم انتهج منهجا مغايرا في قصصه على غرار العهد القديم ففي حين نرى العهد القديم يقص علينا جميع قصص الأنبياء اقتصر القرآن على البعض وأعرض عن البعض الآخر لأن هدفه هو العبرة للمصدقين، ومن تلك القصص التي شهدتها أرض وادي الرافدين قصة سيدنا يونس وسيدنا ابراهيم، وحادثة الطوفان مع نوح عليه السلام...، كما اشتمل القرآن الكريم على حقائق أسرار الكون التي تتوافق مع المكتشفات العلمية.

العهد القديم: ينقسم العهد القديم إلى أربعة أقسام هي: التوراة أي الشريعة (وتنقسم هي الأخرى إلى خمسة أسفار)، الأسفار التاريخية, الأسفار الشعرية وكتب الأنبياء، وتجمع الروايات اليهودية والمسيحية أن النبي موسى هو كاتب التوراة الحالية، وهذا ما جعلها في صدر العهد القديم من حيث ترتيب المؤلفين والترتيب الزمني ومحتوى مادتها، وأن بقية

---

(1)- سورة الشعراء، الآية 192-195.

أسفار العهد القديم أُلفت بالترتيب الذي نراه اليوم، غير أن التوراة التي نعرفها اليوم أخذت صورتها النهائية خلال الأسر اليهودي في بابل ما بين 586-539 ق.م، وهذه التوراة هي التي قرأها الكاهن عزرا على الشعب في أورشليم لأول مرة بعد السبي، وهذا هو السبب الذي يجعل من العهد القديم مصدرا مهما لدراسة حضارة وادي الرافدين, لأن مؤلفيه اقتبسوا الكثير من الأساطير والحقائق من هذه الحضارة ووظفوها في تدوينهم للعهد القديم.

هيرودوت Hérodote: (484-425 ق.م) أشهر مؤرخي الإغريق، والمعروف أيضا باسم أبو التاريخ، لأنه أول من كتب مؤلف تاريخي"التواريخ" بمنهجية وبمصداقية, على الأقل أفضل ممن سبقوه، وحتى بعض المؤرخين في العصور اللاحقة، ولد في هاليكارناوس ونفيت عائلته من المدينة بعدما قاومت طاغيتها الذي كان عميلا للفرس، كما يمثل مع ثوكيديديس أهم المؤرخين في القرن الخامس ق.م، قام برحلات عديدة الى مختلف مناطق العالم منها بابل التي رأى معالمها. وقد قام هيرودوت بتدوين كل ما سمعه وسجل كل ما رآه، وقد ألف كتابه حوالي 444 ق.م وقسمه إلى تسعة أجزاء، تحدث في الجزء الأول عن بابل وأشور, وذلك في الفصول من 177-200, حيث وصف جغرافية المنطقة، وأهم مدنها والأحداث التي تعرضت لها وبعض المعابد، وتحدث عن بعض العادات والتقاليد..

سترابون Strabon: (57 ق.م-24م) ولد في كابادوقيا Cappadoce بآسيا الصغرى، وهو في الأصل جغرافي، وقد ترك لنا فصولا عدة من كتابه في الجغرافية والذي أكمله حوالي 23م أي قبل وفاته بسنة واحدة عن بلاد الرافدين، وقد تجول سترابون في مناطق كثيرة من العالم والتي كتب عنها مثل بلاد اليونان، آسيا الصغرى (مسقط رأسه)، ايطاليا، بلاد الغال واسبانيا... وادعى أنه كان في مصر وبذلك كان اعتماده على من كتب من العراق من جغرافيي اليونان، وقد وصف في الكتاب السادس عشر من جغرافيته بلاد آشور وبابل والأقسام الأخرى من العراق القديم، وقد أخبرنا أنه اعتمد في كتابته عن العراق على كتابات ايراستينيس Eratosthenes (275-195 ق.م)، وبوسايدوينوس Poseidonius (ولد في 135 ق.م).

بالإضافة إلى هذه المصادر فقد اعتمدت أيضا على بعض المراجع المهمة التي تناولت هذه الحضارة بالتفصيل، منها كتابات المؤرخين العراقيين، كمؤلفات المؤرخ وعالم الآثار

طه باقر (1912-1984 م) أبرزها: مقدمة في تاريخ الحضارات-تاريخ العراق القديم- وكتاب مقدمة في تاريخ الأدب، وهناك كتابات فاضل عبد الواحد علي مثل: من سومر إلى التوراة، سومر أسطورة وملحمة، وأيضا الأجزاء الأربعة الأولى من كتاب حضارة العراق الصادر سنة 1985 م عن نخبة من مؤلفي العراق، وكانت مجلة سومر الصادرة عن مديرية الآثار العراقية بداية من 1945 م الدورية الأهم التي اعتمدت عليها في هذا البحث، هذا بالإضافة الى كتب أخرى عديدة منها ما كتب بالعربية، ومنها ما هو مترجم، وهناك الأجنبي، كما اعتمدت أيضا على العديد من المواقع الالكترونية التي أعانتني في الحصول على الملاحق من صور وخرائط وأشكال...

ويشتمل هذا البحث على أربعة فصول وفصل تمهيدي حيث تناولت في هذا الأخير بعض الجوانب الرئيسية في حضارة وادي الرافدين والتي أرى أنها أساسية في أي دراسة من هذا النوع، لذلك جاء عنوانه على النحو التالي: الإطار التاريخي والجغرافي لحضارة وادي الرافدين، حيث تابعت فيه التسميات التي أعطاها المؤرخون لهذه الحضارة منذ أقدم العصور إلى آخر تسمية وهي العراق, ثم تطرقت إلى موقع هذه الحضارة والأهمية التي يتميز بها، فالمراحل التي مرت بها الحضارة وأهم الأحداث السياسية التي شهدتها.

وتحدثت في الفصل الأول عن ديانة وادي الرافدين, حيث تطرقت في المبحث الأول إلى نشأة المعتقد الديني وتطوره في حضارة وادي الرافدين بصفة عامة، وعنونت المبحث الثاني بـ: الآلهة وخصائص الديانة وهو الآخر قسمته إلى مطلبين: الأول للآلهة التي تناولتها حسب التقسيم المتعارف عليه (آلهة الكون، الفلك، الوطنية، الطبيعة)، حيث أعطيت ثلاثة آلهة لكل نوع مع مراعاة الأهمية والشهرة في تعديدها، والثاني لأهم الخصائص والمميزات التي تميزت بها الديانة في هذه الحضارة، وفي المبحث الثالث تناولت طقوس الديانة وقد قسمتها حسب الأهمية من طقوس يومية (كالصلاة، والتطهير، تقديم القرابين..)، وطقوس المناسبات مثل الطقوس الجنائزية، ثم الطقوس الدورية وأهمها الاحتفالات والأعياد...

أما الفصل الثاني فتناولت فيه أحد الجوانب الفكرية لدى السومريين والبابليين, وهو الأدب وعنونته بـ المضامين الدينية التي تناولها الأدب، وقد قسمته إلى محورين رئيسين، الأول خصصته للكتابة لأنه من غير الممكن الحديث عن التطورات الفكرية دون المرور بأحد أبرز

هذه المنجزات على الإطلاق والتي لولاها لما وصلنا هذا التراث الهائل من أدب وعلوم وفنون، وتعرضت فيه لظهور الكتابة في المعبد حيث قصدت التطرق إلى فضل المعبد والديانة بصفة عامة في نشأة وسيلة التدوين، ثم تناولت المراحل التطورية الثلاث التي مرت بها الكتابة، بعدها عددت أهم الاكتشافات الأثرية التي كانت وراء حل رموز الكتابة المسمارية.

وفي المحور الثاني من هذا الفصل تطرقت إلى الموضوعات الدينية التي تناولها الأدب، وقسمته إلى أربع نقاط رئيسية، حيث حاولت إعطاء بعض النماذج من كل نوع من الأدب وتبيين أثر الدين فيه، وراعيت في الترتيب تأثير الدين في كل نوع، بداية بالأسطورة ثم الملاحم وقصص البطولة، فالتراتيل والأدعية، وأخيرا الأمثال والحكم.

ولأن العلوم عنصر فعال ومهم، ولأنها عبرت عن أحد النواحي الفكرية لدى السومريين والبابليين, فقد أوردتها في الفصل الثالث من هذا البحث بعنوان تأثير الدين على العلوم، حاولت فيه إعطاء بعض النماذج لأهم العلوم التي يبرز فيها دور وتأثير الدين، لذلك قسمته إلى أربعة مباحث أساسية: الأول علاقة الدين بالتاريخ والجغرافيا، تناولت فيه كل عنصر على حدى، وفي المبحث الثاني جاء بعنوان الأبعاد الدينية لظهور الحساب، الذي تناولته في نقطتين: الأولى تحدثت فيها عن البعد الديني لظهور الحساب، وفي الثانية الجداول والمسائل الرياضية، وجاء المبحث الثالث بعنوان: علاقة الدين بالفلك وأبرزت فيه دور المعتقد الديني في مطلبين: الأول عبادة الأجرام السماوية، والثاني التنجيم والفلك، أما الرابع فأوردت فيه ارتباط الدين بالطب، وقد قسمته إلى ثلاثة مطالب: سبب المرض، الأطباء والكهنة، وأخيرا النصوص الطبية.

أما الفصل الرابع والأخير فقد خصصته للوجه الآخر للفكر ألا وهو الفن وقد اتخذت له العنوان التالي: أثر الدين على الفن، ولإبراز علاقة الدين بالفن فقد قسمته إلى أربعة مباحث، تناولت في كل مبحث من مباحثه أحد أنواع الفنون التي عرفت في سومر وبابل وإبراز أثر الدين فيه، ففي المبحث الأول تناولت العمارة، بقسميها الدينية والدنيوية وذلك في مطلبين، والمبحث الثاني تطرقت إلى النوع الثاني من الفنون ألا وهو النحت، وهو الآخر قسمته إلى مطلبين تناولت فيهما نوعي النحت المجسم والبارز, وكالعادة حاولت قدر الإمكان

إبراز أثر الدين فيهما من خلال تحليل بعض الأمثلة عنهما، أما المبحث الثالث من هذا الفصل فتعرضت فيه إلى الفنون التطبيقية ودراسة أثر الدين فيها، أما في المبحث الرابع فتناولت فيه الموسيقى.

و في نهاية البحث توصلت إلى مجموعة من النتائج أوردتها ضمن الخاتمة وكانت بمثابة استنتاجات حول ما جاء في موضوع البحث، وقد ألحقت الدراسة بمجموعة من الملاحق تضمنت، أشكال، خرائط، صور لبعض المعابد والتماثيل... التي تحدثت عنها في البحث والتي ستساهم ربما في إثراء هذا البحث المتواضع.

ويمكن القول أن موضوع أثر الدين على الحياة الفكرية موضوع تاريخي فلسفي وهو ما زاد من صعوبة هذه الدراسة كما كان لاتساع الموضوع في مقابل نقص المراجع والاعتماد على المصادر الكتابية دون المادية التي تعتبر أساسية من أجل الوصول إلى نتائج مهمة, من أهم الصعوبات التي واجهتني في إعداد هذه الدراسة، والأكثر من ذلك هو تداخل معطيات الموضوع وصعوبة فصلها مما اضطرني في كثير من الأحيان للجوء الى التكرار.

أخيرا فإنني أرجو أن أكون قد وفقت فيما كنت أصبوا إليه, وما توفقي إلا با عليه توكلت وإليه أُنيب, وا أسأل أن يلهمني الصواب والتوفيق والسداد.

الفصل التمهيدي: الإطار التاريخي والجغرافي لحضارة وادي الرافدين

1- التسمية

2- الموقع

3- مراحل الحضارة

أ- السومريون

ب- الأكديون

ج- البابليون

د- الأشوريون

ه- الكلدانيون

1. التسمية:

اختلف الباحثون في أصل كلمة "عراق" حيث نجد عدة آراء حول أصل التسمية فهناك فريق يرى أن كلمة عراق عربية الأصل ومعناها الشاطئ، فالبلاد القريبة من البحر هي عراق ولكون المنطقة شاطئا لنهري دجلة والفرات أطلق عليها هذا الاسم، ولها أيضا معنى الجبل أو سفح الجبل، ويرى فريق آخر أن كلمة عراق ترجع في أصلها إلى لغة قديمة إما تكون سومرية أو لقوم من غير الساميين الذين استوطنوا المنطقة في عصور ما قبل التاريخ وهي مشتقة من كلمة أوروك أو أنوك التي تعني المستوطن، وهذه الكلمة سميت بها المدينة السومرية الوركاء كما أن الكلمة نفسها تدخل في تركيب أسماء عدة مدن أخرى قديمة مثل أور، وهناك من يرى أن أصل الكلمة أجنبي وتعني إيراء أي الساحل، وقد عربت إلى إيراق ثم عراق[(1)].

ويرجح طه باقر أن كلمة عراق من أصل فارسي والتي تعني السهل أو السواد أو البلاد السفلى وهي معربة عن كلمة ايراك، أما عن تاريخ أول استعمال لكلمة عراق فقد ورد في العهد الكشي –البابلي الوسيط- في وثيقة ترجع في تاريخها إلى حدود القرن الثاني عشر قبل الميلاد وجاء فيها اسم إقليم على هيئة أريقا[(2)].

والعراقيون القدماء لم يطلقوا مصطلح أورك أو عراق على القطر أو على جزء منه بل كان ملوكهم في عصر فجر السلالات يلقب كل منهم نفسه بلقب حاكم المدينة التي يحكمها وأطلقوا على بلادهم عدة تسميات حسب الفترات التاريخية, فأطلقوا على جنوب العراق في فجر تاريخه التسمية "مات شومري" التي تعني سومر بالأكدية أما في اللغة السومرية فكانت ((ki-en-gi (r))[(3)] التي تعني أرضا زراعية أو بلاد القصب، ومنذ أواسط الألف الثالث ق.م عندما تأسست أكد عاصمة للدولة الأكدية أطلق على القسم الأوسط من العراق بدءا من شمال بغداد قليلا إلى الجنوب مدينة بابل (بلاد أكد)، ومنذ الألف الثاني ق.م استخدم مصطلح بابل

(1)- تقي الدباغ وآخرون،**البيئة الطبيعية والإنسان، حضارة العراق**، ج1، دار الحرية، بغداد، 1985، ص 13-14.

(2)- طه باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة -تاريخ العراق القديم-**، ط2، دار المعلمين العالمية، بغداد، 1955، ص 76. الهامش رقم (1).

(3)- نفسه، ص 90.

نسبة إلى مدينة بابل للدلالة على بلاد سومر وأكد، بينما سمي الجزء الشمالي بـبلاد أشـور نسبة إلى عاصمتها أو إلهها أشور، وعرفت ببلاد سوبارتو[1] قبل مجيء الأشوريين[2].

وكان هيرودوت أول من استعمل مصطلح بلاد بابل وأشور للدلالة على العراق كافة كما استعمل مصطلح كالدية نسبة إلى الكلديين الآراميين الذين أسسوا الدولـة الكلديـة بـين القرن السابع والسادس قبل الميلاد[3].

وفي الفترة ما بين القرن الرابع والثاني قبل الميلاد ظهر استعمال واسع لمـصطلح "ميزوبوتاميا" (Mésopotamia) وهي تسمية إغريقية الأصل وردت في البدء عند بوليبـوس في القرن الثاني قبل الميلاد وسترابون في القرن الأول قبل الميلاد لإطلاقـه علـى الجـزء المحصور بين دجلة والفرات من الشمال إلى حدود بغداد تقريبا، إلا أن هذه التسمية أخـذت معنى أوسع من تلك التي قصدها الإغريق، حيث امتدت إلى المنـاطق الحـضارية حـول النهرين أيضا، وقد أدرك الإغريق ذلك فأضاف بعضهم إليه لفظ "بارابوتاميا" (Parapotamia) أي ما وراء النهرين أو ما حولهما[4]، كما ورد هذا الاسم في سفر التكوين "10ثُمَّ أَخَذَ الْعبـد عشَرةَ جِمالٍ مِن جِمال مولاه ومضى وجمِيع خَيراتِ مولاه فِي يدِهِ. فَقَام وذَهـب إِلَـى أَرامِ النهرين إِلَى مدِينَةِ نَاحور "[5]. والمقصود بها في العهد القديم المنطقة التي تدعى "آرام

(1)- السوباريون: أو السوبارتو وكان هذا الاسم يطلق على موطن الأشوريين قبل ظهورهم بوجه بارز، وتذكر النصوص التاريخية أنهم كانوا يعيشون في شمال بابل في المناطق الجبلية شرقي الدجلة في المنطقة الممتدة من دجلة إلى جبال زاجروس، وتجعل هذه النصوص مصطلح بلاد سوبارتو معادلا لبلاد أشور، أما الأشوريون فيعتبرونها بلاد أجنبية معادية، أما أصلهم فمن الأقوام الجبلية غير السامية. أنظر: طه باقر, المرجع السابق, ص 166-167.

(2)- أحمد أمين سليم، **العصور الحجرية وما قبل الأسرات في مصر والشرق الأدنى القديم**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000، ص 98.

(3)- Hérodote, **Histoires**, Livre I, traduit par : Legrand, Les belles lettres, paris, 1936,177.

(4)- أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 95.

(5)- سفر التكوين (24: 10).

نهاريم", والتي تدعى "أرام النهرين" وإن كان البعض يظن أنهما نهر الخابور[1] والفرات وليس الدجلة والفرات، ثم أصبحت كلمة ميزوبوتاميا مألوفة لدى قارئ التوراة نظرا لأنها تميز البلد الذي جاء منه إبراهيم عليه السلام[2].

وكان العرب يطلقون على القسم الجنوبي من العراق اسم أرض السواد أو العراق والقسم الشمالي الجزيرة، وهو ما يطابق هذه التسمية[3]، وترجع تسمية البلاد باسم السواد إلى كثرة المزروعات والأراضي السوداء المستغلة في الزراعة[4].

2. الموقع:

رغم أن الإنسان يشكل العامل الحاسم في بناء الحضارة، فإنه من الصعب إهمال دور البيئة الطبيعة وأثرها على الإنسان من جهة، وعلى حضارته من جهة أخرى، بمعنى أن بناء أي حضارة من الحضارات ما هو إلا حصيلة فاعل مشترك بين الإنسان وبيئته[5]، ويظهر تأثير البيئة الجغرافية بوضوح في مجموعة البلدان الممتدة من البحر المتوسط حتى الهضبة الإيرانية والتي اصطلح على تسميتها "الشرق الأدنى"، فقد كانت نشاطات الإنسان المختلفة مشروطة إلى حد بعيد بالأرض، طبيعة التربة، كمية المطر، توزيع الينابيع والآبار ومسارات الأنهار، وكان لهذه العوامل تأثيرها العميق على الإنسان, حيث ساهمت في تشكيل صفاته الجسمية والخلقية وتحديد أفكاره ومعتقداته الدينية، وبذلك فتاريخ أي بلد من بلدان الشرق الأدنى يجب أن يبدأ بدراسة الطبيعة الجغرافية وأرض الرافدين لا تخرج عن هذه القاعدة[6].

---

(1)- نهر الخابور: ينبع من جنوب شرقي تركيا ثم يعبر الحدود جنوبا إلى سوريا بناحية رأس العين، ويندمج بنهر جغجاق في الجزيرة السورية ثم يصبان في نهر الفرات، طوله 320 كم.

أنظر:.www.wikipedia.org.wiki/31-12:30-05/08/2008

(2)- أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 94.

(3)- تقي الدباغ وآخرون، المرجع السابق، ص 15.

(4)- أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 98.

(5)- تقي الدباغ وآخرون، المرجع السابق، ص 15.

(6)- George Roux, **La Mésopotamie**, Seuil, Paris, 1995, p 19.

وقد عرف الجغرافي سترابون (Strabon) منطقة وادي الرافدين بقوله: "أن البلاد التي تحاذي بلاد فارس هي إقليم أشور، ويفهم من هذا الاسم أي أشور بلاد بابل وجزء كبير من المنطقة المجاورة التي كانت تضم كل إقليم أشور ومركزه نينوى، والضفة الأخـرى لنهـر الفرات, وهي القسم الواسع الذي ينقسم بين العرب والسوريين إلى غاية الحدود مع سيليسيا[1] وفينيقيا وأرض اليهود"[2].

ويذهب جورج رو (George Roux) في تعريف موقع وادي الرافـدين بـالقول: "أن منطقة وادي الرافدين هي حقل مثلث تبلغ مساحته حوالي 208 ألف كـم، تحـدها خطـوط افتراضية تمتد من حلب إلى بحيرة أورمية[3] وحتى مدخل شط العرب[4]، وتقـسم الحـدود السياسية الحالية من هذا المثلث اليوم بين سوريا والعراق بينما تظهر فيه أجزاء من تركيـا وإيران في الشمال"[5].

أما كلوديوس بطليموس فيقول في وصفه جغرافية العالم خلال زمانه، ذاكـرا أرض وادي الرافدين كالآتي: " تنتهي بلاد ما بين النهرين من الشمال بذلك الجزء مـن أرمينيـا[6]

(1)- سيليسيا: إقليم يقع جنوب تركيا ومن أهم مدنه أدنه.

أنظر:.www.wikipedia.org/wiki104-12:32-05/08/2008

(2)- Strabon, **la géographie de Strabon**, livre XVI, trad par: Amédée, Hachette, Paris, 1980, P 238.

(3)- بحيرة أورمية: بحيرة تقع في محافظة أذربيجان غربي شمال إيران قرب الحدود مع تركيا.

أنظر: .www.wikipedia.org/wiki64-12:35-05/08/2008

(4)- شط العرب: هو نهر ناتج من إلتقاء نهري الدجلة والفرات، حيث يلتقي النهران في مدينة القرنة على بعد 375كم، جنوب بغداد ويبلغ طوله 130كم، ويصب في الخليج العربي عند طرف مدينة الفاو التي تعتبر أقصى نقطة من جنوب العراق ويصل عرض شط العرب في بعض مناطقه إلى 2 كم. أنظر: محمد شفيق غربال, **الموسوعة العربية الميسرة**, الدار القومية للطباعة, مصر, 1965, ص 1084.

(5)- George Roux, Op.Cit, P 28-29.

(6)- أرمينيا: تقع اليوم جنوب القوقاز، ومن الغرب تحدها تركيا وشرقا أذربيجان وإيران من الجنوب الغربي وفي الشمال جورجيا. أنظر: محمد شفيق غربال, المرجع السابق, ص 123.

الكبرى... ومن الغرب بذلك الجزء من الفرات، ومن الشرق بالجزء من دجلة القريب من بلاد أشور... ومن الجنوب بما تبقى من نهر الفرات"[1].

إن لموقع وادي الرافدين مكانة مهمة في تاريخه القديم والحديث أيضا ليس لكونه مهد الحضارة البشرية فقط بل لأنه غني في ثروته الطبيعية ولأهميته العسكرية... والتي تجعله مشرفا على القسم الشرقي من الشرق الأوسط، وهذا الجزء من الشرق مهم في موقعه لأنه يقع على الجسر الأرضي الذي تلتقي فيه القارات الثلاث أوروبا، آسيا وإفريقيا[2].

والحديث عن الظروف الجغرافية يحتم علينا تناول نهري الدجلة والفرات اللذين يعتبران شريان الحياة في المنطقة، فإذا كانت مصر هبة النيل فإن بلاد وادي الرافدين هبة الدجلة والفرات، هذان النهران ينبعان من جبال أرمينيا في جنوب القوقاز ويصبان في الخليج العربي[3]، وكلمة فرات ذات أصل سومري ووردت في النصوص البابلية تحت اسم "بورتم" أو "يوراتي" و"بوراتوم" بالأكدية و"أراتزا" في السوبارية، أما دجلة فقد ورد في النصوص القديمة تحت اسم "دقلات" و"أدجلات" و"حداقل" بالعبرية، "أرتزاخ" بالحورية، "تبركا" بالفهرية، والتي تعني السهم لسرعة سيره[4].

ويتميز نهر الفرات بأنه أطول من نهر دجلة وأكثر تعرجا حيث يبلغ طوله 2842 كم مقابل 1840 كم طول نهر الدجلة[5] وهو يمتاز عنه باتساع واديه وعمقه، أما الدجلة فإنه يتميز من ناحية أخرى بكثرة روافده التي تنبع من هضبة إيران، وهو بذلك يتلقى إمدادات كثيرة، ولعل أهم روافده نهر الزاب (الأعلى) الذي يصب في دجلة على بعد 64 كم جنوبي نينوى بالقرب من نمرود، ثم الزاب الأسفل إلى الجنوب من ذلك بحوالي 128 كم، ومن هذه الروافد أيضا نهر ديالى أدت كثرة الروافد وتنوع مصادرها إلى أن أصبحت الفيضانات

---

(1)- نقلا عن: سامي سعيد الأحمد، العراق في كتابات اليونان والرومان، مجلة سومر، المجلد 26، ج1+2، مديرية الآثار، بغداد، 1970، ص 132.

(2)- تقي الدباغ وآخرون، المرجع السابق، ص 16.

(3)- George Contenau, **Les Civilisations Ancienne de Proche- Orient**, P U F, Paris, 1945, P 10.

(4)- سامي سعيد الأحمد، **السومريون وتراثهم الحضاري**، مطبعة الجامعة، بغداد، 1975، ص 24.

(5)- سيكون لويد، **آثار بلاد الرافدين**، تر: سامي سعيد الأحمد، دار الرشيد للنشر، العراق، 1980، ص 13.

المفاجئة من المظاهر المميزة لنهر الدجلة، أما أهم روافد الفرات فهما "البـالخ" و"الخـابور" ويلاحظ أنه رغم أن نهر دجلة أقل اتساعا من نهر الفرات إلا أن أوعية المياه التي يحملهـا أكبر، وسرعة التيار في النهرين شديدة مما يؤثر على المجرى الجيري لهما فيجعـل مـاء النهرين سريع الجريان مليئا بالرواسب، وفي بعض الأحيان تؤدي سرعة جريان نهر دجلـة وفيضانه المفاجئ إلى غمر الكثير من الأراضي، وفي بعض الأحيان يؤدي إلـى أن يـشق النهر نفسه مجرى جديدا[1].

وقد كون كل من النهرين دلتا خاصا به امتد كل منهما تدريجيا إلى الجنوب الشرقي في مياه الخليج العربي، ونظرا للترسبات التي حملتها العديد من الأنهار الأخرى في هذه المنطقة تكون رصيف من مادة فيضية رسوبية في الجنوب عبر رأس الخليج العربي، وأدى ذلك إلى تكوين حاجز أمام نهري الدجلة والفرات, مما أدى إلى ترسيب كميات كبيرة من الطمي الذي يحملانه في الأراضي الداخلية فأدى إلى تكوين المستنقعات الطمية، وأدى ذلك إلى وجود إقليمين مميزين في الأراضي المنخفضة لدجلة والفرات وهما السهل الأدنى والسهل الأعلى[2].

وينقسم السطح في وادي الرافدين إلى قسمين: شمالي وجنوبي، قسم شمالي تغلب عليه الطبيعة الجبلية إذ تكثر فيه المرتفعات وبخاصة في قسمه الشمالي الشرقي الذي تتخلله وديان دجلة وفروعه، ويفصله عن الجهات التي تقع أبعد من ذلك شمالا سلسلة جبال طوروس وهضبة أرمينيا، ويطلق على معظم أجزاء هذا الجزء تسمية أرض أشور نسبة إلى مدينة أشور التي كانت من أهم المدن الشمالية.

أما القسم الجنوبي فهو حديث التكوين من الناحية الجيولوجية، وهو يبدأ علـى وجـه التقريب من بغداد ويمتد جنوبا حتى الخليج العربي، وينقسم هذا القسم بدوره إلى عدة أقسام

حسب طبيعته الجغرافية، فيبدأ بمنطقة مصب النهر في أقصى الجنوب، وتمتـد مـن منطقة التقاء النهرين حتى الخليج العربي، يليها شمالا منطقة الأحراش وهي تشغل المجريين

(1)- أحمد أمين سليم, المرجع السابق، ص 96.

(2)- سيكون لويد، المرجع السابق، ص 13.

الأدنيين لنهري دجلة والفرات، وتنخفض أرض هذه المنطقة مما يؤدي إلى ارتفاع منـسوب المياه فيها, مما جعلها تحوي الكثير من الأحراش والمستنقعات.

ويلي هذا القسم منطقة الدلتا، وهي تشغل معظم القسم الجنوبي، ويخترقها العديد مـن القنوات كما تغمرها الفيضانات السنوية للنهرين. وإلى الشمال من منطقة الدلتا توجد منطقـة السهل حيث يقترب فيها مجرى نهري دجلة والفرات إلى أدنى حد، وتتعرض هذه المنطقـة لفيضانات عنيفة ومدمرة[1].

أما المناخ فيتأرجح بين المتوسطي والصحراوي، وعلى العموم فقد كانت تطرأ عليه تغيرات فجائية، وفي فصل الشتاء فإن هبوب الرياح يأتي من الشمال الشرقي، مجتازة بذلك المرتفعات الثلجية قي أرمينيا فتتسبب في انخفاض كبير في درجات الحرارة مشكلة غطاء جليديا ابتداء من شهر جانفي أما في الصيف فيتميز بحرارة شديدة[2] تصل إلى الفجر إلى خمسين درجة مئوية[3]، وقد انعكس تأثير المناخ على الغطاء النباتي، فمن أهم المزروعات نجد الحبوب مثل القمح البري والشعير حيث كان إنتاجهما وفيرا، وفي ذلك يقول سترابون "ليس هناك من بلاد على الأرض تنتج الشعير مثل بابل".

أما أشجار التين والكروم والزيتون فكانت قليلة، وأكثر الأشجار انتشارا بالمنطقة هي أشجار النخيل التي انتشرت في الجنوب بينما تقل في الشمال بسبب انخفاض درجة الحرارة وقد لعبت النخلة دورا بارزا في النصوص الأدبية القديمة، وكان يستخرج منها سكان المنطقة الخمور والخل والعسل، ونواة النخلة المنقوعة في الماء تستعمل كعلف للحيوانات[4].

وكانت منطقة واد الرافدين خاصة في الجنوب فقيرة من حيـث الخـشب والحجـارة فالخشب الوحيد المستعمل في البناء هو خشب النخيل رغم أنه لم يكن صالحا للبناء[5]، أمـا الثروة الحيوانية التي اشتهر بها سكان وادي الرافدين في تربيتهـا فهـي العجـول والثـور الآسيوي المستورد من الأناضول والثور المحدب من الهند والمواشي بكـل أنواعهـا، وقـد

---

(1)- أحمد أمين سليم, المرجع السابق، ص ص 97-100.

(2)- Maspero, **Histoire de l'orient**, Hachette, paris, 1891, P 75.

(3)- George Contenau, Op.Cit, P 78.

(4)- Strabon, Loc.Cit,P 310.

(5)- Paul Garelli, **Le Proche Orient Asiatique**, PUF, Paris, 1969, P 44.

اشتهرت المنطقة بوجود الغزال والضبي والخنزير والأرانب، أما الحصان فلم يعرف بالمنطقة إلا خلال الألف الثاني قبل الميلاد وبذلك فقد كان الحمار هو الذي يحل محل الحصان في الخدمة[1].

3. مراحل الحضارة:

ليس بالإمكان تصور أي بناء سليم لدراسة تاريخ أية حضارة أو أي عصر من العصور دون أن تتوافر في البدء الأطر العامة لهذه الدراسة, وخاصة التقويم التأريخي الكرونولوجي وتحديد هذه الأطر يرتبط إلى حد كبير بالتوثيق أي بوجود النقوش والروايات التاريخية، لذلك فإن تتابع الأدوار التاريخية مقيد في مراحله الأولى بالأسرات والأحداث، وقد أضحى هذا الأسلوب مألوفا لدى الباحثين في حضارة وادي الرافدين.

أ. السومريون:

تعتبر الحضارة السومرية في وادي الرافدين من أرقى الحضارات الإنسانية المبكرة التي خلفت تراثا حضاريا عريقا، ويعد السومريون من أقدم الشعوب التي استطاعت وضع لبنات الحضارة في القسم الجنوبي من وادي الرافدين، والذي عرف ببلاد سومر حيث أطلق عليهم هذا الاسم نسبة إلى المنطقة التي استقروا فيها بالجنوب, والتي تشمل الأراضي الفاصلة بين نهري دجلة والفرات وتمتد على مسافة 350 كم ما بين مدينتي "أور" و"أريدو" قرب شط البحر.

وقد اختلف الباحثون حول الوطن الأصلي للسومريين أو الطريق الذي سلكوه، إذ لا توجد دلائل ثابتة حتى الآن، فمنهم من يقول أن السومريين وفدوا من الجنوب من إيران، أو بالقرب من شمال إفريقيا عبر فلسطين وسوريا أو من مناطق القوقاز وأرمينيا في الشمال مخترقين أرض الجزيرة التي يحيط بها النهران، ومنهم من يقول أنهم وفدوا من موطنهم الأصلي في جنوب الهند، ويتجه هذا الرأي إلى الربط بين السومريين والعيلاميين[2] الذين

(1)- George Contenau, Op.Cit, P 12.

(2)- العيلاميون: شعب كان يعيش على حافة نهر الدجلة في مدن إقطاعية مشكلة مدن الدولة، وأهم مدينة أسسوها والتي جمعت بعد ذلك مدنهم في دولة واحدة وأصبحت عاصمة لها هي مدينة سوس، وقد كانوا في نزاع مع دول مابين النهرين ويعود أول نزاع بينهم إلى عهد مدينة أريدو كما تشير إلى ذلك ملحمة جلجامش واستمر الصراع إلى غاية الدولة الأكدية فهزمهم سرجون الأكدي، ولكنهم سرعان ما استفادوا من ضعف أكد في عهد=

استقروا في شرقي الحوض الأدنى لنهر الدجلة لأن الأواني الفخارية التي عثر عليهـا مـن مخلفات الشعبين كانت متشابهة إلى حد كبير، كما تقاربت الكتابة عندهما[1].

ويعتقد أنهم ليسوا من الجنس السامي الذي عمر بقية أراضي وادي الرافدين بعد أن درس عدد من علماء الأجناس بعض الهياكل العظمية من قبور السومريين ووجدوا فروقا واضحة، فالصفات الخلقية للسومريين مختلفة عن الساميين من سكان بلاد الرافدين وسائر بلاد العرب في القامة والسحنة، فالسومريين قصار القامة ذوو بنية قوية، أنوفهم مرتفعة وعريضة لا تشبه أنوف الساميين، أما رقاب السومريين فقصيرة، وكان السومريون يتميزون بارتداء الملابس الصوفية، فاستدل من ذلك أنهم أتوا من المناطق الجبلية الباردة[2] وهو ربما نفس الرأي الذي ذهب إليه كريمر (Kramer) عندما أكد أن السومريين جاؤوا من الشرق من المرتفعات الشرقية واختلطوا بالسكان الأوائل بالجنوب[3]، أما أرنولد دانيال (Arnaud Daniel) فيرى أن أصل السومريين وتاريخ قدومهم يعود إلى الفترة المعروفة بعصر العبيد[4] حيث اعتبر سكان هذا العصر أسلاف السومريين[5].

=الملوك اللاحقين وسيطروا عليها بصفة نهائية واضعين حدا لوجودها. أنظر: حسين فهد حماد، **موسوعة الآثار التاريخية**، دار أسامة، عمان، 2003، ص 434.

(1)- حلمي محروس إسماعيل، **الشرق العربي القديم وحضارته-بلاد ما بين النهرين والجزيرة العربية**-مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997، ص 10. أنظر كذلك: محمود أمهز، **محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية, بيروت, 1972, ص ص49-51.

(2)- محمد حرب فرزات, عيد مرعي، **دول وحضارات الشرق العربي القديم**، ط2, دار طلاس, دمشق, 1994 ص 53.

(3)- Samuel Noah Kramer, **Histoire commence a Sumer,** Arthaud, France, 1957, P 16.

(4)- العبيد: أو دور العبيد وسميت بهذا الاسم نسبة إلى موقع تل العبيد الذي جرت فيه الحفريات، ويقع على بعد ستة كيلومترات من غرب أور (لواء الناصرية) وقد اكتشفت خرائب العبيد عام 1919م العالم الأثري البريطاني "المستر هول Hall" وامتازت هذه الحضارة باستعمال الأدوات الحجرية بصورة رئيسية، واستمرت هذه الحضارة أربعة قرون ويعتبر أصحابه الأسلاف المباشرين لأوائل السومريين. أنظر: برهان الدين دلو، **حضارة مصر والعراق**، دار الفارابي، بيروت، 1989, ص 205.

(5)- Daniel Arnaud, **Le proche orient ancien de l'invention de L'écriture a l'hellénisation,** collection études supérieures, bordas, France, 1970, P 05-06.

وقد حاول المؤرخ سامي سعيد الأحمد أحد المختصين في السومريات القيام بدراسة ترتكز على ثلاثة معايير هي: الدراسة المورفولوجية، الدراسة الأنتولوجية، الدراسة اللغوية وذلك بعدما اكتشف أن الكتابات السومرية لا تذكر شيئا عن موطنهم الأصلي، وأهم شيء استطاع التوصل إليه أصلهم الجبلي خصوصا وأن أهم شيء أمكننا أن نستشف منه أصلهم لغتهم التي لا زالت إلى وقتنا الحاضر عبارة عن طلسم، فهي لا تمت بأي صلة إلى عائلة لغوية معروفة سواء أكانت قديمة أو حديثة، بل هي نوع من اللغات الملصقة إذ أن كل جملة عبارة عن مجموعة من الرموز الملصقة التي يعبر كل منها عن كلمة(1)، وهو نفس الرأي الذي ذهب إليه هوغو فيستر (Hugo Fisther) على أن الكتابة المسمارية وحيدة في نوعها ولا يمكن حتى وقتنا الحاضر إلحاقها بأية لغة أو مجموعة لغوية(2).

وقد قام رشيد الناضوري بنفس الدراسة فقد اعتمد على الدراسة اللغوية والبشرية وخرج بخلاصة هامة ألا وهي أن أصل العناصر السومرية بقيت حتى وقتنا الحاضر محل تساءل وبحث بالرغم من الجهود الحثيثة التي قام بها الأثريون والمؤرخون لإجلاء الغموض حول أصل هذا العنصر، فكل ما أمكن إقراره هو أنه وفدت إلى الجنوب بالإضافة إلى عدم انتمائها إلى العناصر البشرية الأخرى سواء السامية والحامية والهندوأوروبية وأن أصلهم جبلي وذلك من العمارة الدينية المجسدة لطابع الارتفاع بالإضافة إلى الأختام الاسطوانية التي جاء فيها بعض الحيوانات الجبلية كالوعل الجبلي(3).

استطاع السومريون بسط نفوذهم في المنطقة منذ عصر السلالات الباكرة (الأولى) أي بعد نهاية حضارة جمدة نصر(4) في حدود 2900 ق.م واستمر هذا النفوذ حتى قيام

---

(1)- سامي سعيد الأحمد، **(السومريون وتراثهم الحضاري)**، المرجع السابق، ص ص 41-49.

(2)- Hugo Fisther, **L'aube de la Civilisation Egypte et Mésopotamie,** Payot, paris, 1964, P120.

(3)- رشيد الناضوري، **المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا،** الكتاب الأول، دار النهضة العربية، بيروت، 1969، ص 250-251.

(4)- جمدة نصر: تمثل المرحلة الحضارية الأخيرة لعصر السلالات، ويقع تل جمدة نصر على بعد 24 كم شمال شرق كيش غير بعيد عن الموقع الذي أُقيمت عليه بابل، ويعود تاريخ هذه المرحلة إلى حوالي3200-3000 ق.م وتتميز هذه المرحلة بتنظيم الري، وتطور أكثر في الإنتاج، وتقدم الصناعة. أنظر: برهان الدين دلو، المرجع السابق, ص 208.

الإمبراطورية الأكدية 2350 ق.م وقد أطلق على هذا العصر هذه التسمية- عصر السلالات الباكرة - لأن المدن السومرية كانت تحكم من قبل سلالة مالكة ورد ذكرها في قائمة الملوك السومرية التي وضعت في الألف الثالث ق.م في عصر سلالة أور الثالثة، وهنـاك أسـماء أخرى يطلقها الباحثون على هذا العصر"عصر دول المدن"، حيث كانـت كـل مدينـة مـع ضواحيها ومجموعة قنوات الري التابعة لها تشكل دولة مستقلة ترتبط بعلاقات مختلفة مـع باقي المدن المحيطة بها، وغالبا ما كانت تنشب الحروب بين هذه المدن بغـرض الـسيطرة على الأراضي وقنوات الري المقامة على نهري الدجلة والفرات، ومـن أهـم دول المـدن السومرية في عصر السلالات الباكرة: أور، أوروك، كيش، لاجاش، نيبـور، أومـا، أدابـا وغيرها (أنظر الملحق رقم01 ص 175)، ومن التسميات الأخرى التي أطلقت علـى هـذا العصر "العصر ما قبل السرجوني" للتدليل على أهمية قيام الإمبراطورية الأكدية علـى يـد سرجون.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن هذا العصر يقسم إلى ثلاث مراحل أصغر: هي عصر السلالات الأول والثاني والثالث، وهذا التقسيم يستند إلى ظهور بعض الخصائص المعمارية المتميزة خاصة فيما يتعلق ببناء المعابد وكذلك ازدياد الوثائق الكتابية وظهور الأرشيفات مثل أرشيف شورباك، كما يلعب الفخار دورا مهما في هذا التقسيم[1]، وقد أعقبت عصر السلالات الأولى فترة ساد فيها الحكم الأكدي لفترة ما بين (2360-2180 ق.م)، وقد انتزعوا السيادة من السومريين، لكن ما لبث السومريون أن عادوا للسيادة من جديد خلال الفترة الممتدة بين (2070- 1960 ق.م) والتي اصطلح على تسميتها بالعصر السومري الجديد وذلك عندما استطاع الملك جوديا دحر نفوذ الأكديين والجوتيين، وشهدت هده المرحلة سيطرة سلالة أور الثالثة منذ تأسيسها على يد أورنامو(Urnammu) واتخذ ملوكها لقب ملك سومر وأكد, وقد ضمت هذه السلالة خمسة ملوك مدة حكمهم نحو مئة وتسعة سنة، وانتهت هذه الفترة بالغزو العيلامي الأموري لبلاد الرافدين، هذا الغزو الذي وضع حدا للسيادة السومرية على هذه البلاد وهيأها لفترة جديدة هي فترة الحكم البابلي[2].

(1)- جباغ قابلو، **تاريخ الحضارة العربية القديمة**، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 1999، ص 45-46.

(2)- نور الدين حاطوم وآخرون، **موجز تاريخ الحضارة**، ج1، مطبعة الكمال، مصر، 1965، ص 162.

ب. الأكديون:

ظهر الأكديون كأول قوم سامي[1]سلفي للعرب منذ الألف الثالث ق.م في بلاد الرافدين حول مدينتي كيش وأشور وحول مدينة ماري، واستطاعوا أن يحلوا محل الطبقة السكانية المتحضرة التي سبقتهم والتي لم تترك أثرا لغويا يدل على أصولها، ولكن الأكديين الذين سكنوا مناطق الفرات الأسفل امتزجوا بالسومريين وتأثروا بحضارتهم واستطاعوا بعد أواسط الألف الثالث ق.م أن يؤسسوا أول إمبراطورية في تاريخ العرب والعالم[2] تجاوزت سمعتها حدود منطقة الشرق الأدنى وشملت جزءا لا بأس به من المناطق التي كانت خاضعة لنفوذ الحضارة السومرية.

وقد استطاع الأكديون الدخول إلى أراضي سومر في المنطقة التي يقترب فيها الدجلة والفرات اليوم اقترابا شديدا من بعضهما وتماما في المناطق المحيطة بمدينة كيش القديمة أين توغلوا إلى الأراضي السومرية نحو الجنوب ومن ثم نحو الشمال حيث ازدهرت دولة أشور فيما بعد واستطاعوا فرض وجودهم[3].

وتقترن شهرة أكد باسم الملك سرجون "شاروكين" مؤسس مدينة أغاد (Agade) التي أصبح اسمها المحرف إلى أكد (Akkad) يطلق على كل السهل الشمالي الضيق من بلاد بابل[4]، وعن حياة هذا الملك فقد ارتبطت سيرته بين ما هو حقيقي وما هو أسطوري، وهناك روايات جاءت على لسانه تؤكد أنه ولد غير شرعي لإحدى الكاهنات اللواتي كان يحظر

(1)- الساميون: قوم سكنوا بلاد غربي آسيا منذ فجر التاريخ وسوريا والجزيرة العربية, واشتق اسمهم من سام بن نوح حيث ورد ذكره في الإصحاح العاشر من سفر التكوين في التوراة, ويتكون الساميون من الأقوام التالية: البابليين والأشوريين الأموريين والكنعانيين والآراميين والعبرانيين والعرب والأحباش. أنظر: محمد شفيق غربال, المرجع السابق, ص 948.

(2)- فيصل عبد ا ، عيد مرعي، **المدخل إلى تاريخ الحضارة**، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 2000، ص48.

(3)- أنطوان مورتكات، **تاريخ الشرق الأدنى القديم**، تر: توفيق سليمان، مطبعة الإنشاء، دمشق، 1967، ص84 .

(4)- نور الدين حاطوم وآخرون، المرجع السابق، ص 154.

عليهن الزواج وقد وضعته في سلة من القصب ورمته في نهر الفرات حيث التقطه أحد البستانيين الذي تبناه ورباه وجعله بستانيا مثله، ونتيجة عطف وحب الآلهة عشتار له جعلته حاكما على ذوي الرؤوس السوداء أي على الأكديين[1] وأهم الأعمال التي قام بها أنه تمكن من قهر لوجال زاجيزي (Lugal Zagzi) ملك أوروك وأور السومرية، وتذكر الأساطير أن السبب وراء هذه الحرب كان رفض هذا الأخير مصاهرة سرجون الأكدي[2]، ويقال بأنه تذرع بالمعاملة السيئة التي لقيها أحد رسله في قصر لوجال زاجيزي[3]، كما فتح كل بلاد بابل وأقام فيها مملكة تدين له بالطاعة بعد أن كانت تتبع السومريين، وقد نشر سرجون في مملكته اللغة السامية كما طبع ثقافتها بشكل عام بطابع سامي وتوسعت مملكته نحو الشرق لتضم عيلام كما توسعت غربا حتى وصلت سوريا وشواطئ البحر الأبيض المتوسط[4].

واستطاعت عزيمة السلالة الحاكمة التي خلفت سرجون أن تحافظ علـى الازدهـار الكامل للإمبراطورية حيث قاد "نرام-سن" حفيد سرجون بلاد الشرق الأدنى وسار بها طوال أربعين سنة تقريبا ليس فقط إلى ذروة المجد السياسي، بل والحضاري أيضا، والـذي لقـب نفسه بملك جهات العالم الأربع, وقام بتأليه نفسه في حياته [5] لتستمر هـذه الإمبراطوريـة المزدهرة حوالي قرنا من الزمن لعبت فيها الدور القيادي في مجتمع بلاد الرافـدين، حيـث فرضت عليه أطرها كاللغة الأكدية التي حلت محل اللغة السومرية التي كانت سائدة، وبهـذه اللغة كتبت نصوصا مختلفة منها السياسية والدينية والأدبية وغيرها[6].

لكن هذا الدور القيادي سرعان ما انهار حوالي 2230 ق.م تحـت وطـأة غـزوات الكوتيين (Kouti) الجبليين القادمين من منطقة همذان في الشمال الشرقي، واستمرت سيطرة

(1)- أنطوان مورتكات، المرجع السابق، ص 87-88.

(2)- نور الدين حاطوم وآخرون، المرجع السابق، ص 154.

(3)- أنطوان مورتكات، المرجع السابق، ص 87

(4)- نور الدين حاطوم وآخرون، المرجع السابق، ص ص 154-155

(5)- أنطوان مورتكات، المرجع السابق، ص 91.

(6)- جباغ قابلو, المرجع السابق، ص 71.

الكوتيين من 2230 ق.م إلى 2120 ق.م تقريبا لتأتي بعد ذلك حقبـة العـصر الـسومري الجديد[1].

جـ. البابليون:

عند وصول العناصر الآرامية إلى المنطقة استقرت على طول الفرات ووصلت إلى سدة الحكم في عدة مناطق بما فيها بابل والتي عرفوا باسمها، وقد كانت بابل بلدة عادية عرفها السومريون باسم "كادنجيرا"، ويرى الدكتور عبد العزيز صالح أن اسم بابل لا يمكن تأكيد معناه، وأن الشائع هو ترجمته بمعنى "باب أيل" أي "باب الإله"[2]. ولم تكن المدينة واحدة من المراكز السياسية أو الاقتصادية حتى بداية الألف الثاني قبل الميلاد حتى مجيء الأموريين الذين أحسنوا اختيار الموقع, إذ أنها تتوسط بلاد الرافدين، وأيضا قربها من الفرات من الناحية اليمنى للنهر[3]، وهذا هو السبب الذي جعل مؤسسي السلالة البابلية الأولى في حدود القرن التاسع عشر ق.م يجعلونها عاصمة لهم[4].

وقد أخذت المعلومات تتواتر عن الأموريين في المصادر القديمة بعد زمن "نرام سين" الأكدي، فقد أشار إليهم الملك الأكدي "شاركلي شاري" و"جوديا" ملك لكش، وأغلب ملوك سلالة أور الثالثة بخاصة الملك الأخير "شوسين".

وأشارت إليهم مصادر من عهد الدولة الأكدية على أنهم قوة عسكرية وقفت في وجه زحف الأكديين على بلاد الشام، فلا بد أن تكون بداية هجرتهم إلى موطنهم الأصلي في بلاد الشام قبل زمن هذه المصادر، وإذا ما عرفنا أن بداية الدولة الأكدية تعود إلى 2350 ق.م

---

(1)- عمر محمد صبحي عبد الحي, **الفكر السياسي وأساطير الشرق الأدنى القديم-بلاد مابين النهرين ومصر**, المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع, مصر, 1998, ص 123.

(2)- عبد العزيز صالح، **الشرق الأدنى القديم**, الكتاب الثاني, ط$_2$, مكتبة الانجلو المصرية, القاهرة, 1973, ص456.

(3)- محمد علي سعد ا , **دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم-العراق-سوريا-آسيا الصغرى-دراسة تاريخية وحضارية**, دار المعرفة الجامعية, (د.م), 2003, ص 99.

(4)- Marguerite Rutten, **Babylone**, PUF, Paris, 1958, P 18.

أمكننا إضافة بضعة قرون على هذا التاريخ واعتبار تاريخ بداية هجرة الأموريين إلى الشام أي ما بين (2800-2500 ق.م) [1].

وبعد سقوط سلالة أور الثالثة تألفت عدة دويلات في مدن مختلفة إحداها في ايسن والأخرى في لارسا والثالثة في بابل وكان النزاع على أشده فيما بينها، فساعد هذا التنازع الذي استمر نحو قرنين الأموريين (العموريين) على إظهار استقلالهم في بابل وما حولها بعد انتصارهم على المدن المتنازعة فتشكلت المملكة البابلية السامية التي صارت تعرف بالمملكة القديمة وتعرف أيضا بالسلالة العمورية وهي المملكة السامية الثانية بعد الإمبراطورية الأكدية[2].

وقد كان للحروب التي أضعفت إمبراطورية سومر وأكد وأدت إلى سقوط سلالة أور الثالثة التي حلت محلها سلالة ايسن ولارسا، دور في إتاحة الفرصة لهذا الشعب بأن يقتطع جزءا واسعا من ذلك الميراث[3]، وأعقب هذه المرحلة (سومر وأكد) فترة امتدت على ثلاثة قرون (1998-1580 ق.م) باسم العهد البابلي القديم ويشمل ايسن ولارسا وسلالة بابل الأولى، وقامت في نفس الفترة سلالة من الساميين الغربيين في مدينة ماري في الفرات الأوسط[4]، حيث عرفت هذه المرحلة احتدام الصراع بين هذه المدن وبخاصة بين ايسن ولارسا، في الوقت الذي كانت فيه بابل تصعد لاحتلال الدور الأول على يد الأسرة البابلية الأولى والتي بلغت ذروة مجدها في عصر حمورابي [5].

وقد اتخذ مؤسس هذه السلالة "تسومو-آنوم" بابل عاصمة، هذا الأخير الذي كان يحكم منطقة صغيرة في وادي الرافدين، ثم أخذ يوسع رقعة دولته بالتغلب على أمراء المدن الجنوبية، وأعلن نفسه ملكا عليها، واستمر في الحكم ثلاثة عشر عاما، واهتم خلفاؤه بالمحافظة على حدود الدولة وتوطيد نفوذها[6].

---

(1)- جواد الهاشمي, **نظام العائلة في العهد البابلي القديم**, منشورات مكتبة الأندلس, بغداد, 1971, ص 19-20.

(2)- أحمد سوسة, **حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور**, وزارة الإعلام, بغداد, 1979, ص 140.

(3)- Marguerite Rutten, Op.Cit, P 19.

(4)- طه باقر, المرجع السابق, ص 139-140.

(5)- محمد فرزات, عيد مرعي, المرجع السابق, ص 133.

(6)- محمد علي سعد ا , المرجع السابق، ص 100.

وعرف هذا العصر أوج تطوره في فترة سادس ملوك الأسرة وهو حمورابي في الفترة (1792- 1750ق.م)، عندما استلم مقاليد الحكم ضم المدن المجاورة لبابل إلى دولته وفي السنة الثلاثين من حكمه شن حملة حربية على الجنوب فقضى على مناوئه "ريم سن" ملك لارسا ولاحق العيلاميين إلى سوسة، وفي الشمال استطاع القضاء على دولة أشور، ثم توجه إلى ماري وحارب ملكها "زمر يليم" الذي حالف الفرس ضد بابل فتمكن من القضاء عليه واستطاع فتح ماري.

وقد استطاع حمورابي الجمع بين عدة خصال جعلته القائد السياسي والمشرع والمصلح، حيث أنه بعد توسعاته شرع في تقوية الإدارة وتوطيد حكم الإمبراطورية البابلية القديمة، فاعتمد في ذلك على سياسة التحالفات والمعاهدات الثنائية والوعيد، وكان لهذه السياسة دورها في النهضة والتطور الذي وصلت إليه بابل في فترة حكمه، كما أعاد إمبراطورية سرجون الأكدي، ولم تقتصر شهرته على الأعمال الحربية بل تعدتها إلى الجوانب الحضارية فقد استطاع أن يوطد أركان دولته ووجه اهتمامه إلى تطوير الزراعة وشق قنوات الري والاهتمام بالتجارة وطرق المواصلات وإصدار التشريعات وتمكن بذلك من أن يحقق لمواطنيه حياة الطمأنينة والعدالة، وقد عبر عن مساعيه هذه في مقدمة قوانينه(1).

وكانت نهاية الدولة البابلية حوالي 1530 ق.م على يد الحيثيين القادمين من آسيا ورغم قصر أمد الغارة الحيثية إلا أنها كانت بداية فترة السيطرة الأجنبية، وهي الفترة التي أخذت فيها "شعوب الجبال" تسيطر على الشرق الأدنى، ولم يكد ينسحب الحيثيون حتى دانت بابل لسيطرة أجنبية أخرى وهي السيطرة الكاشية(2) القادمين من الشرق(3).

---

(1)- عبد الحكيم الذنون, **التشريعات البابلية**, دار علاء الدين, دمشق, 1992, ص ص 32-34.

(2)- الكاشيون: شعب هندو أوربي، كانوا يعيشون في بابل بعد فترات طويلة من التغلغل السلمي، وبعد أن سيطر الحيثيون على بابل استفادوا من ضعفهم واغتصبوا السلطة منهم واحتفظوا بها إلى غاية 1160 ق.م.

أنظر: ليونارد كوتريل، **الموسوعة الأثرية العالمية**, تر: محمد عبد القادر محمد, زكي اسكندر, ط2, الهيئة المصرية للكتاب, مصر, 1997, ص 324.

(3)- سبتينو موسكاتي, **الحضارات السامية القديمة**, تر: السيد يعقوب, الهيئة المصرية للكتاب, مصر, 1997, ص45.

د. الأشوريون:

تمثل فترة الأشوريين مرحلة هامة من فترات التاريخ السياسي لوادي الرافدين وهم من الأقوام السامية التي جاءت من الجزيرة العربية في مطلع الألف الثالث ق.م[1] وتذهب بعض الفرضيات إلى أنه قبل وصولهم إلى شمال وادي الرافدين حلوا في موطن مؤقت بعد هجرة أجدادهم من الجزيرة وانتقلوا منه إلى البلاد التي صارت موطنا ثابتا

وهذا الموطن المؤقت هو بابل[2]، وهذا ما ورد في سفر التكوين" [10]وكان ابتداء مملكته بابل وأرك وأكد وكلنة في أرض شنعار. [11]من تلك الأرض خرج أشور وبنى نينوى ورحوبوت عير وكالح"[3]. واستند أصحاب هذه الرأي إلى القول بأن اللغة السومرية ما هي إلا لهجة من اللغة البابلية، غير أن الفروق بين اللغتين لا تدل على ذلك.

وذهب رأي آخر إلى اعتبار الأشوريين فرع من الساميين استوطنوا في شـمال وادي الرافدين في فترة العصر الأكدي أو قبل ذلك, وأنهم اختلطوا مع الأقوام التي كانت قبلهم ولا سيما السوباريون ومع الأقوام المجاورة لهم[4].

وقد عرف الأشوريون نسبة إلى عاصمتهم أشور والتي أخذت اسمها من اسم إلههـا المحلي وهو إله الأشوريين القومي وكبير آلهتهم، وجاء اسم الأشوريين في المصادر الآرامية والعربية "آتور"[5] وذكر موطن الأشوريين في المصادر المسمارية بهيئة "بلاد أشور" (مات أشور)[6] وتقع مدينة أشور على الشاطئ الأيمن لنهر دجلة (قلعة الشرقاط)[7]، وقـد عـاش الأشوريون في هذه المنطقة منذ العصور التاريخية القديمة وتدرج فيهـا كيـانهم الـسياسي والعمراني واشتقوا حضارتهم من الحضارة الأولى أي الحضارة السومرية وكونوا منذ الألف

(1)- نور الدين حاطوم وآخرون، المرجع السابق, ص 212.

(2)- طه باقر, المرجع السابق, ص 164.

(3)- سفر التكوين (10: 10-11).

(4)- طه باقر, المرجع السابق, ص 165-166.

(5)- نور الدين حاطوم وآخرون، المرجع السابق, ص 213.

(6)- طه باقر, المرجع السابق, ص 164.

(7)- نور الدين حاطوم وآخرون، المرجع السابق, ص 213.

الثاني ق.م دولة عسكرية أخذت تتدرج في القوة مع حدوث فترات من الضعف وآل أمرها إلى أن أصبحت إمبراطورية عظيمة فرضت سلطانها على العديد من المناطق[1].

وبما أن هذه الحقبة من تاريخ الأشوريين طويلة كثرت فيها الحوادث فقد ارتأى علماء الآثار إلى تقسيمها إلى العهود التالية:

- العهد الأشوري القديم: ويبدأ من فجر التاريخ الأشوري حتى نهاية حكم سلالة بابل الأولى، ولم يكن للأشوريين كيان سياسي لا سيما خلال الألف الثالث ق.م، بل كانوا خاضعين للحضارة السومرية ودويلاتها ودانوا للحكم الأكدي، ثم خضعوا لحكم الجنوب في عهد سلالة أور الثالثة، وعرفت بداية استقلالها ونهوضها في زمن "ايلو شوما" الذي كان معاصرا لمؤسس سلالة بابل الأولى الذي حكم بين 1894-1881 ق.م، وامتد نفوذها إلى الجنوب، واستطاعت أن تتقدم أكثر في زمن "شمشي أدد" 1815-1782 ق.م الذي فتح مدنا كثيرة في أواسط وادي الرافدين، وعلى الفرات كمدينة ماري، وفي أواخر حكمه ظهر حمورابي وقضى على استقلال بلاد أشور.

- العهد الأشوري الوسيط: ويبدأ من نهاية مملكة بابل ويستمر خلال الحكم الكشي وينتهي في بداية القرن التاسع ق.م، وبقيت بلاد أشور تحت الحكم البابلي إلى أن سقطت بيد الحيثيين في القرن السادس عشر ق.م، ولما تراجع الحيثيون عنها احتلها الكشيون[2]، وتعرض الأشوريون إلى أخطار أشد أتتهم من دولة أخرى تكونت في النصف الثاني من الألف الثاني ق.م وهي دولة الميتانيين[3] التي تكونت بجوار الأشوريين من جهة الغرب، وتمكنت من السيطرة على البلاد الأشورية في القرن الخامس عشر ق.م وظلت قرابة قرن من الزمن حيث استطاع الحيثيون تخليصهم من النفوذ الميتاني، واستطاع الأشوريون في عهد أشور-أوبالط (1362-1337 ق.م) بعد التخلص من النفوذ الأجنبي تحسين الأحوال الداخلية وتقوية الجيش.

(1)- طه باقر, المرجع السابق, ص 163.

(2)- فرج بصمة جي، **كنوز المتحف العراقي**، وزارة الإعلام، بغداد، 1972، ص 48-49.

(3)- دولة ميتاني: اسم سياسي لمملكة أنشأها الحوريون في المنتصف الثاني من الألف الثاني ق.م وقد غزا ملكهم المسمى "سوشتار" المعاصر للفرعون المصري تحوتمس الثالث بلاد أشور وكذلك فعل "تشراتا". أنظر: طه باقر, المرجع السابق, ص 167.

وسارت الدولة الأشورية في نموها وتوطيدها ثم توسعها في عهد الملوك الذين خلفوا أشور-أوبالط، وكان أبرزهم شيلمنصر الأول (1266-1243 ق.م) الذي قام بتغيير العاصمة إلى كالخ (نمرود)، وخلفه ابنه توكلتي-ننورتا الأول (1243-1221ق.م) الذي ضم المملكة البابلية إلى التاج الأشوري، وصار يلقب نفسه ملك سومر وأكد. ويمكن القول أن هذا العهـد هو الأخطر لما تعرض له الأشوريون في تكوينهم السياسي، إذ سرعان ما عادت الأخطـار الخارجية من جديد، فقد ظهرت القبائل الآرامية الكبيرة التي بدأت تغزو جهات الشرق الأدنى وتثبت أقدامها وتؤسس لها دويلات في الأقسام الشمالية من العراق وفي جهات سوريا وبهذا الصراع يدخل الأشوريون في العهد الموالي[1].

- العهد الأشوري الحديث: ويبدأ هذا العهد من 912 ق.م إلى غاية سقوط العاصمة نينـوى 612 ق.م، وقد استطاع ملوك أشور القضاء على الدويلات الآرامية فـي سـوريا وأزالـوا خطرها[2]، وعرفت الدولة أوج توسع لها في عهد الملك أشور ناصربال الثاني (883-859 ق.م) ومن بعده شلمنصر الثالث (858-824 ق.م) الذي قاد حملة عسكرية ناجحة لإخضاع معظم المناطق الجبلية خاصة في سوريا وفلسطين وأورارتو وبابل. وبعد حكـم شلمنـصر الثالث سادت فترة ضعف في النصف الأول من القرن الثامن ق.م واستمر هذا الضعف حتى سنة 745 ق.م عندما جاء إلى الحكم تجلات بلاصر الثالث (745-727 ق.م) فأعـاد مجـد الإمبراطورية مرة أخرى ويعتبر هذا الملك مؤسـس الإمبراطوريـة الأشـورية المتـأخرة (الثانية)، وقد حافظ خلفاؤه على مجدها إلى غايـة زمـن أشـور بانيبـال، حيـث أخـذت الإمبراطورية في الاضمحلال والضعف تدريجيا خلال فترة حكمه، وبعد موته استعادت بابل التي كانت آنذاك تحت حكم السلالة الكلدانية استقلالها بعد معارك طاحنة، وفـي سـنة 615 ق.م بدأ الميديون[3] بالهجوم على المدن الأشورية التي سقطت تدريجيا بيـدهم حتـى قبـل

(1)- طه باقر, المرجع السابق, ص ص 173-177.

(2)- فرج بصمة جي، المرجع السابق, ص 50.

(3)- الميديون: أحد الأقوام التي استوطنت إيران قديما، حيث عاشوا فيها في الشمال الغربي وكان موطنهم الأصلي يشمل كردستان وأذربيجان ومنطقة كاردوخ, واستنادا إلى كتابات هيرودوت فإن الميديين كانوا مؤلفين من 6 قبائل رئيسية وهم: بوزا، باريتاك، ستروخات، آريا، بودي وموغي، وأطلق هيرودوت اسم الآريين على القبائل الميدية. أنظر: حسين فهد حماد، المرجع السابق، ص 590.

وصول الملك نبو بلاصر على رأس الجيش البابلي من مدينة بابل، وفي 612 ق.م سقطت العاصمة نينوى ودمرت على يد الميديين، وخلال فترة قصيرة اجتاحت بابل الامبرطورية الأشورية[1].

و. الكلدانيون:

يرجع علماء الآثار أصل الكلدانيين إلى شواطئ الخليج العربي جنوب وادي الرافدين إذ أسست منذ القرن الثالث عشر ق.م، وقد تكون قبل ذلك من قبل سلالة بابل الثانية والتي كانت من بقايا السومريين، وتمكن ملوك هذه السلالة من بسط نفوذهم على سواحل الخليج العربي وأكثر المدن السومرية والأكدية جنوب وادي الرافدين[2].

وكان الكلدانيون (أو قبائل كالدو) فرعا من الآراميين البدو النازحين من سوريا إلى جنوب العراق[3]وظهروا لأول مرة في عهد "شمسو ايلونا" خليفة حموارابي، وكان أول ملوكهم يدعى "إيلوما إيلو" الذي بدأ حكمه في 1742 ق.م وقد مارست سلالتهم سلطة غير ثابتة على إقليم سومر وأكد حوالي قرن ونصف، ثم صارت تتحدى سلطة الدولة البابلية القديمة، كما ظلت تتحدى ملوك بابل وأشور لمدة ألف سنة تلت ذلك العصر[4]، واستمر الآراميون في توسعهم، فامتدت قبائل كالدو في جنوبي العراق حتى الخليج العربي وكونوا ست إمارات كانت أكبرها "بيت داكوري" و "بيت ياكين"[5]، وصاروا يتحينون الفرص لاحتلال بابل والقضاء على الحكم الأشوري فيها وتم لهم ذلك في 721 ق.م، وكان ذلك في بداية حكم سرجون الثاني، لكن سرعان ما أعادها هذا الأخير، وانتهز الكلدانيون بزعامة نبو بلاصر فرصة وفاة أشور بانيبال للاستيلاء على بابل 625 ق.م، وتمكن من الانفصال عن الدولة الأشورية وحالف الميديين وساهم في الحرب التي أخرجت الحكم الأشوري سنة 612

(1)- عادل ناجي وآخرون، **الأختام الاسطوانية، (حضارة العراق)، ج4،** المرجع السابق، ص 271-272.

(2)- أحمد سوسة، **العرب واليهود في التاريخ-حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية-** ط7، العربي للطباعة والنشر، دمشق، (د.ت)، ص 216.

(3)- عبد العزيز صالح، المرجع السابق**،** ص 542.

(4)- أحمد سوسة، (**العرب واليهود في التاريخ)،** المرجع السابق، ص 216.

(5)- عبد العزيز صالح، المرجع السابق**،** ص 542.

ق.م[1]، وتقاسم الإمبراطورية الأشورية معهم فصارت حصة الكلدانيين وسط العراق حتى جنوبه، وقد انتهز هذا الملك وابنه نبوخذ نصر انشغال الميديين بالغزو والتوسع إلى الغرب فنشأ في زمن قصير ما يعرف بالإمبراطورية البابلية الأخيرة[2].

ويعتبر نبوخذ نصر أعظم الملوك الكلدانيين ودام حكمه ثلاثة وأربعون سنة (605-562 ق.م) وأهم منجزاته حملاته التي قام بها على مملكة يهوذا والقضاء عليها، حملته الأولى كانت في 597 ق.م على يهوذا واستولى على أورشليم وسبى اليهود، وقاد حملته الثانية في 586 ق.م وأحتل أورشليم فخربها وأحرقها وسبى حوالي خمسة آلاف شخص[3] وبعد وفاته خلفه ملوك ضعاف حتى وقوع بابل في يد قورش الأخميني، فسمح هذا الأخير لليهود بعد احتلاله بابل بالعودة إلى فلسطين[4].

ومما سبق ذكره يمكن القول أن بلاد الرافدين كانت مهد حضارات قديمة، وكان إنسانها الأول متفرقا في مجموعات بشرية انتشرت من الشمال إلى الجنوب، وقد استطاع هذا الإنسان أن يحيا حياة قامت على أسس حضارية متقدمة منذ أول عصور فجر التاريخ، وهذه الأسس أخذت تتطور تطورا ترتيبيا من سلسلة متعددة الحلقات.

---

(1)- أحمد سوسة، (**العرب واليهود في التاريخ**)**،** المرجع السابق**،** ص 217.

(2)- طه باقر, المرجع السابق, ص 205.

(3)- نجد اختلافا كبيرا بين المصادر التاريخية حول عدد اليهود المنفيين إلى بابل، إذ نجد في سفر الملوك (24:16) أن عدد الأسرى حوالي ثمانين ألف أسير، غير أن المؤرخين شككوا في مثل هذه الأرقام على اعتبار أن مدينة بابل لا يمكنها استيعاب هذا العدد الهائل، وذهب السفر نفسه (24:14) إلى أن العدد إضافة إلى الملك وحاشيته بلغ عشرة آلاف شخص، كما بلغ عددهم حسب أرميا (52:18) ثلاثة آلاف وثلاثة وعشرون أسير إلى غير ذلك.

(4)- أحمد سوسة، **(العرب واليهود في التاريخ)،** المرجع السابق، ص 218.

الفصل الأول: ديانة وادي الرافدين

1-نشأة المعتقد الديني وتطوره في وادي الرافدين

2-الآلهة وخصائص الديانة

أ-الآلهة

-آلهة الكون

-آلهة الفلك

-الآلهة الوطنية

-آلهة الطبيعة

ب-خصائص الديانة

3-طقوس الديانة

أ-الطقوس اليومية

ب-طقوس المناسبات

ج-الطقوس الدورية (الأعياد)

للدين أهمية كبيرة في حياة الشعوب القديمة, بل إنه من أهم العوامل المؤثرة في سير حياتها, وأسلوب تطور حضارتها, فالمعتقدات الدينية والأفكار الدينية تحدد الإطار العام لسلوك الإنسان وحياته, عاداته وتقاليده, أعرافه وقوانينه, وتكون الخلفية المؤثرة في حياته الاجتماعية والفكرية والسياسية, وقلما نجد أي عمل قام به الإنسان القديم أو أي أثر تركه إلا وكان للدين فيه تأثير, لذلك كانت دراسة المعتقدات الدينية في منطقة وادي الرافدين ذات أهمية كبيرة في فهم حياة السكان(1).

فالدين مؤسسة اجتماعية لا يستغني أي مجتمع بشري عنه, وقد ذهب الأستاذ طه الهاشمي إلى عرض آراء مجموعة من الباحثين حول دور الدين, فيذكر ماكس مولار العالم في البحوث الدينية حيث قرر بعد بحث طويل النتيجة التالية "أن الدين قوة من قوى النفس وخاصة من خواصها وأن البشر بتأثير هذه القوة وبأسماء ورموز مختلفة متعددة تتأهب لإدراك الأسرار الغامضة". ويرى أن فكرة التعبد من الغرائز البشرية التي فُطر الإنسان عليها منذ نشأته الأولى.

ويقول بنيامين كوستان أحد مؤرخي الأديان: "أن الدين من العوامل التي سيطرت على البشر, وأن التحسس الديني من الخواص اللازمة لطبائعنا الراسخة, ومن المستحيل أن نتصور ماهية الإنسان دون أن يتبادر إلى ذهننا فكرة الدين"(2).

ويؤكد الفيلسوف برغسون على ضرورة تواجد الدين بقوله: "..وكيف تكون الحال إذا نحن رأينا وراء الأمر الاجتماعي أمرا دينيا! ليست تهمنا العلاقة بين الحدين فكيفما فسرنا الدين وسواء أكان اجتماعيا بالجوهر أم بالعرض فإن ثمة ناحية لا سبيل إلى الشك فيها وهي أن الدين قد قام دوما بوظيفة اجتماعية, وهذه الوظيفة معقدة اختلفت باختلاف الزمان والمكان, على أن في مجتمعات كمجتمعاتنا هي العمل على تدعيم مطالب المجتمع, وشد أزرها, وقد لا تقف عند هذا الحد, إلا أنها تبلغه في أقل تقدير, إن العقاب الذي يفرضه المجتمع قد يقع على بريء, وقد ينجو منه مجرم, وقلما تثاب في المجتمع على العمل الطيب,

(1)- فاضل عبد الواحد علي وآخرون, **جوانب من حضارة العراق, العراق في التاريخ**, دار الحرية, بغداد, 1983, ص 208.

(2)- طه الهاشمي, **تاريخ الأديان وفلسفتها**, دار مكتبة الحياة, بيروت, 1963, ص 35.

فنظر المجتمع ليس بمرهف, وهو يرضى باليسير وليس ثمة قسطاس إنسان يزن العقاب الثواب, كما ينبغي أن يوزن, وها هنا تبدو وظيفة الدين"[1].

وبذلك فدراسة أثر الدين على الحياة الفكرية وحتى المجالات الأخرى عند السومريين والبابليين لن يتجلى قبل دراسة العقيدة الدينية, بمعنى أن دراسة الدين ذات أهمية كبيرة في فهم العلاقة بين الدين وباقي جوانب الحياة الأخرى[2].

ودراسة الديانات القديمة ومنها ديانة وادي الرافدين على درجة كبيرة من الصعوبة نظرا لعدم معرفتنا ببداياتها الأولى, كما لا نملك عنها كتب أو تعاليم مقدسة ثابتة كالتي نجدها في الديانات السماوية, ومع ذلك فهناك الآلاف من النصوص المسمارية التي تحوي مواضيع مختلفة أفادتنا في فهم جوانب من معتقداتهم الدينية .

ومن هذه النصوص القصص والأساطير الدينية والملاحم والتراتيل والصلوات وجداول بأسماء الآلهة والأرواح الشريرة والخيرة, ونصوص الفأل وقراءة الطالع والنصوص السحرية ونصوص خاصة بكيفية إقامة الشعائر والطقوس الدينية وأخرى خاصة بالاحتفالات والأعياد الدينية, ونصوص الرقي و التعاويذ وغيرها كثيرة, بل يمكن القول أن جميع النصوص المسمارية المكتشفة أفادت في دراسة الديانة الرافدية, وهذا يشير إلى مدى تغلغل الدين في نفوس القدماء وتأثيره على حياتهم الخاصة و العامة.

إضافة إلى النصوص هناك الكثير من المخالفات المادية التي أمدتنا بمعلومات وافية عن المعتقدات الدينية كالمعابد والزيقورات والتماثيل والنصب والألواح الجدارية والمذابح وأثاث المعابد والمشاهد الدينية المنقوشة على الأختام الأسطوانية والأواني الفخارية وغيرها.

وعلى الرغم من غزارة المعلومات عن الديانة, إلا أن هذه المعلومات تظل قاصرة على إعطائنا فكرة دقيقة عن النظرة الشخصية للسكان ونمو الدين وطقوسه وعن سلوكهم في تطبيق تعاليمه, حيث أن ما لدينا يمثل بصورة عامة وجهة نظر رجال الدين فحسب[3].

(1)- هنري برغسون، **منبعا الأخلاق والدين**، تر: سامي الدروبي، عبد ا عبد الدائم، الهيئة المصرية للتألف والنشر، 1971، ص 71.

(2)- رشيد عبد الوهاب حميد ، **حضارة وادي الرافدين-ميزوبوتاميا**-دار الثقافة، دمشق، 2004، ص 85.

(3)- فاضل عبد الواحد علي وآخرون، المرجع السابق، ص 208-209.

والدارس للديانة في وادي الرافدين سيواجه صعوبة تداخل الدين السومري، الأكدي والبابلي حيث يصعب تحديد ما هو من أصل سومري وما هو سامي, وهذا ربما يدل على أن العقائد الأصلية السومرية قد استقرت, كما أن الطقوس جرت في خطوطها الرئيسية منذ بدء التاريخ، وكانت اللغة السومرية تستعمل في العبادة حتى بعد اختفاء هدا الجنس, وكان لنفس الآلهة الكبار هياكلهم في المراحل التي تلت السومريين[1], كما أن دراسة الفكر الديني وتطوره تتطلب الرجوع إلى مراحل عصور ما قبل التاريخ لدراسة الجذور الأولى للفكر الديني الإنساني[2].

1. نشأة الدين و تطوره في وادي الرافدين:

لم يتفق علماء الأديان على طريقة واحدة لنشأة الدين الأولى, ففريق منهم تعمق في معتقدات الأقوام السابقة, وفي أساطيرها معتمدا في ذلك على الأنتروبولوجيا و فريق آخر اهتم بدراسة أوضاعها الاجتماعية, أما الفريق الثالث فبحث في أوصاف الآلهة معتمدا في ذلك على اشتقاق اللغة –الفيولوجيا- وكان لا بد لهذه الطرق في البحث أن تنتهي إلى نتائج مختلفة, وقد تبين لعلماء الأديان والاجتماع أن أديان الشعوب القديمة هي ذاتها خلاصة تطورات حدثت في أجيال, ولكي يتم الاطلاع على الوضع الديني الأول يجب التعمق في بحث الأديان لإرجاع كل منها إلى أصله حتى يسهل الوصول للدين الأول ومعرفة ما اقتبسه من الأديان الأخرى, وكيف انتهى وضعه المعروف ولا يتم ذلك إلا بدراسة الأديان والانتقال منها إلى الأديان السماوية المتكاملة[3].

(1)- George contenau, Op.Cit, P 36.

أنظر كذلك: L. Delaporte, **La mésopotamie,-Les Civilisation Babylonienne et Assyrienne-** La renaissance du Livre, Paris, 1923, p 151.

(2)- رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص 53.

(3)- طه الهاشمي، المرجع السابق، ص 56-57.

ورغم تشابه خصائص الديانات القديمة, إلا أن طرق البحث أدت بعلماء الأديان إلى إيجاد العديد من الخصائص المختلفة بين هذه الأديان وأدى هذا الاختلاف إلى تعدد النظريات في نشأة الدين, فالعلماء الذين اعتمدوا على الانتروبولوجيا ودرسوا معتقدات الشعوب القديمة وأساطيرها وضعوا "النظرية الروحية"[1] التي تقرر أن البشر الأوائل عبدوا الروح واعتقدوا أن لجميع الموجودات روحا سواء كان حيوانا أو نباتا أو كان جمادا, فعبد الإنسان أرواح الموتى فمظاهر الطبيعة بوصفها ذات أرواح, ثم انتقل إلى الوثنية فعبادة آلهة.

أما العلماء الذين درسوا الأوضاع الاجتماعية لتلك الأقوام فقد وضعوا "نظرية الطوطمية"[2] أي أن الجماعات البشرية الأولى جعلت أحد الموجودات حيوانا أو نباتا أو جمادا شعارا مقدسا لها واجتمعت حوله واهتمت به.

فيما ذهب العلماء الذين حاولوا أن يتوصلوا إلى الدين الأول عن طريق انشقاق اللغة "الفيلولوجيا" والمقارنة بين أوصاف الآلهة, فقد وضعوا "نظرية الطبيعة"[3] أي أن القدماء كانوا يعبدون مظاهر الطبيعة, حيث زعم أنصار هذه النظرية أن خوف الإنسان من مظاهر الطبيعة كالرعد, الأمطار, الزلازل...جعله يتقرب إليها ويدعوها ويتوسل لها وينذر إليها النذور ويقرب لها القرابين[4].

والشيء الوحيد الذي تشترك فيه هذه النظريات هو القول بأن الدين سلك على مر القرون مسلك التطور، فنشأ الدين في بدايته بحالة ساذجة، ثم أخذ يتطور حتى بلغ بالأديان العامة مبلغه من الكمال[5]، ومبدأ التطور الذي يتحكم في جميع النتاجات البشرية سواء كانت تلك النتاجات مادية أو فكرية يفرض علينا القول بأن المعتقدات الدينية لفترة العصور

---

(1)- الروحية (Anamism): مذهب يستند إلى اعتبار الروح أصل الحياة، وقد تزعم هذه النظرية العالم تايلور صاحب كتاب "الحضارة البدائية" ثم تبناها هربرت سبنسر. أنظر: طه الهاشمي، المرجع السابق, ص ص58-70.

(2)- الطوطمية (Totemism) : مشتقة من Totem وأصلها من كلمات سكان أمريكا الأصليين، وقد وردت في القرن17 وأول من ربط الطوطمية بتاريخ البشرية العالم الأسكتلندي ماك لنا. أنظر: نفسه, ص ص 81-96.

(3)- الطبيعية (Naturism): مشتقة من الكلمة اللاتينية Natura أي الطبيعة وتزعم هذه النظرية ماكس موللر صاحب كتاب "بحوث في علم الأساطير". أنظر: نفسه, ص ص 71- 80.

(4)- نفسه، ص 57.

(5)- نفسه، ص 53.

التاريخية لا بد وأن تكون متشبعة من المعتقدات التي سادت خلال العصور الحجرية مرورا بالحضارات الزراعية[1]، وعن مبدأ تطور الدين يقول جفري بارندر: "لا بد أن الحس الديني قد خضع لنفس التطور الذي خضع له الإنسان، فاختلف وفقا لمراحل كثيرة لإرتباطه ارتباطا وثيقا بالإطار الثقافي الذي وجد فيه"[2].

ويذهب طه باقر إلى اعتبار العصر الحجري القديم بداية لظهور الدين، حيث وجدت في جدران الكهوف رسومات وصور ملونة دقيقة، وأغلب هذه الصور تمثل الحيوانات التي كان يصطادها الإنسان في تلك الفترة لأكلها، لأنه كان مدفوعا في فنه بدوافع السحر، حيث اعتقد أنه برسم الحيوانات يتمكن من السيطرة عليها، ونشأت عند إنسان هذا العصر بعض الأفكار عن الحياة والموت، وظهرت أولى محاولات بذور الدين على هيئة اعتقادات ورسوم بدائية وممارسة السحر، ويمكن اعتبار السحر أول محاولة فاشلة للإنسان للسيطرة على الطبيعة بأعمال السحر[3].

وبحلول العصر الحجري الحديث وعصر النحاس وعصور ما قبل الأسرات بدأ الفكر الديني في منطقة الشرق الأدنى القديم يأخذ منحى جديدا، حيث استقرت فيه الأصول الأولى للفكر، وبدأت مراحل التطور التدريجي النامي نحو المزيد من الاستقرار في محاولة الوصول إلى الحقيقة في مجال قدرة العقل الإنساني، فكان لمنطقة الشرق القديم في هذا الصدد أولوية خاصة تتصل بعلاقة المنطقة بالجانب المادي للدين. وهذا ما يمكن مشاهدته على الآثار التي عبرت عن الفكر الديني لإنسان تلك الفترة, ولوحظ أن هناك اتصال وثيق بين ماهو فكري وما هو مادي، خاصة منها الحياة الزراعية، فقد آمن الإنسان ابتداء من هذه الفترة بأن الإنتاج الزراعي ارتبط برضا القوى الطبيعية، وآمن أن سعادته ترجع إلى مدى رضا هذه القوى عنه[4].

(1)- فوزي رشيد وآخرون، **الديانة، (حضارة العراق)، ج1،** المرجع السابق، ص 145.

(2)- جفري بارندر، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، تر: إمام عبد الفتاح إمام، مر: عبد الغفار مكاوي، سلسلة عالم المعرفة، العدد 173، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993، ص 08.

(3)– طه باقر، المرجع السابق، ص 36.

(4)- رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص 32-33.

ولم تخرج منطقة وادي الرافدين عن هذا الإطار باعتبارها جزء من الشرق الأدنى فقد اعتمد سكانها بصورة رئيسية في زراعتهم على المطر كما الحال في الوقت الحاضر بالنسبة لزراعة الحبوب في المناطق الشمالية من وادي الرافدين والسبب في ذلك لأن أراضي هذه المناطق متموجة ولا ينفع معها استخدام أنظمة الري، ولذلك فإنها مضطرة للاعتماد على مياه الأمطار، وبسبب هذه الحقيقة فإن أولى هذه الحضارات الزراعية الديمية قد نشأت في المناطق التي كانت أمطارها الفصلية كافية لنمو الزرع أي عند سفوح الجبال في المناطق الشمالية والشمالية الشرقية من وادي الرافدين[1].

واعتماد الإنسان الرافدي على الزراعة في حياته كان سببا في عبادته للخصوبة وهي عبادة الأرض أو الآلهة الأم كما تدل على ذلك دمى الطين التي وجدت في جرمو[2] وحسونة[3] وكثير من مستوطنات العصر الحجري الحديث، وهي تمثل امرأة بدينة مبالغ في حجم ثديها(أنظر الملحق 02 ص 176)، والمرجح أن عبادة الشمس بسبب أثرها في الزراعة قد بدأت بعد عبادة الأرض على هيئة آلهة، كما وجدت تماثيل مصنوعة من الطين والفخار ترمز إلى عضو الذكر ولعلها اتخذت للعبادة باعتبارها ترمز إلى الخصب والحياة[4]،

---

(1)- فوزي رشيد وآخرون، المرجع السابق، ص 145-146.

(2)- جرمو: وهو موقع يقع شرق كركوك في منطقة كردستان العراقية، ويعرف هذا الموقع الآن باسم"قلعة جرمو"، ويتكون موقع قرية جرمو التي تعتبر من أقدم قرى العصر الحجري الحديث من ستة عشر طبقة أثرية تمثل مرحل تطور هذه الحضارة التي يعود تاريخها إلى حوالي 6750 ق.م. أنظر: أحمد أمين سليم، **دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم-العراق، إيران-** دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996، ص 81.

(3)- حسونة: يقع التل في غرب نهر دجلة جنوب الموصل، وقد عثر فيه العراقيون على آثار ما يسمى بحضارة تل حسونة، يتكون موقع حسونة من سبع عشرة طبقة أثرية، ويوجد الإنتاج الحضاري الخاص بالعصر الحجري الحديث في الطبقات الخمس الأولى منها، ويؤرخ بداية حضارة حسونة ببداية الألف السادس ق.م. أنظر: نفسه، ص 89.

(4)- طه باقر، المرجع السابق، ص 44. للمزيد حول عبادة الآلهة الأم أنظر: نائل حنون، شخصية الأم ودور الآلهة انانا عشتار، مجلة سومر، المجلد34، ج1+2، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد، 1978، ص ص 22-30.

وتطورت العبادة فيما بعد حتى أصبح غياب الماشية وخضرة الأرض في فصلي الخريف والشتاء يعني غياب دموزي إله الخصب[1].

ويمثل الفكر الديني السومري حلقة من تطور الفكر الديني في وادي الرافدين، وهو نابع من مختلف التجارب التي واجهها الإنسان السومري جنوب وادي الرافدين، فقد بدأ السومري حياته في تلك المنطقة بإنشاء القرى وإقامة الحياة الزراعية والصناعية المستقرة فيها، ولكنه سرعان ما واجه منذ البداية بيئة أرضية وجوية ومائية نهرية وبحرية متغيرة لم تنعم بالاستقرار، اتصفت بالتقلب والتغير المستمر، ووصل مداها إلى درجة تهديد حياة الإنسان[2]، فبالإضافة إلى فيضانات الدجلة والفرات، فالأمطار العاتية شكلت هي الأخرى خطرا وحولت الأراضي إلى بحر من الطين.

ولم تكن كل هذه الكوارث شرا، فقد حققت له بعض النفع[3]، وقد دفعته هذه الحوادث منذ عصور ما قبل الأسرات أي منذ عصر العبيد إلى البحث والتعمق في دوافع الإشكالات البيئية، وهل من وسيلة للتحكم فيها هذا من جهة، ومن جهة ثانية اتخذت هذه الحوادث حدا فاصلا في حياته الفكرية واهتم بتسجيلها، على أن أهم خطوة خطاها هي اختراعه الكتابة الصورية التي كانت العنصر الفعال في كافة القيم والمعتقدات، وقد وصل الاهتمام بهذه الخطوة الحضارية الهامة إلى اعتبار عملية التدوين في حد ذاتها لها ارتباطها المباشر وغير المباشر بالفكر الديني والمعابد والكهنة[4].

واعتبر الإنسان الرافدي أن ما يحيط به مملوء بالمقاصد والإشارات الموجهة إليه وطبق ذلك على ما هو في الأعلى (السماء)، وما هو في الأسفل (الأرض)، وعلى كامل الطبيعة التي زودها بنوايا وجعلها تمنحه مساعدتها أو تعاديه وفقا لتصرفاته[5]، فقد اعتبر السماء منذ البداية ذات أولوية خاصة في فكره الديني، ويمكن محاولة تفسير ذلك على أساس

---

(1)- قاسم الشواف، **ديوان الأساطير-سومر وأكاد وأشور**-الكتاب الأول، دار الساقي، بيروت، 1996، ص 104.

(2)- رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص 53.

(3)- أحمد أمين سليم، (**دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم)**، المرجع السابق، ص 171-172.

(4)- رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص 49-50.

(5)- قاسم الشواف، المرجع السابق، ص 16.

أن السماء بالنسبة إليه كانت مصدرا للأمطار المتجمعة في مجاري الأنهار، وبالتالي مصدرا أساسيا لري الأراضي الزراعية التي يعتمد عليها في حياته، وقد عبر في اللغة السومرية عن السماء بكلمة آن (An) ومن هنا آمن بوجود تلك القوة الخاصة التي تتحكم في السماء وحملها الصفة الإلهية وبذلك اعتقد في وجود إله السماء آن، وقد استمر في متابعة الاعتقاد في وجود قوى أخرى عديدة اتجه أيضا إلى تأليهها، ومن أهم تلك القوى الفعالة في حياته الهواء أو الجو والأرض والكواكب كالشمس, القمر, النجوم, البحر والنهر، ولم يكتف الإنسان السومري بتلك القوى فحسب بل اتجه إلى الاعتقاد أيضا في وجود عدد ضخم من القوى المتحكمة في كافة مظاهر الحياة حتى جوانبها الخاصة أطلق عليها باللغة السومرية كلمة دينجر(Dingir) بمعنى إله[1].

وقد آمن الإنسان السومري بفائدة تلك الآلهة التي يمكن تسميتها بالآلهة الثانوية بالمقارنة بالآلهة الرئيسية في المجال الاقتصادي والحيوي بوجه عام، فهي القوى التي يعتمد عليها اعتمادا مباشرا في تسيير مختلف شؤون حياته، ومن أمثال تلك الآلهة الثانوية الإلهة نيسابا (Nissaba) إلهة القصب والإلهة نينتو (Nintu) إلهة الولادة الشخصية التي اعتبرها بمثابة قوى إلهية خيرة توجه الإنسان في حياته.

وقد كان للهجرات السامية إلى منطقة وادي الرافدين أثر في نوعية الفكر الديني، فقد تبنت هذه الشعوب آلهة الأقاليم القديمة التي تعود أصولها إلى عصور ما قبل التاريخ والتي كانت تمثل قوى الحياة والموت وأسرار الكون التي شكلت دعائم السومريين[2]، فقد تأثر الأكاديون الذين استوطنوا بلاد الرافدين بالحضارة السومرية، وبخاصة في المجال الديني فاحتفظت الآلهة السومرية بمكانتها لديهم[3]، وعندما استطاعوا أن يفرضوا سلطانهم على سومر قرابة منتصف الألف الثالثة ق.م لم يسعوا وراء تحريم المعبودات السومرية، بل اكتفوا بأن يمنحوا -في أغلب الأمر- المعبود الاسم السامي الشائع فإله الشمس "أوتو" في لارسا يماثله "شمش" إله الشمس السامي الذي ازدهرت عبادته في سيبار (أبوحبة) في أكد

(1)- رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص 54-55.

(2)- أنطوان مورتكات، المرجع السابق، ص 94.

(3)- فيصل عبد ا ، عبدا مرعي، المرجع السابق، ص 110.

وكوكب الزهرة التي تعبد تحت اسم "اينيا" في مدينة الوركاء كانت هي "عشتار" الأكدية[1] مع احتفاظهم بصفاتها الأساسية[2]، وفي ذلك يقول توينبي: "فأكثر الآلهة الأكدية كانت آلهة سومرية تخفيها غلالة دقيقة من الأسماء السامية"[3].

وفي العصر الأكدي دخل تقديس الملوك لأول مرة، مثلما حدث مع الملك "نرام-سن" حيث صور هذا الملك في المنحوتات بالقرنين على خوذته وهي إشارة الإلوهية، وسبق اسمه في الكتابات بعلامة إله، ومن الصعب معرفة الأسباب التي أدت إلى ظهور عبادة الملك والتي ربما يكون هو نفسه قد شجع عليها، وقد عمت هذه الظاهرة خلال سلالة أور الثالثة حيث اعتبر ملوكها من شولكي آلهة وكذلك غالبية ملوك سلالتي أيسن ولارسا، وصار الناس يقسمون بهم، ونظمت التراتيل لهم، وأدخلت الأعياد على شرفهم، ودخلت أسماؤهم في أسماء الناس الشخصية، كما خصصت في هذا العصر آلهة كثيرة للحرب والنصر مثل "أنونا أريننا" (نصر) و"شدوري" (حصين)[4].

وقد عرف الفكر الديني أهم تغير نسبي مع مجيء الأموريين، فعندما أصبحت بابل المركز الرئيسي في وادي الرافدين أصبح الإله "مردوخ" هو الإله الرئيسي لدى البابليين وعلا شأنه خاصة مع وصول حمورابي إلى الحكم، ولما أراد الكهنة تثبيته قالوا أنه حقق مآثر كثيرة اتجاه الآلهة، فأصبح بذلك هو الإله الأعلى، وقد صورت الأساطير البابلية هذا الإله خاصة في أسطورة الخليقة البابلية[5]، وقد أدرك البابليون إمكانية ظهور آلهة متعددة كأوجه لرب واحد (التفريد)، فنقرأ في النص التالي: "نركال هو مردوخ المعارك، زبابا هو مردوخ المذابح، انليل هو مردوخ الشورى والحكم، وشمش هو مردوخ الحق والعدل"[6].

(1)- نجيب ميخائيل إبراهيم، **مصر والشرق الأدنى القديم-حضارات الشرق القديم العراق وفارس**-ج6، دار المعارف، لبنان، 1967، ص 106.

(2)- فيصل عبد ا ، عبد ا مرعي، المرجع السابق، ص 110.

(3)- أرنولد توينبي، **تاريخ البشرية**، ج1، تر: نقولا زيادة، ط3، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1985، ص97.

(4)- سامي سعيد الأحمد، **المعتقدات الدينية في العراق القديم**، دار المنشورات الثقافية، العراق، 1988، ص12.

(5)- نعيم فرح، **موجز تاريخ الشرق الأدنى السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي**، دار الفكر، (د.م)، 1972، ص 44.

(6)- سامي سعيد الأحمد، (**المعتقدات الدينية في العراق القديم**)، المرجع السابق، ص 14.

ومع أن هذا الإله احتل المكان الأول في الاحتفالات والطقوس، إلا أن الكهنة والشعب لم يتخلوا عن آلهتهم القديمة.

ولم يسع الكاشيون عند مجيئهم إلى إلغاء الديانات المحلية التي بدت راسخة وطيدة بل أنهم أسهموا في تزيين المعابد وبنائها وتشييد الزيقورات[1]، كما طابقوا آلهتهم مع الآلهة البابلية، فطُوبق الإله "شيباك" مع مردوخ، كما تعاظم دور مردوخ ووصل قمته في هذا العصر، وتقدم الأسماء المدونة على الأختام ومختلف النصوص كثرة الأسماء التي دخل في تركيبها مردوخ وكثرة رموز هذا الإله وصوره، وهناك أسماء ذهبت بعيدا في رفعة مردوخ مثل"مردوخ كبيتي ايلاني" بمعنى: أثقل الأرباب وزنا مردوخ، و"ومردوخ شار ايلاني" بمعنى: مردوخ ملك الآلهة. ويبدو أن الكاشيين جعلوا آلهتهم أربابا ثانوية واكتفوا بتصوير رموزها [2].

أما عند الأشوريين فقد بقيت الأصول الدينية البابلية أيضا في جوهرها تهيمن عليهم إلا أن الدين لم يكن له من السلطان على أصحاب الحكم بقدر ما كان له في بابل، وقد كيفوا الدين بحيث يصبح ملائما للميول الحربي والطابع العسكري الذي تميز به الأشوريون[3]. يقول ل.ديلابورت: "لم يكن الدين الأشوري يختلف عن البابلي في روحه فكانت العبادة من وحي التقاليد العتيقة لسيبار وأوروك وبابل، أما العقيدة فقد تناولها التعديل لتلائم العبقرية الخاصة لجنس حربي"[4].

فكان أشور هو إلههم القومي، وملك الآلهة جميعا، فهو خالق البشرية عندهم وهو إله الحرب واحتلت زوجته "عشتار" المركز الثاني عند الأشوريين[5]، وقد دلت الأسماء من "عشتار" و"سين" و"شمش" بأن الأشوريين قدسوا وعبدوا الأجرام السماوية (شمش وادد)[6].

(1)- نجيب ميخائيل إبراهيم، المرجع السابق، ص 107.

(2)- سامي سعيد الأحمد، **(المعتقدات الدينية في العراق القديم)**، المرجع السابق، ص 15-16.

(3)- جميل مدبك، **الديانات القديمة**، دار كريبس، بيروت، 2001، ص 31.

(4)- L. Delaporte, Op.Cit, p 345.

(5)- جميل مدبك، المرجع السابق، ص 31.

(6)- سامي سعيد الأحمد، **(المعتقدات الدينية في العراق القديم)**، المرجع السابق، ص 13.

ومع ظهور ملوك السلالة البابلية الحديثة ظهرت الديانة التوحيدية بعد أن جاء اليهود إلى بلاد بابل إبان السبي البابلي الثاني، وقد أدت إلى زعزعة المعتقدات الدينية القديمة وظهر صراع ديني حاد بين الناس، وربما ذلك دفع آخر ملوك هذه السلالة إلى التركيز على عبادة الإله "سين" إله القمر ليواجه الديانة التوحيدية الجديدة سيما وأن الإله سين من الآلهة المعروفة لدى جميع الأقوام التي خضعت للنفوذ البابلي والأقوام القادمة من الجزيرة العربية بخلاف عبادة مردوخ التي اقتصرت على بلاد بابل، غير أن اهتمامه بالإله سين وإهماله للإله الرئيسي مردوخ أثار سخط كهنة بابل وسكانها الذين رأوا في ذلك انتقاصا من عبادة إلههم القومي، وتشير النصوص المسمارية إلى أنه عاود الاهتمام بالإله مردوخ لترضية السكان والكهنة، وقد استغل كورش الفارسي هذا الصراع فادعى بأنه جاء إلى بابل لإنقاذها وآلهتها القومية[1].

وبذلك فإن هذه الإلمامة السريعة بالملامح التي مرت بها الديانة في منطقة وادي الرافدين تبين لنا شيئين مهمين:

- أن الدين السومري أول نظام ديني عميق ابتدأت منه العصور التاريخية للإنسان، فقد كانت أديان ما قبل التاريخ تفتقر إلى شبكة النظامية الدقيقة التكوين ولوحدة الإيقاع في العقيدة والطقوس والميثولوجيا، وكان ظهور الدين السومري ثورة روحية عميقة في عصره لأنه كان نظاما دينيا شاملا، ثم أنه احتوى ضمنا أغلب بذور جذور الأديان التي ظهرت عبر المراحل التاريخية للإنسان[2].

- أن الدين في منطقة وادي الرافدين كل متكامل له أصول واحدة وإن اختلفت بعض صوره فالتطورات السياسية أثرت في مركز الآلهة علوا وهبوطا، حيث كان إله الدولة المتفوقة يغدو إلها رئيسيا أو محليا شاملا لما تكون الدولة قد أخضعته لسلطانها من أقاليم ومتفوقا على آلهتهم ولم تكن هذه الظاهرة مع ذلك تؤدي إلى إهمال الآلهة التي نزلت عن مركزها نتيجة لعلو منزلة السلالة المتفوقة، بل كانت تبقى في عداد الآلهة إما نتيجة لتمسك عابديها الأولين

(1)- عامر سليمان، أحمد مالك الفتيان، **محاضرات في التاريخ القديم**، مؤسسة دار الكتاب للطباعة، الموصل، (د.ت)، ص 204-205.

(2)- خزعل الماجدي، **متون سومر**، الكتاب الأول، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 1998، ص 46.

أو لما شغلته في الأذهان من مكانة دينية [1]، وهو ما ذهب إليه فيليب حتي في قوله: "إن أقدم شكل نعرفه للديانة العراقية القديمة كان في جوهره تأليها لقوى الطبيعة وعبادتها، ففي أثناء العصور التي تطورت فيها هذه الديانة، نلحظ أن السومريين سكان البلاد الأوائل قسموا الكون إلى السماء والأرض وما يتولى أمرها ثالوث من الآلهة، وعندما جاء الساميون الجدد أقاموا نظام ديانتهم على أساس الديانة السومرية، وعندما زهت بابل وعلت مكانتها أصبح الإله السامي مردوخ ولقبه البعل إله الأمة الأول وكذلك الأمر عندما بلغت نينوى شأنا مرموقا ارتقت مكانة إله سامي آخر هو الإله أشور وأصبح رئيسا للآلهة.."[2].

2. الآلهة وخصائص الديانة:

أ. الآلهة:

نظرا لاتصاف الديانة بمبدأ الحيوية أي تجسيد الظواهر الكونية والطبيعية بهيئة آلهة فقد نتج عنه وجود آلهة كثيرة حتى أنها بلغت من الكثرة بحيث أن السكان القدماء نظموا فيها قوائم مطولة، لذلك سأتطرق لأهم الآلهة التي عرفها السومريون والبابليون:

1. آلهة الكون:

- آن، أنوم، أنو An, Anum, Anu:

إله السماء وهو على رأس الآلهة السومرية وهو يسكن السماء، وكتب اسمه في صورة تشبه صورة النجمة ذات ثمانية رؤوس ومراكز عبادته كانت في دير، أكد والوركاء[3].

واعتبرت النصوص المسمارية الإله "آنو" والدا للعديد من الآلهة مثل إله الهواء انليل وإله الجو أدد، وآلهة الحب والحياة وغيرها من الآلهة، وذلك بالإضافة إلى أبوته للآلهة السبعة الشريرة، ولما كان آنو أبو الآلهة فهو النموذج الأول لكل الآباء، ولما كان الملك والحاكم الأقدم فهو النموذج الأول لكل الحكام والشارات التي ترمز إلى جوهر الملك

---

(1)- محمد عزة دروزة، **تاريخ موجات الجنس العربي ومآثرها في العراق قبل العروبة الصريحة**، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت)، ص 160-161.

(2)- فيليب حتي، **موجز تاريخ الشرق الأدنى**، تر: أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، 1965، ص 57.

(3)- George Contenau, **La Vie Qoutidienne a Babylone et en Assyrie**, Hachette, Paris, 1950, P 253.

كالصولجان والتاج ورباط الرأس وعصا الراعي، وهي شارات لاتُستمد إلا منه، فقد اعتقد سكان وادي الرافدين أن هذه الشارات قد وجدت قبل أن يظهر أي ملك بين البشر وقد كانت كلها في السماء بين يدي آنو، ومن هناك هبطت إلى الأرض، واعتقدوا أيضا أن قوة الملك تستمد من آنو، وهو مصدر كل سلطة في المجتمعين الإلهي والبشري(1).

ورغم الدور الذي بلغه إلا أنه تراجع بتراجع سومر عن المسرح الحضاري ليخلفه الإله مردوخ، وبعد انطفاء هذا الإله لمع نجم أشور، حين أصبحت السيادة بيد شعبه الأشوري(2).

- انليل Enlil - Elil:

بالسومرية (ان-ليل) و(ال-ليل) بالاكدية(3)، أي أنه يتكون من مقطعين آن تعني السيد وليل تعني الريح أو الهواء فيكون معنى اسمه سيد الريح أو سيد الهواء(4)، ويلقب في النصوص المسمارية بسيد جميع البلدان وبأبي جميع الآلهة وبالجبل الكبير وبالإله الذي يقرر المصائر والإله الذي لا رجعة لقراراته، وبصاحب العينين البراقتين وبالإله الذي يمتلك بين يديه ألواح القدر، وأكدت الملاحم الخاصة بخلق الكون على أنه هو الذي قام بفصل السماء عن الأرض وهو الذي خلق الفأس أداة العمل، وقد صار اسمه يعني "الرب" أو "السيد" حتى أنهم اشتقوا من اسمه صفة الربوبية والألوهية(5).

وعلى الرغم من أن الإله أنو كان رئيسا لمجلس الآلهة فإن القرارات الخطيرة كانت بيد الإله انليل الذي لقب بألقاب أنو نفسه، وهو مصدر السلطة، وهو الذي يعاقب الملوك على أخطائهم، كما أن الحكام وملوك وادي الرافدين كانوا يفخرون بأن انليل هو الذي أعطاهم

(1)- أحمد أمين سليم، (**دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم**)، المرجع السابق، ص ص 183-186.

(2)- سامي أبو شقرا، **موسوعة الأديان**، ج1، دار الاختصاص للنشر، بيروت، 1989، ص 84.

(3)- نجيب ميخائيل إبراهيم، المرجع السابق، ص 115.

(4)- Edouard Dhorme, **Les Religion De Babylonie Et D'Assyrie**, 2ed, PUF, paris, 1949, P 27.

(5)- أحمد أمين سليم، (**دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم**)، المرجع السابق، ص117-118.

السلطة لممارسة الحكم في البلاد، وزوجته ننليل ومن أبنائه ننكرسو الذي شاعت عبادته في مدينة لكش وإله القمر سين[1].

- انكي، أيا En - Ki - Ea:

يأتي في الرتبة الثالثة في مجموعة الآلهة الرافدية، ووجد في نصوص شورباك (قارة) ولجش ولارسا (سنكرة)، واسم ان-كي نجده في مقدمة وخاتمة شريعة حمورابي، وقد ميز السكان بين ثلاثة أنواع من الأرض: الأرض العليا حيث يحكم انليل والأرض السفلى حيث نرجال والأرض الوسطى مابين الأرض العليا والأرض السفلى حيث مملكة أيا Ea وأنكي سيد الماء المقدس، وتمجده أقدم النصوص كملك أبسو –المياه العذبة- ومدينته المقدسة هي أريدو (أبو شهرين) ويحمل معبده لقب أيايزو (E-abzu) بالسومرية أو بيت أبسي(Bit-apsi) بالأكدية بيت أبسو، ويبدو أن السكان تخيلوا أن تحت الأرض مساحة من الماء العذب هي مخزن ومنبع للجداول والأنهار تطفو فوق الأرض[2]، وقد مثلت هذه الآلهة على هيئة امرأة ترفع طفلا ومعه أطفال آخرون التفوا بثوبها، وكانت تعد أم الآلهة وبذلك فهي أم البشر[3] كما لقب بالسيد ذي العين المقدسة[4].

ولكونه إله الحكمة والسحر فقد خلق الإنسان بتشكيل كتلة من الطمي منحها الحياة وذلك عندما تعالت أصوات الآلهة من أجل خلق بديل يحمل عنها مشقة العمل واعمار الأرض، كما أنه أنقذ نسل البشرية من دمار محقق عندما خلصهم من الطوفان[5]، وهو الذي كشف صناعات مختلفة للإنسان ومنبع الذكاء للملوك، وساعد الكهنة على تأدية وظائفهم المقدسة وخاصة في طقوس السحر[6].

---

(1)- فاضل عبد الواحد علي، عامر سليمان، **تاريخ العراق القديم**، ج2، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، 1980، ص 11-12.

(2)- Edouard Dhorme, Op.Cit, P 31-32

(3)- عبد الحميد زايد، **الشرق الخالد-مقدمة في تاريخ حضارة الشرق الأدنى من العصور حتى عام 323 ق.م**، دار النهضة العربية، بيروت، 1996، ص 145.

(4)- حسين نعمة، **موسوعة الأديان السماوية الوضعية-ميثولوجية وأساطير الشعوب القديمة**-ج2، دار الفكر اللبناني، 1994، ص 83.

(5)- فاضل عبد الواحد علي، عامر سليمان، المرجع السابق، ص 13.

(6)- أحمد أمين سليم، **(دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم)**، المرجع السابق، ص 201.

2. آلهة الفلك:

- سين Sin:

اسمه "سي.ان" أو "سي.ان.نو" بالأكدية ورقمه الحسابي 30 وهو يقع بعد أنكي في ترتيب المعبودات، والرقم 30 يعني تمثيل الشهر كاملا، وهو بذلك يعني سيد الشهر واسمه الآخر "نانا" بالسومرية وتعني رجل السماء[1]. وهو إله مدينة أور، وكان يعد والدا للإله الشمس "أوتو" إله مدينة لارسا[2]، ويمثل الإله القمر بهلال وحده أو بهلال مع صورة على هيئة البشر، واشتهر بالحكمة، ويشترك مع الإله الشمس "شمش" في شؤون العدالة، وكان خسوف القمر يحدث بهجوم سبعة شياطين أو أرواح شريرة على القمر. فكانوا يصلون عند الخسوف للإله ويقربون القرابين حتى يظهر مضيئا مرة أخرى، وخصصوا له زوجة هي ننجال وعبدت معه في معبد أور، وشّيد له معبد آخر في حران شمال وادي الرافدين[3].

- شمش Shamsh:

يسمى في السومرية "أوتو" وفي الأكدية شمش وهو معروف بهذا الاسم في كل اللغات السامية، وهو ابن إله القمر وأخو "انانا.عشتار" وزجته "أيا"[4]، وكثيرا ما مثل برمز قرص ذي أربعة خطوط تنبعث منها حزم الأشعة، كما صور بهيئة ملك جالس على عرشه ويحمل في يده اليمنى الصولجان والحلقة، وهما رمزا السلطة، وتاجه مزين بأربعة أزواج من القرون وهو زي لباس الرأس عند الآلهة، وله لحية طويلة كالإله القمر، وتنبعث حزم الأشعة، ولأنه ينير الظلمات فهو إله العدالة والحق والشرائع، وهو الذي أعطى حمورابي شريعته، وهو القاضي الأعظم، وسيد الكهانة والعرافة، وقدسه الأشوريون وشيدوا له معابد[5].

---

(1)- Edouard Dhorme, Op.Cit, P 54.

(2)- ف.فون.زودن، **مدخل إلى حضارات الشرق القديم**، تر: فاروق إسماعيل, دار الثقافة للنشر والتوزيع، سوريا، 2003، ص 194.

(3)- طه باقر، المرجع السابق**،** ص 251**.**

(4)- سهيل قاشا، **أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية**، بيسان للنشر والتوزيع، سوريا، 2003، ص 194.

(5)- كامل سعفان، **موسوعة الأديان القديمة-معتقدات آسيوية**- دار الندى، مصر، 1989، ص 299.

- عشتار **Ishtar, Innina:**

وهي آلهة سومرية وتدعى في الأكدية بعشتار وهي من أبرز وأصعب شخصيات الآلهة في مجمع الآلهة السومري الأكدي، حيث تأخذ أشكالا وصفات كثيرة متباينة، وكان مركز عبادتها الرئيس في كل العصور التاريخية هو معبد اننا (بيت السماء أو البيت العالي) للإله آن في مدينة أوروك في الجنوب، كما كان يوجد لها معبد في كل مدينة سومرية أو أكدية كبيرة وفي كل مدن الدولة الأشورية(1). والآلهة عشتار هي آلهة الحب والحرب وهي تتمثل في كوكب الزهرة، وهي ابنة الإله القمر، وخصها الأشوريون بالتقديس عندهم لأنها آلهة الحرب، سارت مع بعض ملوكهم في طليعة الجيوش وأحرزت النصر، وقد نعتت باللبؤة الضارية واتخذها تموز زوجة له، لكن حبها قضى عليه ولذلك كانت تندبه وتمثل تموز في خضرة الربيع(2)، ويصف قانون حمورابي مظهرها كمحاربة بأنها "سيد المعارك" التي تقضي على من يتناول القانون بالتحوير أو التغيير(3).

3. الآلهة الوطنية:

- مردوخ **Marduk:**

وهو إله مدينة بابل الرئيس، ومعنى اسمه باللغة السومرية "عجل الشمس" أما اسمه باللغة البابلية فهو "مار-دوك" أي بمعنى ابن الإله "دوكو" ومعناها "التل المقدس" وهو مجلس الآلهة، ويقع ضمن المنطقة الجبلية الشرقية لمنطقة بابل، ظهر اسم الإله مردوخ منذ عصر ميسيليم حوالي 2600 ق.م. أما ارتباط اسمه بمدينة بابل واتخاذها له كإله رئيس فقد حدث ذلك منذ زمن سلالة أور الثالثة 2111-2003 ق.م، والإله مردوخ يعتبر ابنا للإله انكي بينما المعنى الذي يتضمنه اسمه يشير إلى علاقته بالإله شمش أكثر من علاقته بالإله انكي ويعود أقدم وصف أدبي للإله مردوخ إلى مقدمة شريعة حمورابي، وعندما عظم شأن بابل ارتفع شأن الإله مردوخ على أنه هو الذي قام بخلق الإنسان، وهو الذي قرر قيامه بالعمل

---

(1)- سهيل قاشا، المرجع السابق، ص 300.

أنظر كذلك: Myriam Philibert, **Dictionnaire Des Mythologies**, Brobar a Taupin, France, 2002, P 251-252 .

(2)- كامل سعفان، المرجع السابق، ص 62.

(3)- نجيب ميخائيل إبراهيم، المرجع السابق، ص 131.

الذي كانت تقوم به الآلهة قبله وما دام الإله مردوخ يمثل رمزا للسلطة السياسية البابلية فقد أوكلت إليه الكثير من المهام، وقد أشارت النصوص المسمارية على أنه إله الحكمة وإله طارد الأرواح الشريرة وشافي الأمراض وسيد القنوات والحقول والإله الحاكم والمجاب للضياء. ولمردوخ عدة رموز منها رسم عبارة عن حيوان مركب كل عضو فيه مأخوذ من حيوان يختلف عن الحيوان المأخوذ فيه العضو الآخر ويدعى هذا الحيوان بالبابلية "الموشخوشو"، وهناك رمز آخر يصوره بدكة معبد مع حيوان الموشخوشو، ويسمى معبده في بابل إيساكيلا وتعني المعبد المرفوع الرأس(1).

- نابو Nabu:

إله أكدي ظهر في وثائق عصر أور الثالثة والعصر البابلي القديم على شكل "بنيوم" ثم تحول إلى "نابوم" في عصر أحدث، وعرف في التوراة واللغة اليونانية باسم "بنو" وهو ابن مردوخ وكان يشارك زوجته "تشمتو" في معبد واحد في بورسيبا المدينة المجاورة لبابل ومن صفات نابو أنه كان إله الكتابة وحامي الأدباء والمدافع عنهم، وبصفته كاتبا فقد كان يحتفظ بألواح القدر، وهذا يعني أنه كان يتحكم كإله رئيس بمقدرات الكون فانتزع بذلك أسماء مردوخ في المدائح الإلهية، وصفات انكي إله الحكمة والحياة العذبة، ويرمز له بالقلم وهو نفس رمز الإلهة "نيسابا"(2).

4. آلهة الطبيعة:

- أشكور، أدد Iskur, Adad:

من الآلهة الخاصة بالجو والمناخ ولاسيما الأمطار والرعد والفيضان وما شابه ذلك ويرجح كثيرا أن أصل هذا الإله من الساميين الغربيين في جهات سوريا، وعبده الحيثيون باسم "تشوب" الذي تمركزت عبادته بوجه خاص في سوريا وآسيا الصغرى، ويرمز للإله "أدد" عادة بالشرارة الصاعقة بثلاث شعب، ولم يعين موضع عبادته بالضبط، وقد سموه

(1)- فوزي رشيد وآخرون، المرجع السابق، ص ص 161-163.

(2)- سهيل قاشا، المرجع السابق، ص 305-306.

"بيت-قرقار" وشيد له معبد في بابل وبورسيبا وكذلك قدسه الأشوريون وعبدوه وشيدوا له معبد في بلاد أشور مع الإله آنو[1].

- دموزي Dumuzi, Tamuz[2]:

الإله الذي جسد الخصب في الأسطورة والطقوس السومرية والبابلية، لقب الثور الوحشي الذي يعني الابن المخاص[3]، ويعني اسمه عند السومريين الابن الشرعي وهو عشيق وزوج الآلهة انانا المنفي إلى العالم السفلي[4]، وقد ورد ذكره في اللوحة السادسة من ملحمة جلجامش[5].

- نيسابا Nissaba:

إلهة سومرية كانت إلهة الحبوب، وهي ابنة آن وفي مجمع آلهة لجش أخت نينجرسو وابنة انليل ثم أصبحت إلهة الكتابة والحساب والعلوم والعمران والفلك[6]، فقد تردد على ألسنة المعلمين بفضلها في تمكين التلميذ من إنهاء فترة دراسته وتخرجه من المدرسة حيث نجد في أحد النصوص: "لقد أصبحت أهلا للقب الكاتب، لقد أعليت قدر نيسابا ملكة المعارف، فالحمد يا نيسابا". وزوجها الأول الإله خايا (Khaya) سيد الرقيم المختوم أو إله الكتبة، وقد أصبح الإله نابو فيما بعد زوجها، وقد ظهرت الإلهة نيسابا في طبعة ختم أسطواني يعود إلى العصر الأكدي وتظهر فيه جالسة على كرسي وتشع من كتفها أو جسمها

(1)- طه باقر، المرجع السابق، ص 252.

(2)- ذهب مجموعة من الباحثين إلى اعتبار الإله شخصية تاريخية بالأصل، فبموجب القائمة السومرية للملوك يوجد من بين ملوك سومر وأكد ملكان حملا اسم دموزي. أنظر: فاضل عبد الواحد علي، عشتار وتموز وجذور المعتقدات الخاصة بهما في حضارة وادي الرافدين، مجلة سومر، المجلد29، ج1+2، المديرية العامة للآثار، بغداد، 1973، ص 46.

(3)- نفسه، ص 45.

(4)- سهيل قاشا، المرجع السابق، ص 303.

(5)- Edouard Dhorme, Op.Cit, P 16

(6)- سهيل قاشا، المرجع السابق، ص 309.

سنابل شعير[1] وتمسك بيدها حزمة من نبات القصب دلالة على علاقتها بأداة الكتابة وهي القصب[2].

ب. خصائص الديانة:

اتصفت الديانة في وادي الرافدين بعدد من الصفات والسمات العامة, ولعل أهم ما يميزها:

أولا. الحيوية:

أي الاعتقاد بوجود قوى أو أرواح كامنة في المظاهر الطبيعية المختلفة وتجسيدها على هيئة آلهة, فقد جسدت تلك المظاهر ذات التأثير الأكبر في حياة الإنسان فكانت السماء إلها والأرض إلها والشمس إلها والقمر إلها والنجوم آلهة والبرق والرعد إلها.. وبذلك فإن كثرة المظاهر الطبيعية أدى إلى زيادة عدد الآلهة[3].

وهذا التطابق في القوى الإلهية مع الظواهر الطبيعية المتصلة بها تدل عليه الأسماء الإلهية فنجد "آن- السماء" للدلالة على إله السماء و"هرساغ- التلال الفسيحة" للدلالة على المرتفعات القريبة, "نانا- القمر" للدلالة على إله القمر, "أوتو- الشمس" للدلالة على إله الشمس.

والاختيار المبكر لتلك القوى الإلهية التي جرى تصورها في ظواهر طبيعية ذات أهمية اقتصادية للسكان, إذ أن كل مدينة تقوم بمبدأ تقديس الظاهرة وفقا لطبيعتها أو للقوى المؤثرة على اقتصادها[4].

ثانيا. تعدد الآلهة:

لقد كان لكثرة المظاهر الطبيعية التي أثرت في حياة الإنسان أن كانت سببا في زيادة عدد الآلهة, أي أن عدد الآلهة ارتبط بتلك الظواهر الطبيعية[5], وبذلك فقد طغى على الفكر

---

(1)- Myriam Philibert, Op.Cit, P 199.

(2)- عامر الجميلي، **الكاتب في بلاد الرافدين القديمة**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005، ص 102.

(3)- فاضل عبد الواحد علي، عامر سليمان، المرجع السابق، ص 210.

(4)- فراس السواح، **موسوعة تاريخ الإنسان-دين الإنسان**-الكتاب الثاني، دار علاء الدين، دمشق، 2004، ص 158.

(5)- فاضل عبد الواحد علي، عامر سليمان، المرجع السابق، ص 210.

الديني مبدأ الشرك أي تعدد الآلهة فنجد عند البابليين مثلا أن عدد الآلهة بلغ عددا كبيرا بحيث تملأ معجما كبيرا, ووضع البابليون لأنفسهم جداول لأسماء آلهتهم الكثيرة ونظمت إلى مجاميع وذكرت علاقاتها بعضها لبعض, وقسموا الكون إلى مناطق يحكم في كل منها إله أو مجموعة من الآلهة, وكذلك خصصوا لشؤون الحياة المختلفة ولظواهر الطبيعة آلهة بيدها نظامها وأسبابها, ولم يصل البابليون ومن قبلهم السومريون في كل ما نعرفه من أطوار تاريخهم إلى التوحيد, وإنما كانوا يفردون بعض الآلهة ويفضلونها على الآلهة الأخرى(1) فقد يتغير رئيس الآلهة وبطلها تبعا للتغيرات السياسية أو العسكرية, وهذا ما يعرف بمبدأ التفضيل أو التفريد(2), فقد أشار السومريون إلى أن الإله آن هو رب السومريين حصرا (ذوي الرؤوس السود) وإله سومر القوي وهذه إشارة تفريد واضحة(3)، ونفس الشيء عندما انتقلت المكانة إلى مردوخ بعد اتساع سلطة بابل.

<u>ثالثا</u>. الاستمرارية:

وهي من الصفات البارزة في ديانة وادي الرافدين بصفة عامة, فالتطور الحاصل في العصور التاريخية في الألف الثالث ق.م لم يطرأ عليه تغيير كبير في جميع العصور التاريخية الطويلة التي مرت بها هذه الحضارة حتى زوال البابليين السياسي, فالآلهة التي قدسها السكان في العصور التاريخية المتأخرة هي بوجه التقريب الآلهة القديمة نفسها التي قدسوها في الأدوار القديمة, ونفس الشيء بالنسبة للطقوس والشعائر والتراتيل الدينية الأساسية, أما التغيرات التي نجدها فهي في علاقة الآلهة ببعضها البعض, إذ كانت العلاقة ومكانة الآلهة وأهميتها تتغير وفقا للتغيرات السياسية, فعندما تبلغ مدينة قوة سياسية وتبسط سلطانها على المدن الأخرى يعظم شأن إلهها, وهذا ما حدث عندما عظم شأن بابل في زمن حمورابي فارتفع شأن إلهها مردوخ وصار سيد الآلهة, وكثيرا ما يعمد الكهنة إلى تحوير المعتقدات الدينية لتتفق مع التغيير الحاصل في مكانة الآلهة, كما أن المدن قد تنفرد بعبادة إله أو جملة آلهة حيث تخصها بالتعظيم, ولكنها لا تترك تقديس الآلهة الأخرى أو على الأقل لا

(1)- طه باقر، المرجع السابق، ص 227.

(2)- فاضل عبد الواحد علي وآخرون، المرجع السابق، ص 210.

(3)- خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 263.

تنكر وجودها, وهذا ما ذُكر سابقا في ما يسمى بمبدأ التفريد أي خص إله أو جملة آلهة بالتعظيم والعبادة دون ترك الآلهة الأخرى[1]، ومما يلاحظ أيضا أنه حتى في فترات الغزو الأجنبي فإن الغزاة كانوا يقتبسون مما وجدوا, بما فيها من معتقدات وأفكار ونظم, ويعيشون ضمن إطارها العام مع بعض الإضافات البسيطة[2].

رابعا. التشبيه:

وهي النظر إلى الآلهة وكأنها بشر وإعطاء صفات ومميزات الإنسان على الآلهة فهي تأكل وتشرب, تتزوج وتفرح, تحزن وتمرض, تحب وتكره, تغضب وتحقد, تعفو وتنتقم, تتخاصم وتتحارب وتجرح... فكانت الآلهة تمثل أفضل الجوانب البشرية[3], تبعا لذلك فقد صورت الآلهة بأنها تعيش كما كان البشر يعيشون في مجتمع تحكمه قوانين وضوابط معينة وعلى رأس هذا المجتمع يقف رئيس الآلهة يساعده في إدارة شؤون مجمع الآلهة عدد من الآلهة الكبار.

كان للآلهة مجلس تجتمع فيه لتقرير المصائر واتخاذ القرارات المهمة التي تهم الآلهة والبشر[4]. وهو ما ذهب إليه عبد الباسط سيدا في كتابه "من الوعي الأسطوري إلى بدايات التفكير الفلسفي" –نقلا عن خزعل الماجدي- بقوله: "أو أنهم أرادوا الاهتداء إلى المجهول اعتمادا على المعلوم, فقد وجدوا كيف تجري الأمور في العالم الأرضي, وكيف يحكم الملك ويضبط الأوضاع من خلال القوانين والمراسيم التي يصدرها, كما أنهم لاحظوا أساليب تنظيم الحياة الاقتصادية وأهمية الوسائل المعتمدة فتصوروا أن الأمور تجري كذلك في عالم الآلهة, بل أنهم رأوا أن هذا العالم هو الذي عمد إلى إيجاد العالم الكوني, وخلق الإنسان وجعله في خدمته"[5].

وكان لكل إله حاشية كثيرة وزوجة وأولاد فهي تعيش وتأكل وتسكن في المعابد التي تشيدها لها البشر ومع ذلك فقد ميزوا الآلهة عن البشر بصفة فارقة وهي الخلود, فهي لا

(1)- طه باقر، المرجع السابق، ص 226-227.

(2)- فاضل عبد الواحد علي وآخرون، المرجع السابق، ص 211.

(3)- رشيد عبد الوهاب حميد ، المرجع السابق، ص 89.

(4)- فاضل عبد الواحد علي وآخرون، المرجع السابق، ص 211.

(5)- خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 264-265.

تموت بعكس الإنسان الذي قرن بالموت منذ أن خلقت الآلهة حيث استأثرت لنفسها بالخلود كما جاء في ملحمة جلجامش, وإذا كانت بعض الآلهة تموت فذلك لأجل محدود, حيث يمكن لهذا الإله الخروج من عالم الأموات إلى عالم الأحياء كما هو الحال بالنسبة للإله تموز الذي يمثل حياة الربيع, ومساكن الآلهة في السماء, وإذا شاءت أن تنزل إلى الأرض فهي تعيش في بيوت ضخمة هي المعابد.

ولما كانت الآلهة تتصف بصفات البشر المادية والروحية وتحتاج إلى جميع ما يحتاج إليه البشر من طعام ومسكن وعناية تحتم على الناس العناية بعبادة الآلهة؛ أي العمل لها وإقامة بيوتها وتقديم القرابين وإقامة الطقوس وتقديم التماثيل, وقد جاء في أسطورة الخليقة البابلية أن الآلهة خلقت الإنسان ليعبدها, وإذا قصر البشر في واجبهم تجاه الآلهة فإنهم يجازون بعقاب شديد في هذه الحياة حيث يكون العقاب والثواب[1].

<u>خامسا</u>. لكل إله معبد:

كان يقام في كل مدينة كبيرة معبد رئيس لعبادة إله المدينة الحامي أو القومي، وقد تشيد معابد أخرى في المدينة نفسها أقل أهمية لعبادة الآلهة الأخرى، وهناك من المدن ما ضمت أكثر من عشرين معبدا لعشرين إلها إلى جانب إله المدينة الرئيس، وقد تُخصص غرف ثانوية في معبد إله المدينة لتماثيل الآلهة الأخرى وإذا ما ارتفع شأن مدينة ما نتيجة التطورات السياسية ارتفع شأن مركز إلهها على بقية الآلهة وهذا ما حدث مع مردوخ إله مدينة بابل[2].

<u>سادسا</u>. الكهنة:

كان الإشراف على خدمة الآلهة في معابدها، وعلى إقامة الصلوات والطقوس من واجبات مجموعة من الكهان والكاهنات، وكان لكل واحد من هؤلاء لقب حسب المهمة التي يزاولها في المعبد، ولم تكن مهنة الكهنة مقصورة على الأمور الدينية فقط، بل كانت لهم مهام ثقافية وهي الأخذ بالمعارف واستنساخ التآليف الأدبية والدينية من وثائقها الأصلية

(1)- طه باقر، المرجع السابق، ص 228-229.

(2)- فاضل عبد الواحد علي وآخرون، المرجع السابق، ص 212.

القديمة، وكانت لهم مهام تعليمية أيضا كتعليم الخط المسماري وقواعد اللغة والإشراف على الجوانب الاقتصادية للمعبد.

ويأتي في مقدمة كهنة المعبد الكاهن الأعظم (في السومرية En) وتوازيه في المرتبة الكاهنة العظمى، ويبدو أن منصب الكاهن الأعظم في العصر الشبيه بالكتابي (في حدود 3500-2800 ق.م) كان مزيجا من السلطتين الدينية والدنيوية، وأن السلطة الدينية انفصلت بعد ظهور الحاكم أو الأمير (في السومرية Ensi)، كما ضم المعبد أصنافا أخرى منها كاهن سنكا (Sanga) الذي يتولى الإشراف على تقديم الأضاحي، وكاهن البارو(Baru) أو العراف والكاهن العزام الأشيبو، أما شؤون الاغتسال والتطهير فكانتا من واجبات كاهن يحمل لقب رمكو (Ramku)، في حين كانت مهمة القيام بالدهان المقدس من واجبات كاهن آخر يسمى باشيشو (Pashishu)(1) (انظر المخطط رقم01 ص 171).

3. طقوس الديانة:

لا يوجد دين بلا طقوس, فهي من مستلزمات الدين, وتتجلى العبادة بإجراء الطقوس وتضع الأساطير بعض أسس الطقوس ومظاهرها, ويستمر أداء الطقوس لأن الأسطورة أكدت إجراءها فيما مضى، وقد أوضح موريس ليمان أهمية الطقوس لدى القدماء بقوله: "إن الطقوس تؤكد الاحتياج الذي يجعل الإنسان والطبيعة يتعاونان، والطقوس أسلوب من التعبير للنفوذ في العالم الذي لا يخضع للتجربة ولإجراء مقايضة معه"(2).

أما خزعل الماجدي فيعرفها في قوله: "هي الشعائر والأعمال الدينية التي تشكل الجانب العملي من العقائد واللاهوت, وتعبر عن بعض جوانب الميثولوجيا وتكسبها صفة الديمومة والاتصال مع اللاهوت" (3).

ولأن سكان وادي الرافدين شعب متدين تسير حياتهم خشيتهم من الآلهة وغضبها واعتقادهم أنهم لم يخلقوا إلا بقصد خدمة الآلهة, لذلك فقد أدت الطقوس والشعائر الدور المهيمن في حياتهم ومن أهم هذه الطقوس:

---

(1)- فاضل عبد الواحد علي، **من سومر إلى التوراة**، ط2، سيا للنشر، مصر، 1996، ص ص 79-81.

(2)- نقلا عن: طه الهاشمي، المرجع السابق، ص 217 .

(3)- خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 309.

أ. الطقوس اليومية:

ليس المقصود بالطقوس الدينية اليومية التي تمارس كل يوم, بل الطقوس الدينية الشائعة والتقليدية ونجد في إحدى نصائح الحكمة ما يشجع على القيام بهذه الطقوس:

أعبد إلهك كل يوم
وقدم له القرابين والصلوات
التي تتم على أكمل وجه مع تقديم البخور
قدم قربانك طائعا لإلهك
لأن ذلك يتناسب مع الآلهة
قدم له الصلاة والضراعة والسجود كل يوم
وسوف تثاب على ما تفعل
عندئذ سيكون بينك وبين الآلهة اتصال كامل
إن التبجيل يولد الخطوة
والقربان يطيل الحياة
والصلاة تكفر الذنب[1].

وتعتبر الصلاة من أهم الطقوس في الديانة, وحلقة وصل بين الأرض والسماء أو بين الإنسان والإله, وارتبطت بممارسات محددة يتقدمها التطهير التام والوضوء بغسل اليدين والركوع والسجود ورفع اليدين إلى الآلهة والتمتمة ببعض الابتهالات والأدعية بما فيها الشكاوي والتوسلات وعبارات الشكر والطاعة والعفو والمغفرة, وبذلك شكلت الصلاة طريقة الاتصال الفردي بالإله لقصد تحاشي غضبه وعقابه وكسب رضائه واستعطاف بركاته وعبرت عن الورع والخوف والخشوع ومحاولة تحقيق السلام الروحي للفرد وضمان مسيرة حياة المتعبد وتحقيق أمنياته وتطلعاته من حيث الرخاء والصحة والأولاد وطول العمر وفي غير ذلك, أي عند معصية الخالق يعتبر الشخص مسؤولا عن مصيبته وخيبته في غياب الحماية الإلهية[2].

---

(1)- جفري بارندر، المرجع السابق، ص 23.

(2)- رشيد عبد الوهاب حميد، المرجع السابق، ص 93.

واحتلت شعائر التطهير مكانة محورية ضمن عموم الشعائر الدينية الشائعة, وكانت تهدف بالدرجة الأولى إلى إزالة مظاهر القذارة الخارجية المتنوعة, وكذلك الدناسة الداخلية وقد برزت ضرورتها خلال ممارسة شعائر المعابد والشعائر الخاصة وكذلك في القصر الملكي وكذا في مجال الممارسات السحرية, وأبرز وسائل التطهير الماء ولا سيما المياه الجارية, والزيت كما كان ثمة بعض النباتات التي تتمتع بخاصية التطهير وبعض الخلاصات المعدنية, وقد شهدت المعابد ممارسات تطهيرية يومية وأخرى سنوية تجري خلال الاحتفال بعيد رأس السنة, وكان تدشين المعابد يتضمن أنواع خاصة من التطهير[1] الذي لم يكن وحده حيث يقام معه طقس إحراق البخور وهو طقس يومي يجري في المعبد, وكان الكهنة المطهرون هم الذين يقومون به بالدرجة الأولى, ولكن كهنة من أصناف أخرى كانوا يقومون به مثل الكاهن المعزم "أشيبو" فقد كان إحراق البخور يلازم التعزيم وذلك لاعتقادهم بأن مادة البخور وخصوصا الحرمل كانت تقوم بطرد الأرواح الشريرة لأن مادة البخور عندما تملأ المكان فإنها تحاصر هذه الأرواح وتجعلها تخرج من الأبواب والشبابيك خصوصا وأن البخور يشبه الأشباح التي كان يعتقد أنها شكل من الأرواح الشريرة.

ومن الأمور المألوفة في المعبد أيضا طقس فتح فم الإله وغسله, وكان هذا الطقس يجري على أساس أن التماثيل الجديدة للإله تُمنح الحياة بهذا الطقس, وكان طقس غسل الفم يجري بعد أن توضع جرتان مملوءتان بالماء المقدس في مكان التمثال وقطعتان من القماش حمراء وبيضاء إلى جانبه, ثم تقدم الأضاحي إلى ذلك الإله ويرافقها غسل فمه بواسطة أعشاب كالأثل وسبعة أعواد من الأرز وقطعة قماش وملح وصمغ الأرز ودهون وأحجار كريمة... ويتم ترديد بعض العبارات الطقسية الخاصة لذلك, بعدها تقدم القرابين والأكل للإله والهدف من هذا الطقس أنه بمثابة عملية حقن التمثال الذي صنعه الحرفي بالحياة والروح التي يصنعها الكاهن[2], وكان إهماله (الطقس) يعني بأن تمثال الإله مجرد مادة جامدة لا تستطيع فعل أي شيء, كما أن فتح الفم كان ضروريا بعد القيام بعمليات ترميم التماثيل [3].

(1)- ف. فون. زودن، المرجع السابق، ص 216.

(2)- خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص ص 315-318.

(3)- ف. فون. زودن، المرجع السابق، ص 216.

والطقس الآخر المهم هو تقديم الأضاحي أو القربان والذي كان له الدور المهم في الشعائر الدينية, فهو واجب ديني عند السكان, وكان القربان يتكون من طعام مقدم للمعبود يصحبه حرق بعض النباتات ذات الرائحة, وتبين لنا اللوحات والصور ممارسة السكان لهذه الطقوس, فقد قدم لوجال زاجيزي ملك أوروك الخبز والماء النقي للإله نيبور, وأقام جوديا مائدة القربان التي اجتمع حولها آلهة لاغاش, كما وضع حمورابي مأكولات وأطعمة طاهرة أمام الآلهة, وكانت ذبيحة الدم عادة حملا أو جديا وهي تصور في المناظر:

الحمل فداء للبشر

لقد قدم حملا بدلا من حياته

لقد قدم رأس الحمل بدلا من رأس الإنسان

لقد قدم عنق الحمل بدلا من عنق الإنسان

وقد أدت الحيوانات الأخرى نفس الغرض للتكفير عن أخطاء المريض(1), ويمكن أن نميز عدة أوجه للقربان بمختلف أنواعه سواء كان نباتيا كالفاكهة أو حيوانات من ثيران ماشية, ماعز, غزلان, الموجهة للآلهة:

1- اعتباره مجرد طعام للآلهة, فالآلهة يجب أن تطعم وعلى المصلين أن يزودوها بما هو ضروري لهذا الغرض.

2- أن الإله هو المالك للأرض ومن يحرثها هو مستأجر, لذلك كانت القرابين التي يأتي بها تعتبر من خير الأرض أو من الديون التي عليه تسديدها للمالك الإلهي مالك الحقل والمدينة.

3- كانت القرابين ضرورية لكي يظل الإله في مزاج حسن ولتجنب آثار غضبه(2).

4- اعتقد السكان بوجود علاقة بين الإله الذي يقرب إليه القربان المضحى به والحيوان نفسه, إذ عندما يضحى بالحيوان فإنه يكون جزءا من الإله, كما يكون جزءا من أجسام الناس الذين يأكلونه فتكون روح الإله نفسه الذبيحة, وأن روح الحيوان تتمثل بروح الإله, وعلـى

(1)- L. Delaporte, Op.Cit, P 180- 181.

(2)- فراس السواح، المرجع السابق، ص 262.

ذلك فمن الممكن للبشر أن يتطلعوا إلى روح الإله ومن ثم معرفة إرادته بدرس روح الذبيحة[1].

ب. طقوس المناسبات:

إذا كانت الطقوس السابقة تجري بشكل شبه يومي عند المتعبدين أو الكهنة فإن طقوس المناسبات تجري وفق أحداث محددة تمر بالإنسان، فقد كانت عملية بناء المعبد وإعادة بنائه تصحب طقوس كثيرة وشعائر مختلفة[2]، وكانت هذه الطقوس في المراحل السومرية تجري على أساس وضع أشياء في أسس المعابد والمباني ضد العناصر الشريرة كالتعاويذ والتماثيل ورموز الآلهة والمسمار الحجري الذي كان يوضع في هذه الأساسات منقوشا بالتعاويذ والرموز.

وكانت تدفن عند عتبات البيوت الحرز وتماثيل الآلهة والعفاريت والحيوانات لحماية أصحابها من الشر، ويمكن وضع مثل هذه التعاويذ والأشكال عند واجهات البيوت أو على الأبوب مثل رمز إلهة العين أو رمز الإلهة "سبيت" (العيون السبعة)، وقد تطورت فيما بعد طقوس البناء في المراحل اللاحقة وأخذت ترافقها الأضاحي[3].

ويأخذ بناء المعبد بعدا روحيا, فقد اعتقدوا أن تداعي أي معبد نتيجة هجر الإله للمعبد وبالتالي هجره للمدينة التي هو حاميها، وتداعي وانهيار المعبد كان يستوجب الندب والنواح من قبل المكلف بمرافقة طقس الترميم أو إعادة البناء وتلاوة الصلاة الملائمة لمثل هذه المناسبة، والنداب "الكالو" وهو الذي يتدخل لاستخراج آجرة الأساس القديمة للمعبد المنهار ووضعها في مكان سري وذلك قبل تخصيص آجرة المعبد الجديد، وكان على "الكالو" تلاوة صلاة تبدأ بالتذكير بزمن البدء وبعملية التكوين:

عندما خلق آنو السماء

وخلق نوديمو (آيا) لأبسو مقره

استخرج أيا من هذا الأبسو حفنة من الصلصال

(1)- كامل سعفان، المرجع السابق، ص 56-57.

(2)- فراس السواح، المرجع السابق، ص 209.

(3)- خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 323.

وخلق الإله كولا للإشراف على تجديد المعابد[1].

واحتلت الطقوس الجنائزية الدور المهم عند السكان، إذ تبين لنا الملاحم الخاصة بخلق الإنسان بأن الآلهة قد قررت منذ البداية الموت على الإنسان، وقد اعتقدوا أن روح الإنسان بعد مماته تتحمل حسنات أو سيئات الشخص المتوفي، ومقر سكن الروح هي العالم السفلي والأشخاص الذين يموتون موتة غير طبيعية والذين تترك جثثهم بلا دفن فإن أرواحهم تتعذب وتتحول إلى قوة شيطانية، والعالم السفلي يمثل في المعتقدات بالطبقة الأخيرة من الأرض وفوق سقفه كانت تمتد الحياة الجوفية العميقة، وهذا العالم كان محاطا بسبعة أسوار وبنهر يحيط بالسور الأول منه ويسمى خوبور وكان لا يسمح للموتى بعبور هذا النهر إلا بإنجاز الشعائر الجنائزية وأن الوصول إلى العالم السفلي كان يتم خلال عدة منافذ[2].

ومن أجل ذلك قام السومريون ومن ورثهم في إقامة الشعائر الجنائزية والتي عبرت عن الرفعة الحضارية التي وصلوا إليها، وقد كانت الشعائر الجنائزية تقام من أجل إرضاء آلهة السماء وآلهة العالم الأسفل معا حتى يعتنى بالميت ولتجنب غضبها، وتقسم هذه الشعائر إلى ثلاثة أقسام:

<u>طقس الكسبا:</u> وهي الطقوس التي تقدم فيها مختلف الأطعمة إلى أرواح الموتى حيث تذبح فيه الخراف ويقدم الزيت والعطور والبخور والنبيذ الأبيض والفاكهة، وكانت التقاليد تقضي بفرش مائدة الأطعمة والأشربة هذه وتوضع إليها وترتب مقاعد حول المائدة ويترك مقعد واحد لروح الميت الذي أقيمت الوليمة من أجله, وكان هذا المقعد يسمى بالسومرية "كش كوزاديما" ويسمى بالأكدية "كسو أطيمو", وكانت القرابين الجنائزية تقدم أمام تماثيل الملوك بصفة خاصة.

<u>طقس المي نقو:</u> وهي طقوس سكب الماء لإرواء ظمأ الميت، وكان الماء يسكب عبر أنبوب فخاري ينزل من سطح الأرض إلى العالم الأسفل.

<u>طقس الشوماز كارو:</u> والمقصود به تطمين الميت بأن ذكراه لازالت قائمة بين الإحياء وأن نوعا من البقاء من خلال الاسم يتحقق له.

---

(1)- قاسم الشواف، **ديوان الأساطير- سومر وأكد وأشور-** الكتاب الثاني، دار الساقي، 1997، ص 61-62.

(2)- فوزي رشيد وآخرون، المرجع السابق, ص ص 177-179.

وكانت هذه الطقوس تتم بطريقتين: الأولى من قبل عائلة الميت وتشترك فيها بشكل خاص النساء القريبات من الميت، أما الثانية فكانت تتم بتكليف بعض الأشخاص والكهنة الموكول لهم أداء تلك الشعائر فيقومون بتلاوة التعاويذ التي تعمل على تحسين حالة روحه في العالم الأسفل, وكانت الطقوس الجنائزية تقام بعد الوفاة مباشرة أو في أوقات محددة ومختلفة لفترة طويلة بعد موت الشخص(1).

جـ. الطقوس الدورية (الأعياد):

شغلت الأعياد والاحتفالات حيزا مهما في حياة السكان، والأعياد كما هو معروف تقام في أيام محدودة في السنة ويشارك فيها عامة الناس بينما تقام الاحتفالات لمناسبة معينة كأن تكون عند الانتهاء من بناء معبد لإله المدينة أو عودة الجيش منتصرا من جبهة القتال أو أية مناسبة أخرى مهمة تستوجب التقدير والاعتزاز(2)، وقد تكون الطقوس الدورية لإستحضار زمن الخلق الأول، وسواء أكانت الأعياد أسبوعية أو شهرية أو فصلية أو سنوية فإنها كانت جزءا من الدورات التي أعتاد السكان على إحياءها(3).

وأهم الأعياد التي احتفل بها السكان هو الذي يدعى عيد "الأكيتو" الذي عرف في العهد السومري، وزادت شهرته مع مجيء البابليين، وتدل المعلومات على أن عيد الأكيتو أقيم لتكريم الآلهة، فكان يحتفل بعيد رأس السنة في أوقات متفاوتة، وللأكيتو أحيانا عيدان: عيد يقام في الخريف وهو الغالب قبل ظهور البابليين، وعيد الربيع وكان هذا الأخير هو العيد الذي استمر في بابل بعد حكم حمورابي، وهو عيد رأس السنة الذي يحتفل به في بداية شهر أفريل، وكان يستمر اثنتي عشر يوما وكانت مدينة بورسيبا على علاقة أيضا بمختلف مراحل العيد، وكان الإله نابو ابن مردوخ يلعب دورا رئيسيا خلال تلك الأيام(4).

وفي الأيام الخمسة الأولى من عيد رأس السنة الجديدة تجري التطهيرات الدينية في معبد مردوخ في بابل كل صباح قبل شروق الشمس، بعدها يدخل الكهنة المعبد للصلاة لمردوخ وللآلهة الأخرى، وبعد ذلك يقوم الكهنة الآخرون بالأعمال الطقسية المعتادة، وفي

(1)- خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 330-331.

(2)- فوزي رشيد وآخرون، المرجع السابق، ص 207.

(3)- خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 334.

(4)- Marguerite Rutten, Op.Cit, P 92-93.

مساء اليوم الرابع تتلى أسطورة الخليقة بكاملها في المعبد، وفي اليوم الخامس –وهو يوم توبة الملك أو الكفارة عنه- يقوم الملك بالدرو الرئيسي من الطقوس، ففي الصباح يصلي الكاهن الأعلى لمردوخ ابتغاء مرضاته، ثم يطهر المعبد وتقدم القرابين، وتقرأ التعاويذ ويقوم النجارون بصنع منضدة للقرابين ومظلة من الذهب يقدمها ابن مردوخ "الملك" هدية لأبيه وحينئذ يدخل الملك إلى مزار مردوخ ومعه الكهنة، وحين يصل إلى ساحة المعبد يتركه الكهنة، فيظهر الكاهن الأعلى من حجرة الهيكل في المعبد فيأخذ من الملك شاراته وهي الصولجان، الحلقة، القامة والتاج ثم يلطمه على وجهه[1] لتذكيره بكونه إنسان كغيره من الناس، وإعادة شارات الملك تفويض من الإله للملك بالحكم[2]، ثم يسجد أمام الإله ويعترف بما يلي: "لم أذنب يا سيد الأقطار، ولم أك مهملا إزاء ألوهيتك، أخرب بابل، ولم أسبب لها الهوان"، فيجيبه الكاهن الأعلى: "لا تخف، ولا تحزن إن مردوخ سيسمع صلاتك، وسيوسع من سلطانك ويعلي من شأن ملوكيتك.."، ثم يرجع الكاهن الأعلى شارات الملوكية إلى الملك بعد أن يلطمه مرة أخرى، ويستحسن أن تكون لطمة شديدة بحيث تدمع عينا الملك فتكون علامة فأل حسن على السنة الجديدة وعلى رضا الإله[3].

غير أن أهم الطقوس التي ترافق احتفال الأكيتو هي الطقوس الخاصة بالزواج المقدس إذ يقوم الملك أو الكاهن بدور الزوج الإله تموز بينما تقوم الكاهنة بدور الزوجة الإلهة انانا (عشتار) اعتقادا بأهمية مثل هذه الطقوس في بقاء وديمومة ومظاهر الخصب والتكاثر في المجمع البشري، ولما كان هذا الزواج الإلهي ينتهي حسب الأساطير السومرية الخاصة بنزول إله الخصب إلى عالم الأموات، لذلك كان الاحتفال به ينتهي هو الآخر بموت الكاهن والكاهنة مع بقية المشاركين والمشاركات عن طريق تناول جرعة من السم[4].

أخيرا وفي ختام هذا الفصل يتبين أن الدين ظاهرة قديمة قدم وجود الإنسان نفسه إلتصق بعقله وفكره وممارساته منذ أقدم العصور، وقدم خدمات جليلة للبشرية بتقويم سلوك الإنسان في وقت لم تتواجد بعد الدولة والشرطة والقوانين الضبطية، فقد احتل الدين موقعا

(1)- كامل سعفان، المرجع السابق، ص 67.

(2)- طه باقر، المرجع السابق، ص 261-262، الهامش رقم (1).

(3)- كامل سعفان، المرجع السابق، ص 67-68.

(4)- فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص 62-63.

محوريا في حياة الشعوب القديمة، مشكلا بذلك مصدرا مهما لدراسة مسيرة حياتها وطبيعة نموها ونضجها ومن ثم سقوط حضاراتها، فالمعتقدات الدينية ترسم الخطوط العريضة لأفكار وممارسات وسلوكيات الإنسان، قيمه ومزاجه، عاداته وأعرافه، تقاليده وقوانينه... من هنا احتلت دراسة الدين موقعا بارزا في فهم حضارات الشعوب القديمة، وتزداد هذه الأهمية في استيعاب أول حضارة بشرية ناضجة وهي الحضارة السومرية.

الفصل الثاني: المضامين الدينية للأدب في سومر وبابل

I- الكتابة

1- ظهور الكتابة في المعبد

2- مراحل تطور الكتابة المسمارية

أ- المرحلة التصويرية

ب- المرحلة الرمزية

ج- المرحلة الصوتية

3- حل رموز الكتابة المسمارية

II- الموضوعات الدينية للأدب

1- الأساطير الدينية

أ- أسطورة الخليقة- الإينوما ايليش

ب- أسطورة نزول إنانا(عشتار) إلى العالم الأسفل

2- القصص وملاحم البطولة.

أ- ملحمة جلجامش

ب- قصة أدابا

3- التراتيل الدينية والأدعية

أ- ترتيلة للملك شولكي

ب- ترتيلة للآلهة عشتار

ج- ترتيلة الملك نابونائيد

4- الحكم والأمثال

أ- قصة أيوب البابلي

ب- حوار بين صديقين

ج- الأمثال

خلف السومريون والبابليون إرثا أدبيا غزيرا يتصف بالأصالة والتنوع ويعتبر الأكثر قدما, فأقدم النصوص السومرية المعروفة حتى الآن يعود تاريخها إلى 2400 ق.م[1], وبذلك فقد كان للسومريين ومن بعد البابليين إسهام كبير وفعال في إغناء الفكر الإنساني, لكن يبقى فضل هذه الحضارة في تعليم الناس الكتابة في مقدمة المنجزات العظيمة التي أفادت الشعوب القديمة, فبواسطتها تدون الكلمة وتحفظ وتنقل إلى الأجيال القادمة[2]. فقد وصلتنا نماذج كثيرة من مؤلفاتهم مدونة على رقم من الطين بالخط المسماري وباللغة المسمارية و الأكدية (البابلية) وكانت الرقم المكتشفة في مكتبة آشور بانيبال[3] أكثر النماذج شهرة ومحتوى حيث تم العثور على أكثر من عشرين ألفا من الرقم الطينية تناولت مختلف المواضيع, وما يدعوا للإعجاب أنهم لم يتركوا ضربا من ضروب الأدب إلا وطرقوه[4].

وقد تناول الأدب السومري والبابلي وبكلا نوعيه الشعر والنثر الأدبي أو الشعري مواضيع عديدة كانت تشغل بال القوم في حياتهم العامة والخاصة مثل نظرتهم إلى الكون والحياة وأصل الوجود والأشياء والمجتمع الإنساني ومشاكله, وسلوك الفرد والقيم الاجتماعية وحياتهم الروحية والعاطفية, ومشكلة الموت وعالم ما بعد الموت وقضية الخير والشر وما يسمى بالعدل الإلهي مع وجود الشر.. إلى غير ذلك.

ومن خلال ملاحظتنا للمواضيع التي تناول الأدب يمكن القول أنه يغلب عليه الاتجاه الأسطوري فعلى الرغم من أنهم عالجوا في أساطيرهم قضايا مهمة وخطيرة –كما ذكرنا- إلا أن معالجتهم لهده القضايا لم يكن على أساس فكر موضوعي ومنطقي بل كانوا في معالجتهم للقضايا ينظرون إليها دائما من جهة من يحدثها وليس كيف تحدث, فسلالة أور

---

(1)- رشيد عبد الوهاب حميد, المرجع السابق, ص 159.

(2)- فاضل عبد الواحد علي, **سومر أسطورة وملحمة**, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد, 1997, ص 57.

(3)-سميت نسبة إلى الملك آشور بانيبال (669-630 ق.م) آخر ملوك آشور, عثر عليها في خرائب نينوى على يدي المنقب البريطاني سير هنري لايارد والمنقب العراقي هنري رسام (1826-1910م), وتابع رسام فيما بعد التنقيب وكشف عن القسم الثاني من المكتبة سنة 1853 والذي حوي لوحات المجموعة الآشورية لملحمة جلجامش, و قد تجمع من تلك الكتبة 25000 لوح طيني يحمل الكتابة المسمارية, وحفظ أكثر من 2000 لوح منها في المتحف البريطاني. أنظر: كوركيس عواد, **خزائن الكتب القديمة في العراق القديم من أقدم العصور حتى 1000هـ**, دار الرائد العربي, بيروت, 1986, ص ص 48-54.

(4)- فاضل عبد الواحد وآخرون, المرجع السابق, ص 215.

الثالثة مثلا سقطت لجملة من الأسباب السياسية والاقتصادية, لكنها من وجهة النظر السومرية كانت نتيجة لغضب الإله انليل الذي أرسل الأموريين ضدها، وبذلك فإن فهم معتقدات القوم- السومريين والبابليين- وأفكارهم ونظرتهم للكـون يتطلـب اسـتيعابا لأدب حـضارة وادي الرافدين.

I- الكتابة:

1. ظهور الكتابة في المعبد:

مرت الكتابة بمراحل عديدة ومتطورة منذ أقدم العصور, وذلك وفقا لمراحل تطور المجتمع البشري, ووفقا للبيئة المحيطة به, ولقد بدأ الإنسان الأول باستخدام علامات و رموز مختلفة من البيئة المحيطة به لاستخدامها كوسيلة الاتصال بينه وبين الآخرين, ولتسجيل أفكاره, وكان ينقش ما يود تسجيله على جدران الكهوف, فكان يرسم بعض الصور والرموز للتعبير عما يريد توصيله للآخرين إلى أن توصل إلى الهجائيات والألفبائيات المختلفة, فكان اختراع الكتابة ذا أهمية كبيرة جدا في تطور الجماعات الإنسانية(1). وكان من أثره أن سجلت الاتفاقيات والقوانين.. وهي التي هيأت السبيل لنمو دول أكبر من دول المدن القديمة وجعلت في الإمكان قيام وعي تاريخي متواصل(2).

وترجع بوادر الكتابة في وادي الرافدين إلى حوالي 3200 ق.م أي إلى عصر ما قبل الكتابة و هي مرحلة متضمنة لحضارتي الوركاء وجمدة نصر, حيث عثر على بعض اللوحات الطينية في الطبقات الرابعة في كل من كيش وجمدة نصر سجلت عليها بعض الصور وكذلك رموز لإعدادها مما يوضح أهمية الدافع الاقتصادي في عملية التوصل إلى اختراع الكتابة(3).

فإدارة المعبد كان لها الفضل في ظهور وسيلة التدوين, وقد نشأت فيه الحاجة إلى الإبداع في الكتابة والحساب ورصد الكواكب, وذلك لتدوين السجلات و الصلوات و مسك دفاتر الهيكل, وحفظ أوقات السنة الصالحة لزراعة أنواع الحبوب أو الأمينة من الفيضان أو الجفاف(4). كما كان للجانب الديني المعبر عن القوى الإلهية دوره في ظهور الكتابة(5), وقد

---

(1)- هاني عبد الرحيم إبراهيم, **تاريخ الكتابة والمكتبات وأوعية المعلومات**, مركز الإسكندرية للكتاب, الإسكندرية, 2006, ص 03.

(2)- هـ.ج ويلز, **موجز تاريخ العالم**, ج1, تر: عبد العزيز توفيق جويد, الهيئة المصرية العامة للكتب, 2003, ص 108.

(3)- أحمد أمين سليم, (**دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم**), المرجع السابق, ص 156.

(4)- يوسف الحوراني, **الإنسان والحضارة**, منشورات دار مكتبة الحياة, بيروت, (د.ت), ص44.

(5)- أحمد أمين سليم, (**دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم**), المرجع السابق, ص 156.

كانت أداة لتسجيل الشؤون الدينية ومحاولة الاحتفاظ بالطلاسم السحرية والإجراءات المنيعـة في الاحتفالات الدينية والمراسم والقصص المقدسة والصلوات والتراتيل[1].

وقد أكد هنري فرانكفورت في كتابه "فجر الحضارة" فضل المعبد في ظهور الكتابـة بقوله: " وفي هذه الهياكل-المعابد- نجد دلائل اختراع جديد لولاه لتعـذر القيـام بمنـشآت عظيمة كهذه ولتعذر في الحقيقة تنظيم مجتمع على هذا المستوى العالي من التنظـيم وهـو الكتابة"[2].

وأصبح المعبد هو المدرسة التي تعلم فيها الكتابة, حتـى أن الكتبـة ظلـوا ألـصق بالمعابد[3], وهو أمر طبيعي إذ يحتاج المعبد إلى كهنـة وكتبـة للقيـام بـشعائره وتقاليـده ومصالحه, لذلك وجب تدريب مثل هؤلاء وإعدادهم, وكان المكان المعقول لذلك هو المعبـد نفسه أو بالقرب منه[4]، وهذا يعني أن الكهنة كانوا يؤلفون الفئـة المتعلمـة الرئيـسية فـي المجتمع وكانوا المسؤولين عن تدوين معظم الكتابات التي تضمنت العديد مـن التـصورات الدينية[5].

وقد استخدمت الكتابة السومرية رموز المعاني البسيطة والمركبة, وتبعهم في ذلك البابليون والأشوريون الذين ورثوا عن السومريين طريقة الكتابة, وطوروها وحولوها إلى كتابة مقطعية كاملة, وغيروا من حالات كثيرة من رموز المعاني بما يناسب لغتهم وبالتالي رموز الأصوات المأخوذة عنها, وهكذا نجد أن الشكل النهائي للكتابة السومرية لم يكن وليد فترة زمنية قصيرة, فهي بدأت مع الحضارة السومرية ثم طرأ عليها النمو و التطور في الحضارات اللاحقة لها, ومرت بالمراحل التقليدية للكتابة[6].

---

(1)- سعيد إسماعيل علي, **التربية في حضارات الشرق القديم**, عالم الكتب, القاهرة, 1995, ص 41.

(2)- هنري فرانكفورت, **فجر الحضارة في الشرق الأدنى**, تر: ميخائيل خوري, ط2, منشورات دار مكتبة الحياة, بيروت, 1950, ص 71.

(3)- عبد العزيز صالح, المرجع السابق, ص 391.

(4)- جورج سارتون, **تاريخ العلم**, ج1, تر: محمد خلف ا وآخرون, دار المعارف, مصر, (د.ت), ص 217, الهامش رقم (17).

(5)- محمد حرب فرزات, عيد مرعي, المرجع السابق, ص 99.

(6)- سيد حسب ا , محمد جلال غندورة, **تاريخ الكتب والمكتبات عبر الحضارات الإنسانية**, دار المريخ, الرياض, 1996, ص 74.

2. مراحل تطور الكتابة المسمارية:

أ. المرحلة التصويرية (Pictographic):

استخدم السومريون في بداية استعمالهم الكتابة رموز المعاني للتعبير عن الأشياء المراد طرحها(1), ولعل بداية الكتابة السومرية في شكلها الصوري يشبه الكتابة الهيروغليفية المصرية. إذ تعبر عن الأشياء بصورة تعكس شكلها الحقيقي, فكانت تستوحى من صور العالم المرئي كالإنسان وبيئته والماشية وطرائد الصيد البحري والنهري والنباتات(2), غير أن الرموز التي كشفت عن معناها من خلالها شكلها الذي يمثل بوضوح شيئا طبيعيا قليلة العدد, فكيف نستطيع مثلا معرفة العلاقة الشكلية بين الخروف ورمزه الممثل بصليب ضمن دائرة ؟ أو الماعز الممثل بالرمز السابق نفسه فوق ما يشبه حرف (w) ؟ والغريب في هذه الكتابة وضوح خطوطها الأساسية وأشكالها الرمزية وتكرارها بثبات دون تغيرات تذكر, مما يثبت لنا بوضوح أن هذه الرموز تتعلق بتدوين كلمات أو أفكار معينة, ومع ذلك لا يمكننا عد هذه الأشكال التصويرية كتابة فعلية, فالرمز لم يكن بالضرورة شيئا محددا واحدا, بل عدة أشياء أو أفعال, كالمحراث الذي كان يرمز للحارث والحراثة والأداة أيضا, ومن المرجح أن هذه المحاولات قبيل الكتابة كانت تعتمد على تعبيرات أساسية منفصلة قد لا ترتبط فيما بينها بشكل واضح, ولابد أن نشير في هذا السياق إلى الاحتمال القوي بأن يكون لكهنة المعابد دور أساسي في هذه التصويرات لاتصال مواضيعها بطقوسهم ولكونهم لعبوا دورا هاما دون شك في إدراك وتمثل أهمية الرمز وعلاقته بين عالمي الظاهر والباطن(3).

ب. المرحلة الرمزية (Logogram / Ideogram):

كان لصعوبة التعبير عن بعض الأفكار السبب الرئيسي في الانتقال إلى المرحلة التالية, فقد اهتدى الكتبة بعد نشوء الكتابة إلى ابتكار الطريقة أي طريقة التعبير عن الأفكار والمعاني المجردة بالصور بأن يرسموا الصور المادية بهيئة مختصرة ولا يريدون بها

---

(1)- Marguerite Rutten, **La Science des Chaldéens**, PUF, France, 1960, P18.

(2)- عبد الحكيم الذنون, **الذاكرة الأولى- دراسة في التاريخ السياسي والحضاري القديم لبلاد الرافدين-** ط 2, دار المعرفة, (د.م), 1993, ص 42.

(3)- موسى ديب الخوري, **قصة الأرقام عبر حضارات الشرق القديم- دراسة تاريخية-** منشورات وزارة الثقافة, دمشق, 2002, ص 61.

صورة الشيء المادي وإنما المعاني والأفكار المشتقة منه أو المتعلقة بـه, فمـثلا أصـبحت صورة القدم بحسب الطريقة الرمزية لا تستخدم لتدوين القدم أو الرجل, بـل للتعبيـر عـن المعاني المتعلقة بعضو القدم مثل القيام والمشي والوقوف والـدخول والخـروج, وصـارت صورة الشمس لا تعني الشمس وإنما المعاني المشتقة منها كالحرارة والضوء واليوم..الخ[1].

كما قاموا بدمج علامتين أو أكثر للتعبير عن شيء ما, فمثلا إذا أراد الكاتب التعبيـر عن الفعل (أكل) رسم صورة الفم وبداخله قطعة خبز⟸ ، وإذا ارادة التعبير عن الفعـل (شرب) رسم صورة الفم وبداخله صورة الماء ⟸, وبجمع المرحلتين الصورية والرمزية صار بالإمكان التعبير عن معان وجمل كثيرة[2].

ولكن بالرغم من هذا التطور الحاصل في الكتابة, فقد بقيت صعوبة في التعبير عـن الآراء المجردة كالأمانة والصدق... إلخ, وكذا كتابة أسماء الأعلام أو الأشخاص ومن أجل ذلك انتقل السومريون إلى طريقة أو مرحلة جديدة[3].

جـ. المرحلة الصوتية (Phonetic):

وتعتبر من أهم المراحل التي مرت بها الكتابة المسمارية, فرغم اسـتخدام العلامـات المسمارية بالطريقتين الصورية والرمزية للدلالة على الشيء المادي الذي يريد الكاتـب أن يعبر عنه أو يرمز له, ظلت هذه العلامات قاصرة عن التعبير عن الكلام, لـذلك اسـتخدموا أصوات الأشياء المادية التي تمثلها تلك الصور, كما في المرحلة الصورية ولا علـى الآراء والأفكار المشتقة منها, كما في المرحلة الرمزية, بل لاستخدامها في كتابة الكلمات والجمـل على هيئة أصوات وبجمع عدة أصوات يكون كل منها مقطعا وليس حرفا لأنهم لـم يـصلوا إلى الطور الهجائي أي استخدام الحروف الهجائية[4], فالسهم استعمل للتدليل على أداة القتال ثم استعمل نطقها "تي" للتدليل على الحياة, وهي كلمة تنطق في لغتهم "تي" أيضا, وللتفرقـة بين المعنيين أضافوا علامة السهم "تي" بمخصص وهو قطعة من الخشب للتـدليل علـى أن

(1)- طه باقر, المرجع السابق, ص 308.

(2)- بهيجة إسماعيل خليل وآخرون, **الكتابة**، (**حضارة العراق**), **ج1**, المرجع السابق**،** ص 224.

(3)- عبد الحميد زايد, المرجع السابق, ص 189.

(4)- طه باقر, المرجع السابق, ص 308-309.

الكاتب يقصد "السهم" المصنوع من الخشب وليس "الحياة"[1], وعند كتابة كلمة مطر وضعوا أولا المقطع الذي يعني الماء ثم المقطع الذي يعني السماء "آن" فصارت الكلمـة "آ-آن" أي ماء السماء وتعني المطر[2].

وقد أحدثت طبيعة المادة التي كتبوا عليها وهي الطين بالدرجة الأولى تغييرات أخرى في شكل الكتابة, إذ يصعب رسم الخطوط المنحنية على الطين, وباستخدام قلم مثلث أصبحت العلامات تنتهي بما يشبه المسامير, ومن هنا نشأ اسم الكتابـة المـسمارية[3](Cunéiforme) المأخوذة عن اللاتينية (Cuneus) وتعني مـسمار و(Form) شـكل[4], واتخـذوا وضـعيات محدودة للمسامير الأفقية والعمودية والمائلة ومسمار بهيئة رأس السهم[5].

كما اختصر في عدد العلامات المسمارية الكثيرة فأصبح عددها في آخر تطور لها لا يتجاوز ستمائة علامة, لكل منها عدة أصوات على هيئة مقاطع, كما أن كلا منها يعبر عـن كلمات ومعان كثيرة على هيئة رمزية وأصبحت الكتابة من اليمين إلى اليسار.

وقد نتج عن هذا التطور في الكتابة(أنظر الملحق رقم 03 ص 177) أن بقيت حتـى بعد السومريين, فقد اقتبسها الأكديون والبابليون والآشوريون, كما انتشر الخط المسماري إلى عدة أقطار مجاورة مثل بلاد عيلام, واقتبسه الحيثيون, وانتشر في بلاد الشام, كما أن الفرس الأخمنيين اشتقوا منها شكلا من الكتابة الشبيهة بالهجائية[6].

3. حل رموز الكتابة المسمارية:

إن قصة حل الرموز الكتابة المسمارية واحدة من أروع الاكتشافات العلمية, فقد بذلت جهود كبيرة, منها الناجحة ومنها المتعثرة من أجل حل رموز هذه الكتابة, إذ تم حل طلاسـم الكتابة المسمارية في فترت زمنية متفرقة توقفت على الحقبة الزمنية التي عثر فيها الآثاريون

---

(1)- إبراهيم أحمد رزقانة وآخرون, **حضارة مصر والشرق القديم**, دار مصر للطباعة, مصر, (د.ت), ص ص 282-284.

(2)- سامي سعيد الأحمد, **(السومريون وتراثهم الحضاري)**, المرجع السابق, ص 116.

(3)- طه باقر, المرجع السابق, ص 309.

(4)- Marguerite Rutten, **(La Science des Chaldéens)**, Op.Cite, P 15.

(5)- طه باقر, المرجع السابق, ص 309.

(6)- فاضل عبد الواحد علي, عامر سليمان, المرجع السابق, ص 162.

على الألواح التي ساعدت في حل رموز الكتابة المسمارية التـي نقـشت عليهـا بأسـاليب مختلفة[1].

وتعود البدايات الأولى في محاولة لحل الرموز المسمارية إلى القرن الـسابع عـشر وذلك عن طريق الايطالي بترو ديلا فاله (Pietro Della Volle) الذي قام برحلة إلى العراق وبلاد فارس في 1616 م ونقل معه إلى أوربا عددا من الأختام الأسطوانية عليهـا نقـوش وكتابة مسمارية من بابل وأور, وهي أولى النماذج لهذه الكتابة[2].

ولم تتوقف الكشوفات في القرن الثامن عشر, فقد أرسل ملك الدانمارك عـام 1761 م بعثة علمية إلى الشرق تكونت من خمسة أعضاء برئاسة كارستن نيبور(Carsten Neibuhr) وتمكنت البعثة من نسخ نقوش جديدة من برسبوليس عام 1778 م, ولاحظ أنها مكتوبة بثلاثة أشكال مختلفة من الكتابة المسمارية, واستنتج أن كل نقش يتناول موضوعا واحدا كرر ثلاث مرات ليمثل كتابة الأقسام الثلاثة الرئيسية في الإمبراطورية الفارسية وهي فـارس وعـيلام وبابل[3].

واستطاع العالم الألماني ج.ف كروتفند (G.F.Groflend) أن يتوصل إلى فك الخـط الأول الذي كان يضم 42 علامة مسمارية, والتي كانت تمثل حروفا هجائية وليست مقطعية وتمكن من قراءة بعض العلامات المنقوشة فوق رأس أحد التماثيل التي تعود للأخمنيين وبعد دراسات ومقارنات مع الكتب التي ترد فيها أسماء حكام السلالة الأخمينية تمكن من التوصل إلى معرفة بعض أسماء الأعلام التي حواها النص الأول والتي تشير إلى اللغـة الفارسـية القديمة[4].

ويرجع تاريخ أهم كشف أثري في حل طلاسم الخط المسماري إلى سنة 1844 م عندما قام هنري رولنسون(Sir.H. Rawlinson) الدبلوماسي البريطاني الذي كان يشغل منصب القنصل بالسفارة البريطانية في بغداد بوصف لوح عثر عليه في أحد المواقع الأثرية

(1)- سيد حسب ا , محمد جلال غندور, المرجع السابق, ص 162.

(2)- محمد حرب فرزات, عيد مرعي, المرجع السابق, ص 31.

(3)- أحمد أمين سليم, (**العصور الحجرية**), المرجع السابق, ص 102.

(4)- بهيجة إسماعيل خليل وآخرون, المرجع السابق، ص 230.

بإيران[1] عرف بلوح "بهيستون", "باهستان" المدون بلغات فارس القديمة وعيلام وبابل وانضم إلى العمل فيما بعد جورج سميث (G. Smith) وهذا الأخير كشف النقاب عام 1872 م عن اكتشاف قصة الطوفان والتي وردت في اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش[2]. كما يرجع الفضل في فك قسط كبير من الخط المسماري إلى كل من الإنجليزي ادوارد هنكس (Edword Hinks) والفرنسي جول أوبرت (Juel Oppert)[3].

كما يعد اكتشاف سكافيه Sckafer المهندس الفرنسي أحد الاكتشافات المهمة, فقد عثر في منطقة رأس شمرا[4] بين عامي 1928 م و1929 م على نقوش مكتوبة بالخط المسماري الأوغاريتي (الأبجدية الأوغاريتية المسمارية) مكتوب على لوحات فخارية, ويحتـوي علـى أساطير وملاحم شعرية وأناشيد وصلوات دينية تلقي الضوء على الأدب الكنعاني في الألـف الثاني ق.م حيث استطاع شي. فيرولو (Ch.Virolleand) ود. دورم (D. Dhorme) وهـانز باور(Hans Baver) كل على حدى من الوصول إلى حل طلاسم هذه الكتابة بهذه الاكتشافات وبذلك أمكن حل طلاسم اللغة المسمارية القديمة[5].

إن الكتابة المسمارية برغم صعوبتها وتعقد مواضيعها وطول الفترة التي اسـتغرقتها في حل رموزها إلا أنها كانت من الأهمية وتراثها الحضاري المشجع والـدافع والمحـرك لمواصلة حل رموزها وترجمتها, فكان أن تم التوصل والوقوف على الإرث الحضاري الذي خلفه سكان وادي الرافدين خاصة منهم السومريون والبابليون, تراث شمل جميع المجـالات خاصة منها الجانب الأدبي الذي احتوى الأساطير والقصص والملاحم وغيرها...

(1)- سيد حسب ا , محمد جلال غندور, المرجع السابق, ص 75.

(2)- محمد العربي, **موسوعة الأديان السماوية والوضعية-الديانات الوضعية المفترضة**- دار الفكر اللبناني, بيروت, 1995, ص 23, الهامش رقم (03).

(3)- Georges Roux, OP.Cit; P 50.

(4)- رأس شمرا: أو ما يعرف بأوغاريت قديما, وهي تل أثري يقع شمال اللاذقية على الساحل السوري للمتوسط, وقد تم كشفها سنة 1928 من خلال ذكرها في نصوص مملكة ماري. أنظر: ليونارد كوتريل، المرجع السابق, ص 231-232.

(5)- سيد حسب ا , محمد جلال غندور, المرجع السابق, ص 75-76.

II - المواضيع الدينية للأدب:

1. الأساطير الدينية:

عند الكلام عن التآليف الأدبية عند السومريين والبابليين وغيرهم من الشعوب الأخرى يتبادر إلى أذهاننا أول نوع من هذه التآليف ألا وهو الأسطورة التي حظيت بالنصيب الأوفر في الآداب القديمة, فالأساطير تمثل خزانة الوعي البشري فهي تعبير عـن الـدين بـصورة رئيسية ولكنها تخزن علوم ومعارف وفلسفة الأولين, ويعرفها خزعل الماجدي فـي قولـه: "الأسطورة تعني قصة حقيقية, بل قصة مقدسة أيضا لأنها كانت جزءا حيويا من الحـضارة القائمة وليست مجرد قصة تروى للتسلية, قصة أبطالها من فوق الطبيعة والبشر, تفسر الخلق وأصول الأشياء, وما عملت الآلهة "(1).

أما فراس السواح فيذهب في تعريفه للأسطورة بقوله: " والأسطورة حكايـة, حكايـة مقدسة, يلعب أدوارها الآلهة وأصناف الآلهة, أحداثها ليست مصنوعة أو متخيلة, بل وقـائع حصلت في الأزمنة الأولى المقدسة, إنها سجل أفعال الآلهة, تلك الأفعال التي أخرجت الكون من لجة العماء, ووطدت نظام كل شيء قائم, ووضعت صيغة أولى لكل الأمور الجارية في عالم البشر, فهي معتقد راسخ, الكفر به فقدان لكل القيم التي تشده إلى جماعته وثقافته وفقدان المعنى في هذه الحياة "(2).

أما مرسيا إلياد فيرى أن الأسطورة:" تروي تاريخا مقدسا, تروي حدثا جـرى مـن الزمن البدائي, الزمن الخيالي هو زمن البدايات, بعبارة أخرى تحكي لنا الأسـطورة كيـف جاءت حقيقة ما إلى الوجود, بفضل مآثر اجترحتها الكائنات العليا.. إذن هي سـرد لحكايـة خلق تحكي لنا كيف كان إنتاج شيء, كيف بدأ وجوده ولا تتحدث الأسطورة إلا علـى مـا حدث فعلا, عما قد ظهر في كل امتلائه, أما أشخاص الأساطير فكائنات عليا "(3).

---

(1)- خزعل الماجدي, **ميثيولوجيا الخلود-دراسة في أسطورة الخلود قبل الموت وبعده في الحضارات القديمة-** الأهلية للنشر والتوزيع, عمان, 2002, ص 111.

(2)- فراس السواح, **مغامرة العقل الأولى-دراسة في الأسطورة-** سوريا وبلاد الرافدين, ط11, دار علاء الدين, دمشق, 1996, ص 19.

(3)- نقلا عن: خزعل الماجدي, (**متون سومر**), المرجع السابق, ص 60.

فقد تلازمت الأسطورة والمعتقد الديني في الديانات الوضعية بشكل عام والـديانات القديمـة البائدة بشكل خاص, أو بمعنى آخر يصعب الفصل في الديانات الوضعية القديمة بين الاعتقاد الفكري والتصورات التي يعكسها الخيال عن هذه المعتقدات, وفيما يلي أهم النماذج للأساطير السومرية والبابلية:

أ. أسطورة الخليقة (الإينوما ايليش):

كان لموضوع الخليقة وأصل الوجود نصوص أدبية متنوعة ومتعددة بعضها باللغـة السومرية وبعضها باللغة الأكدية, وقد عرف العصر البابلي القديم نشاطا أدبيا واسعا إذ أخـذ البابليون النصوص السومرية وترجموها إلى البابلية, ومما يقال عن أساطير الخليقة المدونة بالسومرية أنها قصيرة وكثير منها ناقص, لذلك أسهم البابليون وأخذوا عـن الإرث الأدبـي السومري وحوروه بما يتناسب مع معتقداتهم[1].

وتعتبر هذه الملحمة من أبرز القصائد الشعرية في الأدب الديني وواحدة مـن أكثـر الروائع الأدبية في محتواها وقدمها وشهرتها, تعرف بـ" إينوما ايليش" حينما في العلى نسبة إلى بدايتها, وقد دونت على سبعة ألواح فخارية تم العثور عليها في مكتبة آشور بانيبال وهي تضم أكثر من ألف بيت, وقد أسبغت عليها صفة القدسية (الكتاب الديني) إذ كانت تتلى أثناء احتفالات رأس السنة في مدينة بابل وعلى مدى حوالي ألفي عام[2].

تذكر قصة الخليقة أنه في البدء لم يكن هناك شيء يذكر سوى العماء المكـون مـن عنصرين إلهيين, الأول مذكر يتمثل في المياه العذبة "أبسو" والثاني مؤنث وهي المياه المالحة "تيامة", وأنه لإمتزاج هذه المياه مع بعضها ولد الإلهان "نخمو" و"نخامو" ثم ولد بعدهما انشار وكيشار اللذان ولدا الإله آنو وهو الذي صار إلها للسماء فيما بعد وهو بدوره ولد الإله أيا[3].

عندما في العلا لم يكن للسماء اسم
والأرض الراسخة في الأسفل لم تكن قد سميت بعد
لم يكن هناك شيء سوى أبسو الأزلي, الذي أنجبهم,

(1)- طه باقر, **مقدمة في أدب العراق القديم**, دار الحرية, بغداد, 1976, ص 71.
(2)- رشيد عبد الوهاب حميد, المرجع السابق, ص 162.
(3)- Georges Contenau, **(La Vie Qoutidienne a Babylone et en Assyrie)**, OP Cit, P197-198.

وممو-تيامات- وهي التي ولدتهم جميعا....[1]

وتكاثر عدد الآلهة وأخذ صخبها وضجيجها يزعج أباهم الأكبر ولهذا ذهب أبسو إلى تيامة غاضبا وأخبرها بأنه سوف يقضي على هذه الآلهة لأنها تسبب له إزعاجا كبيرا, غير أن تيامة عارضته وقالت كيف يجوز لنا أن نقضي على شيء خلقناه بأنفسنا ؟ ومن ناحية أخرى فإن وزير أبسو واسمه "ممو" اتفق مع سيده في الرأي, وأخذ الاثنان يضعان خطة للقضاء على تلك الآلهة, ولكن سرعان ما اكتشفت الآلهة المؤامرة وقررت الدفاع عن نفسها فقتلت الإله أبسو على يد الإله أيا[2].

ولما علمت تيامة بمصير زوجها انتفضت وأصرت على أخذ الثأر لزوجها, فسخرت لذلك جيشا من العفاريت واختارت "كينغو" قائدا وزوجا لها, فلما علمت الآلهة بذلك أرسلت الإله أيا لإنقاذهم في المرة الثانية, لكنه عاد مذعورا مما رأى, لكن الآلهة فيما بعد عزمت على اختيار مردوخ للقاء تيامة وجيشها شرط إعطائه امتيازات وسلطات استثنائية, عندها أقامت الآلهة عرشا يليق بإلوهية مردوخ وعينته سيدا عليهم, وقبل أن يمضي للمواجهة تسلح مردوخ بالقوس والسهام والصولجان وصنع شبكة كبيرة وأمر الرياح أن تمسكها من أطرافها... ولما دخل مردوخ في المواجهة مع تيامة نشر شبكته ورماها فوقه وعندما فتحت فمها لالتهامه دفع في بطنها الرياح الشيطانية فانتفخت وامتنعت عن الحركة, فوجه سهامه إلى أحشائها ثم شقها إلى شطرين, فكان النصف الأول السماء والنصف الثاني هو الأرض ثم قام بباقي عمليات الخلق, فخلق النجوم والشمس والقمر وحدد مسارها ثم خلق الإنسان من دماء كينغو بعد أن أخذ منه ألواح القدر, وخلق الحيوان والنبات, ونظم الآلهة إلى فريقين: الأول في السماء وهم الأنوناكي, والثاني جعله في الأرض وما تحتها وهم الايجيجي[3].

وبغض النظر عن التفاصيل التي تورده أسطورة الخلق فيمكن القول بأنها تعكس المعتقدات الرئيسية التالية:

(1)- كارم محمود عزيز, **أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم**, دار الحصاد, دمشق, 1999, ص55-56.

(2)- فاضل عبد الواحد علي, عامر سليمان, المرجع السابق, ص 182.

(3)- فراس السواح, **(مغامرة العقل الأولى)**, المرجع السابق, ص 54-55.

1- أن المياه الأزلية كانت أصل الوجود(1).

2- أن الأرض والسماء تكونتا نتيجة الانفصال عن بعضهما البعض بعد أن كانت كتلة واحدة متمثلة في تيامة.

3- أن الإنسان خلق من دم وطين ومن أجل خدمة الآلهة(2).

ب. أسطورة نزول إنانا(عشتار) إلى العالم الأسفل:

وهي من الأساطير المهمة من عالم ما بعد الموت بوجه خاص والمعتقدات الدينية بوجه عام, وقد أكتشف لهذه الأسطورة المهمة روايتان: سومرية وأخرى بابلية, فالرواية السومرية وهي الأقوم وأصل الرواية البابلية, وقد وجد لها عدة ألواح اكتشفت أثناء التنقيبات التي أجريت في مدينتي نفر وأور, ويرقى تاريخها إلى أوائل المنتصف الأول من الألف الثاني ق.م أما الرواية البابلية فيرجع زمنها إلى نهاية الألف الثاني ق.م, وقد وجدت نسخ لها في مكتبة آشور بانيبال.

وموجز الأسطورة أن إنانا ملكة السماء صممت على زيارة العالم الأسفل, ولعلها كانت عازمة على إنقاذ عشيقها تموز(3), فتجمع كل ما تحتاجه من مراسيم مقدسة وترتدي

---

(1)- نجد اختلافا جوهريا بين العقيدة عند السومريين والبابليين وبين الأديان السماوية لاسيما ما نصت عليه التوراة والقرآن الكريم حيث وجود ا يسبق المادة وهو الذي خلق المادة, ففي سفر التكوين" [1]فِي الْبدءِ خَلَقَ ا ُ السماواتِ والأرض. [2]وكانَتِ الأرض خَربةً وخَالِيةً وعلى وجهِ الْغَمرِ ظُلْمةٌ وروح ا ِ يرف على وجهِ الْمِياهِ " كما ذكر القرآن فكرة الوجود السابق على الخلق وذلك في قوله تعالى: وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ [سورة هود الآية:7]. أنظر كذلك: فراس السواح, **(مغامرة العقل الأولى)**, المرجع السابق, ص 93-94.

(2)- فاضل عبد الواحد علي, عامر سليمان, المرجع السابق, ص 183-184.

للمزيد حول الإينوما ايليش أنظر: Léon Thoorens, **Panorama des Littératures- Mésopotamie,** Egypte , Palastine, Perse, Gréce- Marabout Université, Belgique,1966, pp 50-53.

(3)- ينفي طه باقر أن يكون سبب نزول إنانا (عشتار) إلى العالم الأسفل لإطلاق سراح زوجها تموز, ولذلك سبب بسيط هي أنها هي التي سلمته فيما بعد إلى شياطين العالم الأسفل بديلا عنها, وقد اعتقد مجموعة من الباحثين أنها قامت بتلك الرحلة من أجل إخراج أرواح الموتى المحتجزة هناك. أنظر: طه باقر, **(مقدمة في أدب العراق القديم),** المرجع السابق, ص 237.

ثيابها الملكية وتتحلى بالأحجار الكريمة وتتهيأ للنزول إلى العالم الأسفل وهي الأرض التي تحكمها أختها أيرشيكيجال, وأوصت وزيرها ننشوبر أنه في حالة تأخرها خلال ثلاثة أيام فعليه أن يستنجد بانليل, فإذا رفض ذلك فعليه أن يستعطف إله القمر ننا(سن), فإذا رفض هو الآخر فعليه بالتضرع أمام إله الحكمة انكي والذي سينجدها ويعيد لها الحياة:

لقد مضت (إنانا) نحو العالم الأسفل

وسار إلى جانبها رسولها (ننشوبر)

وقالت (إنانا) الطاهرة لـ (ننشوبر)

أيه لم من كنت لي سندا وطيدا

يا رسولي الذي ينطق بالبشائر

إنني الآن ذاهبة إلى العالم الأسفل.

وعند ذهابي إلى العالم الأسفل

أملأ السماء بالشكوى من أجلي

وفي موضع اجتماع الآلهة المقدسة, إبك من أجلي

وإلى دار الآلهة أسرع في الذهاب من أجلي...[1]

وعند وصولها إلى العالم الأسفل اقتربت من معبد أيرشكيجال المصنوع من اللازورد ولقيها عند البوابة حارسها الذي طلب منها الإفصاح عن سبب مجيئها فتعذرت بسبب ثم قادها الحارس بعد أن استشار ملكته عبر البوابات السبع إلى العالم الأسفل وكلما مرت ببوابة نزعت أحد أثوابها, وبعد مرورها البوابة الأخيرة جيء بها عارية أمام أختها أيرشكيجال والأنوناكي حكام العالم الأسفل الذين قضوا عليها بالموت[2].

وعند دخولها الباب السابع.

انتزعت منها جميع ثياب السيدات الوقورات

لم فعلت هذا؟

يا(إنانا) لقد نفذت مراسيم العالم الأسفل كما ينبغي

(1)- صموئيل نوح كريمر, **الأساطير السومرية- دراسة في المنجزات الروحية والأدبية في الألف الثالث ق.م-** تر: يوسف داود عبد القادر, مطبعة المعارف, بغداد, 1971, ص ص 137-133.

(2)- نجيب ميخائيل إبراهيم, المرجع السابق, ص 270.

يا(إنانا) لا تجادلني في شعائر العالم الأسفل
أنمت إلى الأسفل
وجلست (أيرشكيجال) الطاهرة على عرشها.
والأنوناكي- الحكام السبعة- أصدروا حكمهم أمامها
لقد حدقوا بعيونهم نحوها عيون الموت...[1].

بعد مرور الأيام الثلاثة رأى ننشوبر أن ينفذ أمرها, فقام بجولاته للآلهة وفقا لتعليماتها, فكان كما افترضت إنانا, إذ رفض كل من انليل وإنانا تقديم المساعدة, لكن أنكي دبر خطة لإنقاذها, فشكل الكورجارو والكالاتورو مخلوقين لا جنس لهما وزودهما بطعام الحياة وماء الحياة وبعث بهما إلى العالم الأسفل لنشر المادتين على جثة انانا المعلقة, وهو ما فعلاه, وبذلك عادت إنانا إلى الحياة, ولكنها عندما قامت من عالم الأموات تبعها شياطين ذلك العالم الذين طالبوها بإعطائهم بديلا عنهم, فكان أن عرض عليها الآلهة التضحية, لكنها رفضت وعندما توجهت إلى أوروك وجدت الإله تموز زوجها, وبدلا من أن يظهر الحزن كما فعل الآلهة من قبله فكانت مظاهر الفرح بادية عليه, لذلك ثارت إنانا ونظرت إليه بعين الموت وسلمته إلى شياطين العالم الأسفل, وإذ به يتوسل إلى إله الشمس أوتو بأن يعينه إلى الفرار فحوله إلى ثعبان[2]. وبذلك استطاع الفرار إلى أخته, لكن الشياطين لاحقوه إلى بيت أخته وأكرهوها على البوح بمكانه إلى أن أخبرتهم وأخذوه إلى الأموات حيث يبقى في هذا العالم مدة نصف سنة ثم تحل محله أخته لقضاء النصف الثاني من السنة[3].

2. الملاحم وقصص البطولة:

يؤلف موضوع القصص والملاحم الخاصة بالبطولة والأبطال موضوعا بـارزا فـي أدب حضارة وادي الرافدين وبخاصة عند السومريين والبابليين, ومما يقال عن هذا النوع من الأدب أنها تستند في أسسها إلى أحداث تاريخية واقعية, ولكنها رويت بالأسـلوب الروائـي الأدبي الشعري, كما أن أبطالها من البشر بالدرجة الأولى بخلاف الأساطير التي هي مجرد

(1)- صموئيل نوح كريمر, المرجع السابق, ص 142.
(2)- صموئيل نوح كريمر, **أساطير العالم القديم**, تر: أحمد عبد الحميد يوسف, مر: عبد المنعم أبو بكر, الهيئة المصرية العامة للكتاب, مصر, 1974, ص 87-88.
(3)- طه باقر, **(مقدمة في أدب العراق القديم),** المرجع السابق, ص 242-243.

نتاج الخيال الأسطوري الشاعري, وقد وضعت لتفسير أصول الأشياء ومظاهر الكون والحياة الاجتماعية [1].

أ. ملحمة جلجامش[2]:

تعتبر أقدم الملاحم البطولية في تاريخ جميع الحضارات, ورغم أن هذه الملحمة ترجع إلى أصول سومرية إلا أنها نظمت في الألف الثالث وبداية الألف الثاني ق.م ويعود الفـضل في نظمها إلى البابليين الذي شكلوا منها ملحمة متكاملة[3](أنظر الملحق رقـم 04 ص 178) شملت العديد من المواضيع في مقدمتها لغز الحياة والموت وما بعد الموت والخلـود, فهـي تمثل الصراع ما بين إرادة الإنسان في البقاء, وبين حقيقة الموت البديهيـة حتـى بالنـسبة لجلجامش لأن ثلثيه من الآلهة والباقي من البشر[4]:

كان جلجامش ملكا وسليل ملوك, ولد في قصر ملك
أوروك وعند ولادته اجتمع
كل الآلهة ليمنحوه الصفات العالية, لقد أعطوه جسدا كاملا
"شمش" إله العواصف, وهبه الشجاعة
الآلهة العظام جعلوا جسده كاملا
يفوق الجميع, مخيفا كالثور البري
جعلوه بثلثيه إلها وثلثه بشري...[5].

وتبدأ الملحمة بذكر مآثر جلجامش ومنجزاته العمرانية في مدينة الوركاء, وبوصـف قوته الخارقة, لذلك تضرع أهل الوركاء إلى الآلهة لتخلق غريما لجلجامش ليحد من تعـسفه فاستجابت الآلهة لدعوات السكان, فخلقت أنكيدو المتوحش الذي يعيش مع الحيوانات, وقد رآه

---

(1)- طه باقر, **(مقدمة في أدب العراق القديم),** المرجع السابق, ص 99.

(2)- ورد ذكره في قاعة الملوك السومرية فهو الملك الخامس في سلالة الوركاء الأولى, وحكم في حدود 2600 إلى 2500 **ق.**م وحكم لمدة 126 سنة كما يرجح أنه كان يعاصر مؤسس سلالة أور الأولى المسمى "ميس-أبنيدا "**.** أنظر: نفسه، ص 102.

(3)- رشيد عبد الوهاب حميد, المرجع السابق, ص 167.

(4)- طه باقر, **(مقدمة في أدب العراق القديم)**, المرجع السابق, ص 100.

(5)- محمد العريبي, المرجع السابق, ص 104.

أحد الصيادين فقص على أبيه ما رأى فطلب منه والده أن يخبر جلجامش ويقدم له فتاة بغيـا لكي يغوي بها أنكيدو ولترويضه ومن ثم استدراجه للوركاء[1].

لجأ جلجامش إلى هذه الوسيلة واستطاعت الفتاة أن تستحوذ على عواطف أنكيدو التي استطاعت أن تقنعه بالعدول عن حياة البراري والذهاب معها إلى الوركاء... وعند وصـول أنكيدو إلى مكان الاحتفال إشتبك البطلان جلجامش وأنكيدو واستمر الصراع بينهما فترة من الزمن, وكانت النتيجة أن تغلب جلجامش على خصمه, وأصبح بعـدها الـبطلان صـديقين حميمين لا يفترقان[2].

وبعد أن أصبح البطلان صديقين عزم جلجامش على القيام بحملة إلى غابـات الأرز لتخليد اسمه والترفيه عن صاحبه ومواجهة حارس الغابة العفريت خمبابا, وأخذ جلجامش يعد العدة للقيام بالرحلة فجهز الأسلحة, وأخذ موافقة مجلس الشيوخ, ثم طلب بركة أمه الآلهة... وبعد سفر شاق وطويل بلغ غابة الأرز وشرع جلجامش يقطع أشجار الأرز فسمع العفريـت خمبابا ذلك فهاج وهجم عليهما, فكاد أن يفتك بهما لولا تضرعهما للإله شمش واستجابة الإله لدعائهما بتسليطه الرياح العاتية على خمبابا فسببت له الشلل وتمكنا من القضاء عليه[3]. ولما عاد البطلان إلى الوركاء وأثناء إقامة احتفالات النصر خاطبت الآلهة عشتار جلجامش قائلة: "تعالى يا جلجامش وكن لي زوجا, وقدم لي حبك هدية, ستكون أنت زوجـي وأكـون أنـا زوجتك..." فرفض جلجامش عرض عشتار وذكرها بما فعلته بعشاقها منهم تمـوز, باشـق حصان, بستاني, أسد, وناداها قائلا: "إنك تحبين الآن ولكنك ستـضربينني فيمـا بعـد كمـا ضربت هؤلاء جميعا"[4].

(1)- فاضل عبد الواحد علي وآخرون, **الأدب, (حضارة العراق), ج1،** المرجع السابق, ص 339-340.

(2)- فاضل عبد الواحد علي, عامر سليمان, المرجع السابق, ص 174-175.

(3)- عبد الوهاب رشيد, المرجع السابق, ص 170-171.

(4)- ول وايريل ديورانت, **قصة الحضارة-نشأة الحضارة-** ج1، تر: زكي نجيب محمود، تق: محي الدين صابر، دار الجيل للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص 242.

فثارت عشتار لذلك وطلبت من والدها أنو أن يرسل ثور السماء ليقتل جلجامش, لكن الإلـه أنو رفض في البداية فهددته لذلك وافق على طلبها وأنزل الثور وأخذ يفتك بالوركاء [1]، غير أن جلجامش وأنكيدو استطاعا القضاء عليه وعلى مرأى من عشتار [2].

ونتيجة لذلك أعلنت الآلهة الانتقام من البطلين فقررت الموت لأنكيدو والذي حل به مرض الموت وأدرك قرب نهايته[3], وبعد أن مات أنكيدو حزن جلجامش بفقده, فظل خائفا يترقب مصيره المحتوم, وفي نفس الوقت بدأ يفكر في وسيلة من أجل الخلود فهداه تفكيره إلى البحث عن جده "أوتنابيشتم" بطل الطوفان ليسأله عن كيفية أن يكون خالدا, وبعد سفر طويل صعب محفوف بالمخاطر والأهوال وصل جلجامش إلى بطل الطوفان[4], وبعد أن علم بسبب مجيئه أخبره أوتنابيشتم بحتمية الموت:

إن الموت قاس لا يرحم

متى بنينا بيتا يدوم إلى الأبد؟

وهل حتمنا عقدا يدوم إلى الأبد... [5]

---

(1)- محمد العريبي, المرجع السابق, ص 30.

(2)- فاضل عبد الواحد علي, عامر سليمان, المرجع السابق, ص 172.

(3)- رشيد عبد الوهاب حميد, المرجع السابق, ص 172.

(4)- تتفق قصة الطوفان السومرية في ملامحها مع قصة الطوفان كما جاءت في ملحمة جلجامش التي تتميز عن السومرية بطولها وكثرة حوادثها, ففي كلتا القصتين قرر الإله أن يهلك الجنس البشري عن طريق إغراق الأرض بالأمطار, وفي كلتيهما حذر إله رجلا من حدوث الكارثة, وقد أنقذ هذا الرجل ومن معه عن طريق سفينة أمر ببنائها وفي كلتا القصتين بلغ الفيضان ذروته في اليوم السابع كما قدم بعدها الرجل القرابين للآلهة, ثم رفع إلى مصاف الآلهة, أما الاختلاف الجوهري الوحيد بين الروايتين فيتمثل في اسم البطل فيهما, فهو"زيوسودرا" في السومرية, و"أوتنابيشتم" في ملحمة جلجامش و"أترا خاسيس" في القصة البابلية, ومن جهة أخرى فقد ورد الطوفان في الكتب السماوية, إذ تعرض القرآن الكريم لقصة نوح في سور كثيرة منها: سورة [الأعراف الآية: 59-64] [يونس الآية: 71-73], [هود الآية: 25-49], [الأنبياء الآية: 76-77], [المؤمنون الآية: 23-30], [الشعراء الآية: 105-122], [العنكبوت الآية: 14-15], [الصافات الآية: 75-82], [القمر الآية: 9-17], وسورة نوح فضلا على أنه ورد في مواضع متفرقة, كما تعرضت التوراة كذلك للطوفان في الإصحاحات من السادس إلى التاسع من سفر التكوين. ولمقارنة ورود قصة الطوفان في هذه المصادر أنظر: محمد بيومي مهران**, دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**, ج4, ط$_2$, دار النهضة العربية, بيروت, 1988, ص ص 41-101.

(5)- رشيد عبد الوهاب حميد, المرجع السابق, ص 174.

ثم سأله جلجامش كيف استطاع الحصول على الخلود رغم أنه من البشر, فكان جوابه بأن قص عليه الطوفان: فقد روى أوتنابيشتم من خلال الحوار الذي دار بينه وبين جلجامش أنه كان يعيش في مدينة شورباك وكيف أن الإله أيا كشف له النقاب عن قرار الآلهة بإحداث الطوفان, ثم يأتي أوتنابيشتم بعد ذلك على ذكر تفاصيل بنائه سفينة النجاة التي حملته ومـن معه من بشر وحيوانات وطيور ومؤن خلال الطوفان الهائل الذي اسـتمر 6 أيـام وسـبع ليالي...[1] . " وهكذا عزمت الآلهة في قرارة نفوسها أن تفني العالم بطوفان. ولكن سيدي أيا أنذرني بذلك في المنام إنه همس بكلماته خلال بيتي المصنوع من القصب قائلا: أيها البيـت القصبي, أيها الجدار, أيها الجدار... أوليني أذنا صاغية, أيها البيت القـصبي, تأمـل أيهـا الجدار.. أيها الرجل من شورباك ابن أوبرا-توتو... قوض بيتك, وابني لك فلكـا... أتـرك ممتلكاتك وأنج بحياتك... دع عنك متاعك الدنيوي وأنقذ روحك, ودعها تعيش..هـدم بيتـك أقول لك, وابني فلكا... وهذه هي مقاييس السفينة إذا أردت بنائها... ليكن عرضها مـساويا لطولها... اجعل ظهرها مسقفا كما يعلو السرداب سقفه... ثم خذ معك في الفلك بذر جميـع المخلوقات الحية..."[2].

وبعدها خاطب أوتنابيشتم جلجامش: من سيجمع الآلهة من أجلك لتنال الحياة الخالدة ؟ تعالى أمتحنك " لا تنم ستة أيام و سبع ليالي". لكن جلجامش أخـذه النـوم, بعـدها كـشف أوتنابيشتم لجلجامش عن سر نبات عجيب ينبت في أعماق البحر له خاصية السحر في تجديد الشباب, ونجح جلجامش في العثور عليه, غير أن الحظ خانه أثناء توقفه في الطريـق فقـد سرقت منه الحية النبتة وأكلتها فنزعت جلدها وأصبحت تجدد شبابها كل عام, وعند ذلك يئس جلجامش على ذلك وأخذ يبكي[3].

لقد زخرت الملحمة في تفاصيلها الدقيقة بالأفكار والمعاني التي تعطي صورة كاملـة لحياة وأنشطة شعوب وادي الرافدين, والشيء الذي يهمنا في الملحمة هو الجوانـب الدينيـة فيها، فقد تحدثت عن الآلهة وأفعالها وصفاتها وصراعاتها, والمجالس الذي يضمها وعلاقتهـا بالبشر والطقوس التي تقام لها, والقرابين التي تقدم إليها, وتـذكر الملحمـة أيـضا بعـض

(1)- فاضل عبد الواحد علي, **الطوفان في المراجع المسمارية**, جامعة بغداد, 1975, ص 29.

(2)- ايج.اي.ايل, **قصة الحضارة في سومر وبابل**, تر: عطا بكري, مطبعة الإرشاد, بغداد, 1971, ص 41.

(3)- رشيد عبد الوهاب حميد, المرجع السابق, ص 177-178.

الصلوات والتوسلات المقدمة للآلهة, واهتمام الملوك ببناء المعابد وترميمها, ومن المفـاهيم الدينية التي تتعرض لها الملحمة أيضا مفهوم الخطيئة الإنـسانية التـي جـاءت بالطوفـان ومفهوم الثواب والعقاب ومفهوم حياة ما بعد الموت وحتميته والبعث, وكلها تعطي لنا فكـرة عن التصور الديني, والشيء الأهم هو أنه لأول مرة يتصدر الإنسان وسط الآلهة ويواجههـا ويكون ضمن صراعاتها[1].

ب. قصة أدابا[2]:

من المؤلفات الأدبية التي يدور موضوعها حول حتمية الموت ومسألة الخلود وعلاقة الإنسان بالآلهة [3], وقد وصلت إلينا قصة مدونة على أربعة ألواح مهشمة عند نهايتها, وهي مدونة باللغة البابلية ويعد تاريخ أقدم ألواحها, وهو اللوح الذي عثر عليه في تل العمارنـة[4] بمصر إلى القرن الرابع عشر ق.م, أما الألواح الثلاثة الأخرى فقد عثر عليها فـي مكتبـة آشور بانيبال بنينوى [5].

وتذكر القصة أن الإله أيا جعل منه نموذجا للإنسان الصالح, فهو رجل تقـي يخـشى الآلهة ويقدم لها القرابين باستمرار, وكان محبا للناس يساعدهم في أعمالهم ويساهم في توفير الطعام والشراب لسكان مدينته:

---

(1)- محمد حسن خليفة, **رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى وحضارته,** دار قباء, القاهرة, 1998, ص ص 209-211.

(2)- تعطي المعاجم اللغوية البابلية مرادفات لإسم أدابا تدل على أنه يعني "الحكيم, العاقل, العارف" ويرى بعض الباحثين فيه أنه "آدم" أبو البشرية, حتى أن اسمه يكاد يكون كلفظ آدم. أنظر: فاضل عبد الواحد علي, **(سومر أسطورة وملحمة),** المرجع السابق, ص 241.

(3)- طه باقر, **(مقدمة في أدب العراق القديم)**, المرجع السابق, ص 135.

(4)- تل العمارنة: وكان اسمها "أخت أتون" أي أخت أتون وهي العاصمة الجديدة التي أنشأها الملك أخناتون (أمنحوتب الرابع) وهي تقع على بعد 45 كلم جنوب مقابر بني حسن وهي معروفة برسائل وهي عبارة عن مجموعة كبيرة من الرقم الطينية المكتوبة باللغة الأكدية (البابلية) والخط المسماري وتم اكتشافها سنة 1885.

أنظر: سمير أديب, **موسوعة الحضارة المصرية القديمة**, العربي للنشر والتوزيع, القاهرة, 2000, ص ص 289-293.

(5)- فيصل الوائلي, من أدب العراق**,** مجلة سومر, المجلد 19, ج1+2، مديرية الآثار, بغداد, 1963, ص 30.

لقد جعله أيا كاملا في القدرة على الفهم
ليكتشف عن خطط البلاد
أجل لقد أعطاه حكمة لكنه لم يعطه حياة أبدية...
ولأنه كان حكيما, فلم يرفض أحد كلمته
كان فطنا, واسع الحكمة, وواحدا من الأنوناكي
كان مقدسا, طاهر اليدين, كاهنا يلتزم دائما بإقامة الشعائر...
ويحضر الطعام والماء لأريدو كل يوم
ويهيئ مائدة القرابين بيديه الطاهرتين
وبدونه لا ترفع مائدة القرابين
كان يأخذ قاربه ويصطاد السمك من أجل أريدو[1].

وذات يوم بينما كان أدابا يصطاد السمك في مياه النهر هبت الرياح الجنوبية "تشوتو" بعنف شديد, فغرق مركبه مما جعله يغضب منها, فكسر أجنحتها [2]:

عصفت به ريح الجنوب وأغرقته
جعلته يغوص إلى مواطن الأسماك
يا ريح على كل غضبك
سأكسر جناحك[3].

وخلال سبعة أيام لم تهب الرياح الجنوبية فتساءل أنو إله السماء عن سر ذلك, ولما علم أرسل في طلب أدابا, لذلك أوصى الإله أيا أدابا بأن ينثر شعره ويرتدي لباس الحداد وعند الوصول إلى باب أنو سيجد إلهين حارسين يسألانه عن سبب حداده وهنا عليه أن يجيبهما: لقد اختفى إلهان من بلادنا ولهذا السبب أنا على هذا الحال, وعندما يسألانه من هما, يجيب: تموز(دموزي), وكزيدا (نيجيزيدا) وذلك حتى يكسب عطفهما ويشفعان له عند أنو[4].

(1)- فاضل عبد الواحد علي, (**سومر أسطورة وملحمة)**, المرجع السابق, ص 240-241.
(2)- كارم محمود عزيز, المرجع السابق, ص 151.
(3)- عبد الرضا الطعان, **الفكر السياسي في العراق القديم**, دار الخلود للنشر والتوزيع، بيروت، 1981، ص 589-590.
(4)- كارم محمود عزيز, المرجع السابق, ص 151.

والأهم من كل هذا أنه أوصاه بأن يمتنع عن أكل وشرب ما يقدمه له أنو وأن يقبـل الزيـت والكساء اللذين يقدمان له[1], فلما صعد أدابا إلى السماء نفذ ما طلبه منه أيا, ولما سأله أنـو عن السبب الذي أدى به إلى كسر جناح الرياح الجنوبية أجابه:

من أجل معبد سيدي, في وسط البحر

كنت أصطاد سمكا, وبينما كان البحر مثل مرآة.

بدأت ريح الجنوب تهب بشدة, فأغرقت سفينتي

ورمتها في عالم الأسماك, وفي غضب قلبي

لعنت ريح الجنوب [2].

ولما قُدم لأدابا الطعام رفضه, فاستغرب الإله أنو هذا التصرف وعرف منه بأن الإله أيا هو الذي أمره بذلك, وفي خاتمتين مختلفتين وغير متكاملتين لهذا النص يعاد أدابـا إلـى الأرض وتتوقف هذه الخاتمة بسبب النقص, وفي الخاتمة الثانية يوجه إليه أنو نظرة رضـى يمنحه قبل نزوله إلى الأرض, وبمساعدة آلهة الشفاء, القدرة على معالجة وشفاء الأمـراض التي تسببها ريح الجنوب[3].

من خلال ما جاء في هذه القصة يمكن أن نفهم المغزى الديني لهـا, فبـالرغم مـن انعكاس رغبات الإنسان وتطلعاته لأن يبقى خالدا في هذه الحياة إلا أن الخلود لا يمكـن أن يكون من نصيب البشر, لأن الآلهة احتفظت به لنفسها وجعلت الموت من نصيب الإنسان[4].

3. التراتيل الدينية والأدعية:

عنى السومريون والبابليون عناية فائقة بتأليف التراتيل حتى أنها أصبحت فنا راقيا وقد عثر بين الألواح المسمارية على عدد كبير من التراتيل المدونة بالسومرية والبابلية وفي عصور مختلفة, ومعروف أن التراتيل تهدف أساسا إلى التعظيم والتمجيد, فهناك مجموعة كبيرة من التراتيل ألفت لتمجيد الآلهة المختلفة سواء الرئيسية منها أم الثانوية دون استثناء أما المجموعة الثانية من التراتيل فهي التي تمجد الملوك وخاصة ملوك سلالة أور الثالثة مثل

(1)- قاسم الشواف, **ك2**، المرجع السابق, ص 478.

(2)- نفسه, ص 483.

(3)- نفسه, ص 478-479.

(4)- فاضل عبد الواحد علي, (**سومر أسطورة وملحمة**), المرجع السابق, ص 243.

أورنامو وشولكي وملوك سلالة ايسن الأمورية مثل: ادن-دكان واشمي- دكان, ولبت عشتار, ويوجد بين هذه التراتيل الملكية ما هو مكتوب على لسان الملك نفسه أي أنها ألفت في مديح الذات وهي تكون عادة مليئة بالألقاب والصفات الرنانة وبالعبارات المفعمة بالغرور, وهناك مجموعة ثالثة من التراتيل تمتزج فيها الدعوات الموجهة للآلهة بالتبركات والأدعية من أجل ملك معين يرد ذكر اسمه في النص.

أما المجموعة الرابعة والأخيرة من التراتيل فهي مخصصة لتمجيد المعابد باعتبارها أماكن مقدسة لعبادة الآلهة وإقامة شعائرها وطقوسها الدينية(1), وفيما يلي بعض النماذج لتراتيل لا تقل في روعتها عن أناشيد الفرعون المصري أخناتون(2):

أ. ترتيلة للملك شولكي:

ترتيلة سومرية في تمجيد الذات على لسان شولكي, الملك الثـاني(2095-2048 ق.م) فـي سلالة أور الثالثة, تتضمن في بدايتها سلسلة من الأبيات بصيغة ضمير المتكلم "أنا" يمجد فيها شولكي قوته الجسدية وحكمته الواسعة وصلته الحميمة بالآلهة وحبه للعدل, ويذكر بعد ذلـك قيامه ببناء بيوت للاستراحة على الطريق الرئيسية لسومر بين مسافات محددة من أجل راحة المسافرين وسلامتهم, ويقص شولكي في القسم الثاني من قصيدته كيف أنه قام برحلة ذهاب وإياب وفي يوم واحد من نفر إلى أور ثم العودة إلى نفر وذلك للاحتفال, أما القسم الأخير من الترتيلة فيحتوي مثل ما جاء في المقدمة:

أنا الطفل, ولدته ننسون

أنا الرجل الذي قرر مصيره انليل

أنا الذي وهبه أنكي الحكمة...

أنا شولكي الذي اختارته إنانا عن رغبة

أنا محل الخيل للإله شكان على استعداد للجري

(1)- فاضل عبد الواحد علي, (**سومر أسطورة وملحمة**), المرجع السابق, ص 286.

(2)- أخناتون أو أمنحوتب الرابع, عاشر فراعنة الأسرة الثامنة عشر, حكم مع زوجته الرئيسية نفرتيتي لمدة 17 سنة منذ 1369 ق.م وتوفي بين 1336 و1334 ق.م, وكلمة أخناتون معناها الجميل مع قصر من الشمس أو روح آتون, انشغل بإصلاحاته الدينية وانصرف عن السياسة وإدارة الإمبراطورية, وقد عرف بالأناشيد الموجهة للإله الجديد آتون أو ما يعرف حاليا بنظام تل العمارنة. أنظر: سمير أديب, المرجع السابق, ص ص 194-196.

أنا الكاتب الحكيم للآلهة نيسابا...
فقد أطلقت رجلي وسرت في طرق البلاد
ثبت المسافات على الطريق وبنيت بيوتا للسكن
ووزعت الحدائق على جانبها وأقمت دورا للاستراحة
وعينت في هذه الأمكنة رجالا ذوي خبرة
فمن جاء من أعلى أو من جاء من أسفل
بمقدوره أن يستريح في ظلالها...
أنا شولكي المرموق الكريم, قدمت هناك قرابين
وعلى القصر المنيف للآلهة ننال كال
انحنيت واغتسلت بمار جار
ثم ركعت وتناولت الطعام هناك...
أنا الملك الذي أعطى سلطة ملكية سامية
الذي يمنحه الإله سين, من بعد إي-كشنوكال
الحمد للآلهة نيسابا [(1)].

ب. ترتيلة للآلهة عشتار:

وهذا النص يمثل دعاء – صلاة - يرافقه رقية طقوسية, وفيه تخاطب عشتار بصفتها إله الشجاعة والحرب, كأعظم آلهة بين الآلهات, ويصف المتوسل حيرته ويصلي لإعادة الرخاء له ليسبح بالشكر والحمد لعشتار وجميع من يرونه من الآلهة, ويشير النص أنه أحد ممتلكات الايساجيلا في بابل وأنه أستنسخ من نص أقدم في مدينة بورسيبا, وقد كتب في العهد البابلي الحديث:

إنني أصلي لك يا سيدة السيدات, وآلهة الآلهات
أيا عشتار, ملكة كل الشعوب, التي تقود البشرية باستقامة
أيا أقوى الأميرات, مبجل أسد
أنت حقا نور السماء والأرض, أيا ابنة سين المقدامة

(1)- فاضل عبد الواحد علي, **(سومر أسطورة وملحمة),** المرجع السابق, ص ص 295-298.

أيا مالكة كل القوى الإلهية التي تلبس تاج السلطان...
والتي مع ذلك تهب صداقة على الدوام [1].
أيتها الجبارة, سيدة المعركة التي تخضع الجبال...
أنت تصدرين حكما وقرارا كاملين, سنن السماء والأرض
معابد, وأماكن مقدسة, ومواضع مقدسة, وهياكل تصغي إليك.
أين لا يوجد اسمك, أين لا توجد قوتك الإلهية ؟...
لك قد صليت, اغفري خطيئتي
اغفري ذنبي, وإجحافي, وأفعالي المخجلة, واعتدائي
تجاوزي عن أفعالي المخجلة, تقبلي صلاتي
فكي قيودي, حققي انعتاقي
سددي خطاي بإستقامة, مبتهجا كبطل دعيني أدخل الطرقات مع الأحياء...
أنظري إليّ بإخلاص واقبلي توسلي
حتى متى, أيا سيدتي ستبقي غاضبة فيتحول عني وجهك
حتى متى, أيا سيدتي ستبقي ساخطة فتبقى روحك هائجة...
إن عشتار حقا مبجلة, إن عشتار حقا ملكة
السيدة حقا مبجلة, السيدة حقا ملكة [2].

جـ. ترتيلة الملك نابونائيد:

وهي ترتيلة موجهة من الملك نابونيد إلى الآلهة:

"حين خلق مردوخ سيد الآلهة العظيم سيد العالم... حين خلق الأمير سماه نابونيد ملكا مكرسا للعبادة ليمارس السلطان, ورفع رأسه فوق الملوك جميعا, سعد الآلهة العظام بكلمته من أجل ملكه, ولقد منحه أنو وانليل العرش إلى الأبد, والتاج والصولجان وعصا الملك وكتاب الطقس الملكي, جعله أيا خالق جميع الأشياء... كامل الحكمة... أمّا بعليت ايل خالقة العالم فأكملـت تكوينه, وأمّا نابو مراقب العلم منحه العقل, وأمّا سن ابن الأمير فقد تبصره في صورته, وأمّا

(1)- فيصل الوائلي, من أدب العراق- ترانيم وأدعية سومرية وأكدية - مجلة سومر, المجلد 20, ج1+2، مديرية الآثار, بغداد 1964, ص 69-70.
(2)- نفسه، ص ص 70-74.

شمش ضوء الآلهة فقد جعله راعيا لقطيعه ووضع رعاياه تحت إمرته, وأمّا ايـرا العظـيم القوي بين الآلهة فقد منحه القوة وأمّا زبابا المعظم فقد جعله كاملا في همته. وأمّـا نوسـكو المخيف فقد زينه بأبهة الملك ثم استدار إلى روحه الحارسة حتى يستطيع تنظيم الرؤيا الإلهية واتخاذ القرارات وتحديد المستقبل, واستدعته الآلهة المعظمة لمعونته حتـى يـستطيع إنقـاذ أوامره..."[(1)].

ويتضح من هذه النصوص أن السومريين والبابليين قد رفعوا دعواتهم وصلواتهم إلى الآلهة وخصوصا بالعبادة والتقديس وقدموا لها القرابين وشيّدوا لهـا المعابـد والزيقـورات العالية, ويتجلى أيضا الدور الذي شغلته المعتقدات الدينية في المجتمع ومدى التزام الفرد في تأدية الطقوس والشعائر الدينية واحترام الآلهة. كما أن هذه النصوص الأدبيـة ذات الطـابع الديني لم تكن من تأليف كهنة المعبد فقط, فهناك من الملوك من حرص على رفع التراتيـل والأدعية والصلوات إلى الآلهة[(2)].

4. الأمثال والحكم:

يعتبر أدب الحكمة أحد ضروب الأدب التي عرفت في وادي الرافدين, ويشمل تآليف متنوعة تهدف إلى الحكمة والموعظة وتتطرق إلى قضايا فكرية وفلسفية تتعلق بالإنسان وما تقدر له من ثواب أو عقاب ومن أسباب النجاح أو الفشل في الحياة, وهناك قصيدتان بابليتان تعتبران على قدر كبير من الأهمية أدبيا وفكريا لأنهما تدوران حول الإنسان المعذب والعدالة الإلهية وهما من المواضيع التي عنى بها الكتاب والمفكرون السومريون والبـابليون عنايـة خاصة[(3)].

أ. قصة أيوب البابلي:

قصيدة بابلية يعود زمن تدوينها إلى العهد الكشي, وعدد أبياتها 500 بيت, وعنوانهـا "لأمجدن رب الحكمة" نسبة إلى مطلعها والمقصود برب الحكمة أو سيد الحكمة إلـه بابـل مردوخ, ويرجح أن بطل القصة كان أحد الوجهاء أو الأمراء البابليين, وقـد أطلـق عليهـا

(1)- L. Delaporte, Op.Cit, P 234.

(2)- فاضل عبد الواحد علي وآخرون, المرجع السابق, ص 382.

(3)- نفسه, ص 361.

الباحثون "أيوب البابلي" لأوجه الشبه الواضحة بينها وبين قصة أيوب المشهورة في العهد القديم.

والقصة عبارة عن مناجاة فردية تبدأ بمناجاة العبد الصالح للإله مردوخ: "لم أعرف في حياتي سوى العمل الصالح والعبادة, وشغلت أفكاري بالتضرع إلى الآلهة والتضحية والتقرب إليها, وكانت أوقات عبادة الآلهة سرورا لقلبي, الأيام التي أسير فيها في مواكب الآلهة مكسبي ونصري في الحياة, ويبعث تمجيد الملك المسرة لقلبي, والموسيقى التي تعزف له مثار غبطتي وسروري. وألزمت أهلي وأتباعي مراعاة شعائر الآلهة وعبادتها, وعلمت الجند طاعة القصر, لأن هذه الأعمال تسر الآلهة...".

وعلى الرغم من صلاح هذا الرجل واستقامته إلا أن تقوته لم تحل بينه وبين المصائب فقد ابتعدت عنه الآلهة, وتعرض لغضب ملكه وتآمر الحاشية عليه فأصبح وحيدا, والأكثر من ذلك تعرضه للأمراض: " لقد تمكن مرض أنو من جسمي وغطاه كالرداء, أذناي مفتوحتان ولكنهما لا تسمعان, وأصاب جسمي الضعف والوهن, وأصبح السوط مسلطا عليّ يرعبني ويعذبني, وصار معذبي يطاردني في النهار ويسلبني الراحة في الليل, لقد خذلني الإله ولم يتقدم إله لعوني, ولم تعطف عليّ آلهتي فتخلصني من مصائبي, حسبني الجميع أنني ميت كأن القبر مفتوح أمامي فنهبوا أموالي, فرح بي حسادي وشمت بي أعدائي ولم يستطع السحرة والمعوذون مساعدتي..."(1).

غير أن العذاب الذي يصيب العبد الصالح لا يظل ملازما له إلى الأبد, بل أنه امتحان له من الآلهة لاختبار صبره وتعلقه بالآلهة والالتزام بأحكامها وقبول أقدارها, وهكذا كانت خاتمة بطل القصة من بعدما عانى, من نكبات وأمراض, وقد تمثل ذلك بسلسلة من الأحلام رآها الرجل المعذب في منامه, وكان آخرها أنه رأى رجلا قال له أنه رسول من الإله مردوخ يحمل له البشرى بالخلاص ثم يستمر العبد الصالح في ذكر تفاصيل شفائه واستعادة أعضائه الحياة مجددا, وتنتهي القصة أو الحكمة بذكر تفاصيل ذهابه إلى مدينة بابل قاصدا

(1)- طه باقر, **(مقدمة في أدب العراق القديم),** المرجع السابق, ص 148.

عبد الإله مردوخ ومتنقلا بين بواباته العديدة, حيث أقام الصلوات إلى الإله, وقـدم الـذبائح والهدايا والنذور[1].

لقد ارتبطت هذه القصة ارتباطا وثيقا بالمعتقدات الدينية, فقد تطرقت لمسألة حـساسة وهي العدالة الإلهية, فقد كان السائد عند السومريين والبابليين أن الآلهة خلقت البشر لخدمتها وخصها بالعبادة وأداء الطقوس والشعائر, ولا شك أن الفرد كان يطمح مقابل ذلك أن تمنحه الآلهة الحماية والسعادة في الحياة, وهو الإطار العام الذي كانت تقوم عليه العقيدة الدينية عند السومريين والبابليين فيما يخص العلاقة بين الفرد وإلهه وما ينتج عنه من ثـواب وعقـاب ويبدو أن هذه القاعدة لم تكن مضمونة, فقد يسود الشر على الخير في حياة بعض الأشـقياء وكان رد الكهنة على ذلك أن الآلهة نفسها لم تخل من صفات شريرة أي أن عنـصر الـشر موجود في الآلهة, وهذا ما يعبر عنه المثل السومري: لم تلد امرأة قط ابنا بريئا, ونفهم مـن كل هذا أن التقوى هي الطريق إلى النجاح والسعادة, وأن على الإنسان أن يتمـسك بالآلهـة تحت مختلف الظروف[2].

ب. حوار بين صديقين:

تعالج مسألة العدل الإلهي, ويرجح أن زمن تدوينها يعود إلى مطلع الألف الأول ق.م ووجدت معظم نسخها في مكتبة الملك آشور بانيبال, وهي حوار بين صديقين عكس الأولـى وتشبه أبياتها من حيث مقاطعها ما ورد في المزامير[3].

وتتخذ القصيدة حوارا مطولا بين رجل مكتئب وله حكيم يحاول أن يواسيه ويخفـف عنه آلامه وأن يخلصه من حالة اليأس والقنوط التي يعيشها إلى الإيمـان برحمـة الآلهـة وقدرتها على إنقاذه وإخراجه من عالم الظلمة إلى النور, ويبدأ المعذب حواره مـع صـديقه الحكيم على همومه وعن ما أصاب جسده من ضعف وكيف أنه لا يرى أملا في الخـلاص من العذاب, ورغم أنه كان منذ صباه يتعبد إلى الآلهة ويقدم لها القرابين, إلا أنها أعرضـت

(1)- فاضل عبد الواحد علي وآخرون, المرجع السابق, ص 370.

(2)- سهيل قاشا, المرجع السابق, ص ص 214-216. أنظر كذلك: ثوركليد جاكوبسن وآخرون, **ما قبل الفلسفة- الإنسان في مغامرته الفكرية الأولى**- تر: جبرا إبراهيم جاد, مر: محمود الأمين, مكتبة الحياة, بغداد, 1960, ص ص 253-256.

(3)- طه باقر, **(مقدمة في أدب العراق القديم),** المرجع السابق, ص 150-151.

عنه وجعلت أعز أصدقائه يتنكر له, وهنا يتساءل المعذب فيقول: لماذا الآلهة لا تحمي أولئك الذين لا يستطيعون حماية أنفسهم ؟, وهكذا يستمر الحوار بين المعـذب وصـديقه, فـالأول يطرح في كل مرة جانبا من المعاناة التي كان يعيشها على شكل صور ومشاهد من المجتمع حيث الظلم والنفاق, ومرةً من عالم الحيوان حيث تسود شريعة الغاب[1]:

• المعذب: أين الناصح الذي أشكو إليه عذابي ؟ أراني قد انتهى أمري وتسلط علي الـشقاء فعندما كنت طفلا اختطف القدر أبي وذهبت أمي إلـى أرض اللارجعـة, ولا أحـد يتكفـل برعايتي.

• الصديق: ما قلته يا صديقي الموقر يبعث على الحزن, أراك وجهت فكـرك إلـى الـشر والبؤس وبدا فهمك كفهم العاجز وبدلت بشاشة وجهك, إن الموت قدر على آبائنا وعلينا وكما قيل منذ القدم "يعبر الجميع نهر خبر(الموت)".

• المعذب: فكرك يا صديقي, منبع لا يدرك عمقه, إنه البحر المتلاطم الذي لا ينضب, دعني أسألك: لقد خذلني التوفيق, وذهبت عني الراحة والطمأنينة, وهنت قـواي, وفقـدت النعـيم والخير, وأظلم وجهي من كثرة الحزن والبقاء, تضاءلت غلال حقلي, فكيف سأنال السعادة ؟

• الصديق: تجازي الآلهة الأتقياء الصالحين في نهاية المطاف.

• المعذب: دعني أسألك سؤالا: هل يقدم السبع المفترس الذي يلتهم أحسن اللحم القرابين إلى الآلهة ؟ والفتى الذي كدس الأموال هل يقدم للآلهة "مامي" الذهب ؟ وأنا هل انقطعـت عـن تقديم الصلوات والقرابين ؟

• الصديق: أعرف أنك ثابت كالأرض, وتعلم أن حكمة الآلهة صعبة الإدراك فإن الأسد الذي ضربته مثلا تنتظره الحفرة التي ستصطاده, والفتى الذي كدس الأموال... من أدراك أنـه لا يموت حرقا على يد الملك قبل حلول أجله ؟ أترغب أن تسير في هذا الطريق ؟ كلا, الأجدر بك أن تسعى وراء الجزاء الدائم الذي يعدك به إلهك...[2]

ويشعر القارئ من خلال التفاصيل التي يطرحها الرجل المعذب أنه كان دائما يضرب على وتر واحد ألا وهو حقيقة وجدوى العدل الإلهي, ومن جهة أخرى تتجلى فطنة وبراعـة

(1)- فاضل عبد الواحد علي, **(سومر أسطورة وملحمة),** المرجع السابق, ص 248.

(2)-رشيد عبد الوهاب حميد, المرجع السابق, ص 186-187.

صديقه الحكيم في قدرته على الإتيان بالحجة وإن بدت غير مقنعة للمعذب أحيانا, وفي محاولته إيجاد التفسير المناسب للمظاهر السلبية التي يطرحها صديقه من خلال التشبث الدائم بالقيم الاجتماعية الفاضلة والتعاليم الدينية المعروفة[1]، غير أن المعذب يستمر في التمادي بشكوكه حتى يبلغ درجة الكفر فيقول: لن أنصاع لأوامر الآلهة, وسوف أدوس بقدمي على شعائرها...

جـ. الأمثال:

تشكل الأمثال جانبا من أدب الحكمة, وهي بصفة عامة تقال في مناسبات معينة وبجمل قصيرة مركزة تعبر بالنتيجة عن تجارب وحالات اجتماعية محددة, لذلك تكون صعبة الفهم وتتطلب مسبقا معرفة بالوقائع والأحداث التي حصلت فيها حقيقة أو افتراضا وفيما يلي بعض الأمثال التي ارتبطت بالآلهة والمعتقدات الدينية[2]:

- أطع كلام أمك كأنه أمر إلهي[3].
- لا تطلب المياه من ننجشزيدا.
- الرجل ظل الإله, والعبد ظل الرجل, ولكن الملك صورة الإله.
- شد حزامك يكن إلهك معك.
- الإله هو الذي يعينك صغيرا كنت أم كبيرا [4].

وخلاصة ما يقال بهذا الصدد أن المعتقدات الدينية قد أثرت في أدب وادي الرافدين بوجه عام وفي أدب السومريين والبابليين بوجه خاص, شأنها في ذلك شأن الحضارات القديمة الأخرى, سواء كان ذلك في إشراك الآلهة بأحداث الملاحم البطولية والقصص والأساطير أو في المواضيع والأغراض الدينية المتنوعة كالترتيل والأدعية والابتهالات والصلوات التي كانت تؤلف قسما مهما من النتاج الأدبي الشعري, إذ أنها كانت تنظم شعرا أما النثر فقد استخدم في أغراض أدبية أخرى مثل: تدوين الحوادث التاريخية والرسائل الملكية وتدوين أعمال الملوك وحملاتهم الحربية والشرائع والأمثال والمواعظ.

(1)- فاضل عبد الواحد علي, (**سومر أسطورة وملحمة**), المرجع السابق, ص 248.

(2)- رشيد عبد الوهاب حميد, المرجع السابق, ص ص 187-190.

(3)- فاضل عبد الواحد علي وآخرون, المرجع السابق, ص 374.

(4)- طه باقر, (**مقدمة في أدب العراق القديم**), المرجع السابق, ص 159.

وهذا يعني أن النتاج الأدبي في سومر وبابل يعتبر مرآة صادقة تعكس كثيرا من المعتقـدات الدينية للسكان وعاداتهم وتقاليدهم, كما يعكس ضمنا الظروف الطبيعيـة القاسـية كظـاهرة الطوفان...[1].

(1)- فاضل عبد الواحد وآخرون, المرجع السابق, ص 321.

الفصل الثالث: أثر الدين على العلوم والمعارف

1- علاقة التدوين التأريخي والجغرافي بالدين

أ- التدوين التأريخي

ب- الجغرافيا

2- الأبعاد الدينية لظهور الحساب

أ- البعد الديني لدراسة الحساب

ب- الجداول والمسائل الرياضية

- الجداول الرياضية

- المسائل الرياضية

3- علاقة الدين بالفلك

أ- عبادة الأجرام السماوية

ب- التقويم والتنجيم

4- ارتباط الدين بالطب

أ- سبب المرض

ب- الأطباء والكهنة

- المدرسة الدينية

- المدرسة العلمية

ج- النصوص الطبية

- نصوص التشخيص والإنذار

- النصوص الخاصة بالعلاج والأدوية

- ما جاء في شريعة حمورابي

لقد نتج عن الكشف عن مخلفات حضارة وادي الرافدين، وحل رموز الكتابة المسمارية منذ منتصف القرن 19 م معرفة أدوار هذه الحضارة ومنجزاتها المادية خاصة منها المعارف والعلوم, والتي تعود أقدم إلى العصور، وقد عثر في المكتبة التي جمعها الأشوريون في القرن 7 ق.م عن مجموعة كبيرة من الألواح الطينية، أي السجلات التي حفظت معارف سابقة في مجالات المعارف البشرية المتراكمة عبر الأجيال، وتدل الدراسات الحديثة أن أبناء حضارة وادي الرافدين جمعوا جداول مطولة في مجالات علوم الحياة والنبات والمعادن والتقنية والأدوية النباتية، ومن حسن الحظ أن المشتغلين في الطب تركوا لنا ألواحا سجلوا فيها معارفهم العلمية العامة والطبية الرياضية، وما قانون حمورابي غير دليل على تطور التنظيم الطبي بصورة خاصة منذ أوائل الألف الثاني ق.م...

وقد كان الغرض من الاختراعات والصناعات وتكوين المعارف والعلوم كأساليب ضبط مشاريع الري وإقامة السدود والسيطرة على مياه الفيضانات وصناعة الآلات وضبط الفصول وقياس الزمن وغيرها... وكل هذه الأعمال التي اهتدى إليها السومريون وتواصلت مع الأجيال القادمة هي لتسخيرها في مواجهة الطبيعة، فكانت بذلك هذه المعارف والعلوم هي الأساس لعلوم حاضرنا.

وفي كثير من الأحيان لم تكن هذه المعارف تهدف إلى التعرف على حقيقة الكون، أو تطبيق النتائج العلمية، وقد نسبت إلى كل مادة أو ظاهرة صفات وهمية خيالية، بالإضافة إلى صفاتها الحقيقية، فبعض الظواهر الطبيعية قد أُعطيت طابعا خرافيا، كما لم يكن هناك تحديد بين الطبيعة العضوية وغير العضوية، أي أن النشاط المعرفي العلمي تطور في كثير من الأحيان بعيدا عن الأهداف السابقة، وهذا يقودنا إلى القول بأن هناك بعض المعارف لم تفسر على أساس علمي أو أنها كانت تهدف إلى تفسير الظواهر الطبيعية المختلفة، وللوقوف على تفسير هذه الظاهرة سأتطرق لأهم العلوم التي تميز بها السومريون والبابليون والتي يتضح فيها تأثير الدين جليا لأن المجال لا يتسع للحديث عن جميع العلوم.

1. علاقة التدوين التأريخي والجغرافي بالدين:

أ. التدوين التأريخي:

كان الاعتقاد أن بدايات التأريخ والتدوين التأريخي كانت في بلاد اليونان على يد المؤرخ هيرودوت - القرن الرابع ق.م - غير أن المكتشفات الحديثة في العراق وقراءة النصوص المسمارية السومرية البابلية الكثيرة أظهرت بشكل واضح بأن لسكان وادي الرافدين القدماء قصب السبق في هذا المجال كغيره من مجالات العلم والمعرفة، ومع أن المفاهيم والقواعد العلمية في تدوين التأريخ كالنقد والتفسير والتحليل لم تكن معروفة آنذاك، إلا أنه برز عند القوم أهم الأهداف التي تميز التأريخ بوجه عام "الحس التأريخي"، أي الاهتمام بتسجيل تجارب الأجيال الماضية وخبراتها ومنها أعمال الملوك والحكام، ومحاولة تفسير التأريخ البشري العام بالرموز الأسطورية مثل خلق الإنسان ومكانته في نظام الكون والحياة وظهور المجتمع وأنظمة الحكم(1).

وما يظهر أسبقية السومريين والبابليين في التدوين ما ورد في ملحمة جلجامش:

هو الذي رأى كل شئ فغنى بذكره يا بلادي

وهو الذي عرف جميع الأشياء وأفاد من عبرها

وهو الحكيم العارف بكل شيء

لقد أبصر الأسرار وعرف الخفايا المكتومة

وجاء بأنباء أزمات ما قبل الطوفان

فنقش في نصب من الحجر كل ما عاناه وخبره (2).

وقد ألف الكتبة إثباتا بالحوادث المؤرخ بها، حيث جمعوا حوادث كل ملك أو أكثر من ملك في ثبت خاص متسلسل ابتداء من ثبوته العرش(3) عرفت بجداول أول سلالات الملوك التي حكمت البلاد، وأوسعها ما يسمى بجداول الملوك السومرية، وهي أوسع جداول بأسماء الملوك والسلالات التي حكمت وادي الرافدين منذ أزمان ما قبل الطوفان إلى سلالة أيسن

---

(1)– فاضل عبد الواحد علي وآخرون، (**العراق في التاريخ**)، المرجع السابق، ص 225.

(2)– فاروق ناصر الراوي وآخرون، **العلوم والمعارف، (حضارة العراق)، ج2**، المرجع السابق، ص 271.

(3)– طه باقر، **(مقدمة في تاريخ الحضارات**)، المرجع السابق، ص 320.

أولى سلالة العصر البابلي القديم، وهناك جداول مختصرة من السلالات الحاكمة مثل جداول الملوك البابليين وأشهرها الجدول المتضمن سلالة بابل الأولى التي اشتهرت بملكها السادس حمورابي[1].

وقد احتلت قائمة الملوك السومرية مكانة استثنائية، ذلك أنها تميزت بالطابع الأسطوري إذ تتميز بطول فترة حكم ملك من الملوك الذي حكم قبل الطوفان، فبعد أن نزل الحكم من السماء أصبحت أريدو مركزا للحكم، وحكم "ألوليم" في أريدو 28800 سنة، وامتد حكم "ألالجار" 26000 سنة، وحكم البلاد ملكان آخران مدة 64800 سنة، وبعد أن هجرت أريدو وانتقل الحكم إلى مدينة بادتيبرا، حيث حكم "انيمين لوانا" مدة 43200 سنة، وتنص قائمة قديمة أن عدد الملوك الذين حكموا في عهد ما قبل الطوفان بلغ ثمانية حكموا في خمس مدن لمدة 241200 سنة، وقد تقلصت مدة الحكم بعد الطوفان، فابتداء من السلالة الثامنة بعد الطوفان أصبحت فترة الحكم مقاربة للحقيقة عدا بعض الحالات[2].

ويستند التدوين التأريخي إلى الاعتقاد بأن أسباب التحولات التاريخية تعود إلى إرادة الآلهة التي تعاقب على الذنوب[3]، والتي أمرت الإنسان بالحفاظ على تاريخه وهو ما ينعكس في رواية بيرسوس[4] الخاصة بالطوفان, والتي مفادها أن رجل الطوفان أوتنابيشتم (زيوسودرا في النسخة السومرية) تلقى إشعار من الإله بقرب حلول الفيضان وأمر بحفر حفر يدفن فيها أول ووسط ونهاية الكتابات، أي كل ما بحوزته من ألواح مكتوبة، وأن رجل

---

(1)- فاضل عبد الواحد علي، عامر سليمان، المرجع السابق، ص 167-168.

(2)- كلكشوف، **الحياة الروحية في بابل- الإنسان، المصير، الزمن**- تر: عدنان عاكف حمودي، منشورات المدى، دمشق، 1995، ص 25. أنظر كذلك: فاضل عبد الواحد علي, **(الطوفان في المراجع المسمارية)،** المرجع السابق**،** ص 18-19.

(3)- نعيم فرح، المرجع السابق، ص 56.

(4)- بيرسوس: (Berosous) أحد كهنة مدينة بابل ويحتمل أنه كان كبير آلهتها (مردوخ) في القرن الثالث ق.م ولعل اسمه بالبابلية (برعوشا أو بروخوشا)، ويروى أنه عاصر الإسكندر الكبير، وقد ألف باليونانية كتابا ضخما ضمنه تاريخ بابل منذ الخليقة وحتى حكم الاسكندر بعنوان Babyloniaca أو بلاد بابل Chaldaica، لكن هذا الكتاب ضاع وبقيت شذرات منه في المصادر الكلاسيكية اليونانية. أنظر: خزعل الماجدي، **بخور الآلهة- دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين**- دار الأهلية، لبنان، 1998، ص 147، الهامش رقم 30.

الطوفان نفذ الأمر الإلهي ودفن كل الكتابات في مدينة سبار(اليوسفية) ويذكر بيرسوس أيضا أنه بعد انتهاء الطوفان سمع الناس هاتفا يأمرهم بأن يتوجهوا إلى أرض بابل ليستعيدوا الكتابات المدفونة وينشروها بين الناس.

وقد كان هذا الأمر الإلهي بدفن الألواح المكتوبة بالذات دون غيرها دليلا واضحا على أهمية تلك الألواح، فلو قدر لها أن تضيع أو تتلف بسبب كارثة الطوفان لفقد الإنسان أغلى ما عنده وهو تاريخه وبالتالي نتاجه العلمي والأدبي[1].

وقد حرص النساخ (الكهنة) دائما على أن يتركوا في نهاية معظم النصوص المسمارية هامشا أو تذييلا كان الهدف منه الحفاظ على إرثهم التاريخي، فقد كانوا يثبتون في هذه الهوامش ديباجة تنص في معظم الأحيان على أنه نقل من النسخة الأصلية مع ذكر اسم الناسخ وتاريخ الاستنساخ ولأمر من تم ذلك، ثم استنزال لعنة الآلهة على كل من يحاول تحريف النص أو أخذه وإتلافه، ونقرأ في قصة مكائد جميل يسين في نفر التذييل التالي:

كتب ودقق وفق النسخة الأصلية

الناسخ بنو-رختو-أصر

الناسخ المساعد، عضو مجمع

أمين القصر لأمر تدري-زكال

كل من يأخذ الرقيم عسى أن يأخذه أيا

بأمر من بنو الذي يسكن معبد ايزيدا

وعسى أن لا يكون له نسل أو خلق

في شهر آذار اليوم الحادي والعشرين من سنة...

فذلك محرم عند أيا ملك مياه العمق[2].

ومن النصوص التي توضح اهتمام السومريين والبابليين بالتأريخ الذي ارتبط بالمعتقد الديني هي الرسائل، خاصة منها الرسائل الملكية المقدمة للآلهة، وعادة ما يتحدث فيها الملوك عن الأعمال التي قاموا بها سواء كانت أعمال حرب وانتصارات... ومن هذه

---

(1)- سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق، ص 141.

(2)- فاضل عبد الواحد علي، **(من سومر إلى التوراة)**، المرجع السابق، ص 113-114.

الرسائل رسالة من ماري قدمها إلى الإله الأمير يسمخ- أدد وفيها يذكر لنا هذا الأمير والأجيال الثلاثة التي سبقته على حكم ماري، ويعتقد الباحثون أن ذلك كان تقليدا يمارسه في تقديم الشكر أو طلب لمغفرة الذنوب وتلبية الرغبات، وقد انتقلت هذه العادة إلى الأشوريين بواسطة أشمي-داكان وشمشي أدد[1].

وفي هذا السياق أيضا يذكر نبونائيد عن تجديده لبناء معبد الإله سين في حران بأنه استظهر أسس ذلك المعبد التي كان قد أرساها الملك الأكدي نرام- سين والتي تعود إلى 1500 سنة مرت[2]، وفضلا عن ذلك كله فقد وجد نوع آخر من النصوص التي أمدتنا بمعارف سكان وادي الرافدين عن التأريخ وهي نصوص العرافة والتي ارتبطت مباشرة بالأمور الدينية والسحرية[3] .

وبالرغم من الصبغة الدينية التي تحاط بها مثل هذه النصوص إلا أنها تخبرنا بأحداث تاريخية كاملة مثلها مثل نصوص الحوليات التي تذكر الحوادث عاما بعد عام عند تدوين الأخبار والتي يعود أقدمها إلى زمن حكم الملك السومري أنتمينا وتخبرنا عن المعارك التي دارت بين دولة لكش وأوما، ويستعرض فيها الملك الأحداث التي سبقت عهده... وما خلفه البابليون من المدونات التاريخية التي تعرف بكتب الأخبار[4].

ب. الجغرافيا:

لم يقتصر اهتمام السومريين والبابليين على المعارف التاريخية وحدها، بل فكروا في مختلف النواحي العلمية، ومن أهم ما عنوا به محاولة التعرف على الكون، ومكان بلادهم منه وما حواه من بلاد أخرى[5]، فقد تصور البابليون أن الأرض وما فيها صورة أو نسخة لما في السماء، فالفرات ودجلة وجميع الأرض والبلدان وحتى المعابد صور ثانية لما هو في السماء، وتصوروا الأرض بهيئة نصف كرة مقلوبة أو قبة طافية في المحيط (أو قفة مقلوبة)، وتعلو الأرض السماء وهي بثلاث طبقات أو سبع طبقات وهي كذلك بهيئة القبة،

(1)- فاروق ناصر الراوي وآخرون، المرجع السابق، ص 286.

(2)- فاضل عبد الواحد علي، **(من سومر إلى التوراة)**، المرجع السابق، ص 112.

(3)- فاروق ناصر الراوي وآخرون، المرجع السابق، ص 275.

(4)- نفسه، ص 277-278.

(5)- أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 247-248.

وتقوم السماء كالبيت فوق أساس موضعه في هذا الأفق الذي نراه، وسموا القسم العلوي من السماء بالمركز أو"كبد السماء", وأعلى نقطة فيه هو السمت ويحيط بالسماء البحر أو المحيط السماوي، وقسموا الأرض إلى ثلاث مناطق: المنطقة العليا هي الظاهرة التي يسكن فيها البشر والوسطى موضع المياه ومنطقة إله المياه "أيا" ثم الأرض السفلى وفيها أرواح الموتى، وقد ورد في بعض المواضيع تقسيم السماء والأرض إلى سبع مناطق، وقسموا الأرض إلى جهات أصلية تقابل كل جهة قطرا عظيما من الأقطار وتسمى باسمه، فالجنوب بلاد عيلام، والشمال بلاد أكد والشرق بلاد السوباريين والكوتيين (الآشوريين) والغرب بلاد الأموريين (سوريا)[1].

ولعل أحسن ما يرينا مقدرتهم الجغرافية ما جاءنا عنهم من الخرائط المختلفة، فقد وجدت أقدم خريطة معروفة وهي خارطة مدينة نفر التي يرجع عهدها إلى الألف الثاني ق.م[2]، وتمثل هذه الخريطة الجزء الشرقي من مدينة نفر، ويظهر عليها اسم المدينة واسم نهر الفرات وأسماء قنوات الجداول التي تمر بها إضافة إلى بعض المعالم الرئيسية مثل معبد أي-كور والمخازن والسور والبوابات والخنادق المحيطة بالسور...[3] (انظر الملحق رقم05 ص 179)، وهناك أيضا خارطة بابل وسبار.

وقد تعدى البابليون رسم الخرائط ذات المساحات المحدودة إلى رسم خرائط الإقليم ومنها خارطة العالم المعروف لديهم آنذاك، وتصور هذه الخريطة الأرض وهي مدورة مسطحة وفي وسطها نهر الفرات، وقرب المركز وضعت بابل وفي جانب منها بلاد أشور وقد علت المدن والمواضيع على الخارطة بواسطة دوائر صغيرة ووضعت أسماؤها إلى جانبها، ويحيط بالقارة التي تمثلها هذه الخارطة النهر أو البحر المالح[4]. (انظر الملحق رقم06 ص 180).

(1)- طه باقر، **(مقدمة في تاريخ الحضارات)**، المرجع السابق، ص 325. أنظر كذلك: جورج سارتون، المرجع السابق، ص 185.

(2)- فاضل عبد الواحد علي وآخرون، (**العراق في التاريخ)،** المرجع السابق، ص 228.

(3)- فاروق ناصر الراوي وآخرون، المرجع السابق، ص 285.

(4)- فاصل عبد الواحد علي وآخرون، (**العراق في التاريخ)،** المرجع السابق، ص 228-229.

2. الأبعاد الدينية لظهور الحساب:

أ. البعد الديني لدراسة الحساب:

صحب ظهور الكتابة في المعبد معرفة الأرقام وتسجيلها[(1)]، فكان ظهور الحساب والأرقام كنتيجة للتسجيلات والحسابات الاقتصادية المتعلقة بالمعبد الذي كان يمثل عماد الحياة الاقتصادية[(2)]، كما ظهرت الحاجة إلى ضبط الزمن والفصول والأعمال الهندسية المتعلقة بتشييد الأبنية الضخمة مثل الزيقورات...[(3)]، ولعل أولى العلامات التي اهتدى إليها الكهنة السومريون آنذاك كانت علامات حسابية أو عبارة عن أشكال هندسية تمثل دوائر أو أنصاف دوائر تمثل الرصعة الكائنة نهاية مقطع القصب الذي يستخدم كأداة أولى للكتابة على الطين لتعليم العلامات الدالة على الأشياء الواردة في المعبد، وبذلك يمكن عد الكهنة الأوائل في العصر السومري الأول كتبة العد أو أول المحاسبين في تاريخ بلاد الرافدين[(4)].

ولم تقتصر أهمية الأرقام على الجانب الاقتصادي للمعبد، فقد كان للكثير من الأعداد قداسته من خلال منظور ديني، وصار لهذه القدسية صفة سحرية أيضا، فمثلا الرقم (1) يدل على الإنسان نفسه، والرقم (2) عرفه الإنسان من الأعضاء المتناظرة في جسده كاليدين والقدمين والعينين..الخ، أما الرقم (3) فكان يدل على الجمع والكثرة، واستعمل الرقم (7) للدلالة على الكثرة أيضا، واكتسب هذا الرقم صفة دينية مقدسة مع العدد (12) الذي يدل على التكامل وكذلك العدد (40) ثم العدد (60) الذي يدل على اكتمال النظام الستيني[(5)].

كما استعملت الأرقام من قبل السومريين والبابليين كرموز للآلهة، فالإله شمش كان يرمز له بالرقم (20) والإلهة عشتار يرمز لها بالرقم (15)[(6)] والإله سن بالرقم (30)[(7)]، أما

---

(1)- نجيب ميخائيل إبراهيم، المرجع السابق، ص227.

(2)- طه باقر، معابد العراق القديم، مجلة سومر، المجلد03، ج1+2، مديرية الآثار العامة، بغداد، 1947، ص 12.

(3)- طه باقر، **موجز في تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة والحضارة العربية الإسلامية**، جامعة بغداد، بغداد، 1980، ص 20 .

(4)- عامر الجميلي، المرجع السابق، ص 77.

(5)- خزعل الماجدي، **(بخور الآلهة)**، المرجع السابق، ص 191.

(6)- نجيب ميخائيل إبراهيم، المرجع السابق، ص ص 127-130.

(7)- Edouard Dhorme, Op.Cit, P 54

الإله أنو فرمزه (60)، وانليل ومردوخ رقمهما (50)، والإله أيا رقمه (40)، وإلهة العاصفة تنورتا (20)، والإله أدد (6)، وكان الرقم (13) من جملة الأيام التي تطير منها البابليون[1]، كما يعتبر الرقم (7) الرقم السحري الأكثر تداولا، إذ جعله السومريون عددهم المقدس، بعد ذلك ربطت السبعة في بابل بالاعتراف بالخطايا[2].

كما أن النظام الستيني الذي وضعه السومريون أعطوه صفة فلكية وتنجيمية دينية[3]، وحافظ البابليون على هذا النظام حتى نهاية السلالة البابلية الأولى، فقد عثر على رقم كثيرة كان كتبتها لا يزالون يعتمدون النظام الستيني على الرغم من أن النظام العشري البابلي-الأشوري كان قد ترسخ في تلك الفترة في بلاد الرافدين، ويعكس ذلك مدى تجذر هذا النظام في حياة وفكر إنسان تلك الفترة، خاصة وأنه ارتبط عبر القرون بكافة جوانب الحياة خاصة منها الجانب الديني[4]، واقتران وحدات هذا النظام بآلهتهم، وأدخلوها في أساطيرهم، وكانت هي أساس تصوراتهم حول نظام الوجود[5].

وقد أرجع العلماء سبب اختيار السومريين للنظام الستيني إلى طبيعة نظام القياسات والأوزان التي كانت لديهم إضافة إلى تقسيمات الليل والنهار وتقسيم السنة إلى أشهر وأيام[6]، ويرى عمر فروخ في كتابه "تاريخ العلوم عند العرب" أن سبب الاختيار ربما يعود لتأملهم بيوت النحل المسدسة، أو أنهم فعلوا ذلك لما رأوا الدائرة تنقسم إلى ستة أوتار متساوية كل وتر منها يساوي نصف قطر الدائرة[7]، وإضافة إلى هذه الأسباب فإن مرونة هذا النظام وخصائصه المتميزة على النظام العشري جعلته النظام الأنسب[8].

---

(1)- Marguerite Rutten, **(Le Science des Chaldéens),** Op.Cit, P 196.

(2)- خزعل الماجدي، **(بخور الآلهة)**، المرجع السابق، ص 198.

(3)- نفسه، ص 191.

(4)- موسى ديب الخوري، المرجع السابق، ص 121.

(5)- نفسه، ص73.

(6)- فاروق ناصر الراوي وآخرون، المرجع السابق، ص 301.

(7)- عمر فروخ، **تاريخ العلوم عند العرب**، دار العلم للملايين، بيروت، 1970 ، ص 20.

(8)- فاروق ناصر الراوي وآخرون، المرجع السابق، ص 301.

ويقوم النظام الستيني وفق تناوب في جداءات عددين أساسيين هما 6 و10، ويعطي جداء هذين العددين العدد 60، أساس النظام الستيني، ووحدات هذا النظام الأساسية يمكن أن تكتب وفق الشكل الآتي:

1	=1
10	=10
6×10	=60
$10\times6\times10$	$=10\times60$
$6\times10\times6\times10$	$=60^2$
$10\times6\times10\times6\times10$	$=10\times60^2$
$6\times10\times6\times10\times6\times10$	$=60^3$

ونلاحظ أن هذا النظام مبني وفق البنية الرياضية نفسها التي يبنى عليها النظام العشري إذ أن النظام العشري يرتكز على الوحدات التالية:

10، 10^2، 10^3، 10^4 [(1)].

وبمقتضى الطريقة الستينية يمكن الاكتفاء بوضع العلامتين: وهي صغيرة تدل على 1، وهي كبيرة تدل على الرقم 60، كما وضعوا علامة أخرى للدلالة على العشرة حيث أن تشكيلاتهما المختلفة تعطي كافة الأرقام (أنظر الملحق رقم07 ص 181)[(2)]، ولم يعرف السومريون والبابليون المرتبة الخالية أو الصفر الذي ظهر في عهد الاحتلال السلوقي حيث كتب على الشكل أو [(3)]، وقد استطاع البابليون أن يستغنوا عن معظم الكسور أي أنهم كانوا يكتبونها بهيئة أعداد هي أجزاء من الستين وقد طبقوا هذا المبدأ على المقاييس[(4)].

---

(1)- موسى ديب الخوري، المرجع السابق، ص 81.

للمزيد حول النظام الستيني أنظر كذلك: Marguerite Rutten, **(Le Science des Chaldéens),** Op.Cit, PP 108- 110.

(2)- طه باقر، **(مقدمة في تاريخ الحضارات)**، المرجع السابق، ص 334-335.

(3)- فاروق ناصر الراوي وآخرون، المرجع السابق، ص 300.

(4)- طه باقر، **(مقدمة في تاريخ الحضارات)**، المرجع السابق، ص 336.

ب. الجداول والمسائل الرياضية:

يرجع الفضل في الانجازات الرياضية العظيمة للبابليين، الذين أحسنوا استغلال الإرث السومري وتطويره، فقد خلف لنا هؤلاء أكثر من نصف مليون رقم من الطين بينها نحو ثلاثمائة لوح يختص مباشرة بالرياضيات، وكان العالمان نوجبوير (O.nevgebeauer) وثورودانجان (F.thureau-dangin) أول من درسها وفك رموزها المسمارية وقدما لها تفسيرات مختلفة، وقد ميزا بين نوعين من الرقم:

1. الجداول الرياضية:

تنوعت الجداول الرياضية التي وردت في الرقم الطينية فقد وجدت: جداول الجداء، جداول النسب ومقلوبات الأرقام، جداول للمربعات وللجذور التربيعية وللمكعبات وللجذور التكعيبية، جداول لمجموع عدد من التربيعات والتكعيبات الضرورية في حل بعض المسائل والمعادلات من الدرجتين الثانية والثالثة[1]، وفيما يلي بعض النماذج لهذه الجداول:

* جداول الضرب: وقد جاء من جداول الضرب عدة نماذج من بينها جداول مطولة قد تصل إلى أعداد كبيرة، وهي إما تكون جداول ضرب صرفة أي مجرد حاصل ضرب الأعداد المختلفة أو أنها تنظم في حقل منفصل مع جداول معكوس الأعداد[2].

* جداول معكوس الأعداد: وكان الغرض منه التخلص من الكسور، بمعنى أن معكوسات الأعداد ساعدتهم على أن يستبدلوا كل عملية تقسيم بعملية ضرب، فمثلا ثلث 60 هو20، فقالوا أن معكوس 3 هو 20 وللقسمة على 3 كانت العملية تستبدل بالضرب بـ 20[3]، وشكلها الرمزي: $\frac{أ}{ب} = أ \times \frac{1}{ب}$ ، وغالبا ما يحصلون على قيمة الأعداد من جداول مخصصة لهذا الغرض[4]، ومما زاد في سهولة هذه الطريقة هو اعتمادهم على النظام الستيني[5].

* جداول الجذور التربيعية: وكانوا يستخرجون الجذور التربيعية من جداول مربعات الأعداد ووجد العديد من هذه الجداول المنظمة بالشكل الآتي:

---

(1)- موسى ديب الخوري، المرجع السابق، ص 113-114.

(2)- طه باقر، **(موجز تاريخ العلوم)**، المرجع السابق، ص 35.

(3)- جورج سارتون، المرجع السابق، ص 167.

(4)- طه باقر، **(موجز تاريخ العلوم)**، المرجع السابق، ص 36 .

(5)- جورج سارتون، المرجع السابق، ص 161.

مربع 1 = 1

مربع 2 = 4

مربع 3 = 9... الخ.

* جداول بالجذور التكعيبية: وقد وردت هذه الجداول على النحو الآتي:

مكعب 1 = 1

مكعب 2 = 8

مكعب 3 = 27... الخ

* جداول بالجذور التربيعية والتكعيبية معا ومنها:

$2^1 = 2$

$2^2 = 4$

$2^3 = 8$[1].

2. المسائل الرياضية:

وكانت المسائل غالبا ما تطرح في إطار اقتصادي أو هندسي (ارث، ضريبة، تبادل تجاري، بناء أقنية أو مخازن، تقسيم الأراضي...) فكانت تحل بواسطة معادلات من الدرجة الثانية في أغلب الأحيان، وكان البابليون يتعاملون معها من خلال الجمل والكلمات دون استخدام الرموز وكان يتم الوصول إلى النتيجة عن طريق قائمة من القواعد والعمليات التي يجب تطبيقها وهي المراحل المختلفة لحل معادلة من الدرجة الثانية، كذلك عرف البابليون حل معادلتين بمجهولين وحل بعض المعادلات من الدرجة الثالثة، وكانت طريقة العرض أول الحل غالبا ما تكون هندسية الشكل[2]، والمثال التالي يوضح كيفية حل مسالة من الدرجة الثانية:

ربعت زيادة طول مستطيل على عرضه وطرحتها من المساحة فنتج 8.20 فإذا كان الطول 30 فماهو عرض المستطيل؟

(1)- موسى ديب الخوري، المرجع السابق، ص 114.

(2)- فاروق ناصر الراوي وآخرون، المرجع السابق، ص 309.

ربع 30 فيكون الناتج 15.0 وأطرح 8.20 ينتج 6.40 نصفا لطول 30 فتحصل على 15 ربع تحصل على 3.45 أضف 3.45 إلى 6.40 فتحصل على 10.25، خذ الجذر التربيعي لـ 10.25 فتحصل على 25 أطرح الـ 15 من25 فتحصل على 10 أطرح 10 من 30 فيكون 20 وهو مقدار عرض المستطيل.

ويمكن تحليل المسألة على النحو التالي:

إذا فرضنا أن طول المستطيل ط والعرض ع فيكون وضع المسالة بحسب النص:

ط-ع-(ط-ع)2=8.20.

وط بحسب الفرضية =30

ومن هاتين المسألتين نحصل على:

30(30-ط-ع)-(ط-ع)2=8.20.

أي 15.0-30(ط-ع)2=8.20

وبجبر المعادلة أي نقل الحدود المتشابهة من طرف إلى طرف آخر بتغيير إشاراتها نحصل على:

(ط-ع)2+30(ط-ع)=15.0-8.20=6.40

وهنا يدخل الرياضي القديم مبدأ المجهول المساعد فيفرض أن ط-ع مجهولا نفرضه س فيكون وضع المسالة: $س^2$+30س=6.40[1].

وقد شغلت المسائل الهندسية حيزا كبيرا من المسائل الرياضية، ويبقى اللوح الرياضي الذي عثر عليه في تل حرمل خير دليل على ذلك، وهو عبارة عن لوح مستطيل صغير رسم في قسمه الأعلى مثلث قائم الزاوية وقد قسم إلى أربعة مثلثات صغيرة قوائم الزوايا أيضا بإقامة عمود من الزاوية القائمة في المثلث الكبير على الوتر وتكرار إقامة الأعمدة في المثلثات الصغيرة المقطوعة من المثلث الكبير، وقد نقشت أرقام مسمارية تبين أطوال أضلاع المثلث الكبير ومساحات المثلثات الصغيرة بأرقام ستينية، ونقش تحت الشكل نص القضية الخليط بين المصطلحات السومرية والبابلية ثم حلها المستند إلى نظرية فيثاغورس المتعلقة بالمثلث القائم الزاوية وكذا إلى نظرية إقليدس وخلاصتها: أنه إذا أقيم عمود من

(1)- فاروق ناصر الراوي وآخرون، المرجع السابق، ص 311-312.

الزاوية القائمة في مثلث قائم الزاوية على وتره فإن المثلثين المحدثين على جانبي العمود متشابهان ويتشابه كل منهما مع المثلث الأصلي وينتج من هذا التناسب أن أضلاعها المتناظرة متناسبة...[1]. (انظر الملحق رقم08 ص 182).

لقد كان الجزء الأكبر من تلك النصوص الرياضية – الجداول والمسائل – عبارة عن جداول وتمارين أعدت للطلاب[2], وهو ما تدل عليه المقولة التالية " هل تعرف الضرب، ومعكوس الأعداد، والنسب الثابتة، وموازنة الحسابات أو الحسابات الإدارية، أو كيفية توزيع كل أنواع الجريات، أو قسمة الثروة، أو فرز حصص الحقول ؟"، وهذا يعني أن هذه النصوص كانت موجهة بالدرجة الأولى للتعليم الذي ارتبط بالدين والآلهة- خاصة مع الآلهة نيسابا-، ونقرأ في قصيدة مدح شولجي:" نيسابا، المرأة الجميلة، المرأة الحقة، الكاتبة السيدة التي تعرف كل شئ، دعتك تضع.. صحيحا على الترقيم، دعتك تأكد.. قلم الذهب، وعصا القياس المصنوعة من حجر اللازورد..."[3].

3. علاقة الدين بالفلك:

أ. عبادة الأجرام السماوية:

كان للأجرام السماوية دور هام[4] في العبادة- كما مر في الفصل الأول- وأسهمت

(1)- فاضل عبد الواحد علي، عامر سليمان، المرجع السابق، ص201.

(2)- George roux, Op.Cit, P 407.

(3)- www. ancient iraq.net.22:30-10/09/2008

(4)- يبين القرآن الكريم أن هناك مجالا للاستفادة من الأجرام السماوية، مثل الاهتداء من خلال النجوم الثابتة في السماء حيث يتم تحديد الجهات الأربع والاهتداء بها سواء في البر والبحر وفي الليل والنهار. يقول عز وجل ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [الأنعام 97]. وفي قوله تعالى أيضا: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [النحل 16]. أو استخدامها لمعرفة أوقات الزراعة والحصاد والبر والبحر، كذلك تحديد مواعيد المناسبات الإسلامية في قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة 189]. أنظر: عماد مجاهد، **التنجيم بين العلم والدين والخرافة**، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، الأردن، 1998، ص ص 49-55.

بقدر كبير في تحديد الأقدار[1]، فكانت كل حركة من حركات كل نجم أو كوكب تدل على أن حادثا قد وقع على الأرض وتنبأ بوقوعه, وكانت وجهة النظر الأكثر انتشارا هو أن الناس يمكنهم أن يتحققوا من إرادة الإله مادام كل ما يجري في السماء يتكرر حدوثه على الأرض[2]، أي أنهم اعتقدوا أن نوايا الآلهة تنعكس على شكل وقائع أو أحداث سواء كانت كبيرة أم صغيرة[3]، مما دفع المنجمين إلى ملاحظة الأدلة حتي يحصلوا على الجواب، ولقد أدى ذلك منذ وقت مبكر إلى حصر الظواهر الأرضية وربطها بمواقع الكواكب في السماء[4]، ولعل النص التالي يوضح ذلك: " إذا وقع خسوف في اليوم الرابع عشر من شهر سيفان، وكان القمر معتما عند الجانب الشرقي من فوق، ومنيرا عند الجانب الغربي من أسفل هبت ريح شمالية في ليلة الرصد الأولى ولكنها خفت عند منتصف ليلة المراقبة فسيحدد القمر ذو العتمة على الجانب الشرقي من فوق وذو النور على الجانب الغربي من تحت ... مصير مدينة أورو ملكها... فسيواجه ملك أور المجاعة وسيكون عدد الموتى كبيرا، أما ملك أور فسيثور عليه ابنه، ولكن ذلك الابن الذي سبب الثورة ضد أبيه، سيقبض عليه الإله شمس وسيموت لكونه عاقا لأبيه، وسيتولى ابن آخر للملك –ومن غير المطالبين بالملكية- عرش أور[5].

يوضح هذا النص العلاقة بين مصير المدينة وسكان وملك أور وخسوف القمر والأنواء الجوية، وقد كان المنجمون السومريون في ذلك الوقت يقرؤون مصائر الناس والملوك والمدن والدول من حركة الكواكب ولذلك يقدسون غضبها ورضاها من خلال هذه الكواكب ولأن الكواكب على صلة مع الآلهة فلا شك (في نظرهم) أن هناك علاقة بين الكواكب ومصائر الملوك[6].

---

(1)- نجيب ميخائيل إبراهيم، المرجع السابق، ص 124.

(2)- ايلي منيف شهلا، **قصة التنبؤ بالغيب عبر التاريخ**، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1999، ص26.

(3)- فوزي رشيد وآخرون، المرجع السابق، ص 200.

(4)- ايلي منيف شهلا، المرجع السابق، ص 26.

(5)- فاروق ناصر الراوي وآخرون، المرجع السابق، ص 317.

(6)- خزعل الماجدي، (**متون سومر**)، المرجع السابق، ص 351 .

ب. التنجيم والتقويم:

كان للتنجيم في حضارة وادي الرافدين بصفة عامة مكانة كبيرة حيث تخصص جماعة من الكهنة لرصد النجوم والكواكب وما تنجم عنها من خير وشر في حياة الملك والمملكة والعباد، وخلفوا لنا مجموعات كبيرة من ألواح الطين المدونة بذلك، وقد اعتبر خزعل الماجدي التنجيم الوجه السحري والشعبي لعلم الفلك[(1)]، ولم يبدأ التنجيم بداية سحرية بل كان في بدايته محاولة من الإنسان النيوليثي[(2)] لرصد الكواكب والنجوم في السماء وتحديد أوقات سقوط المطر وهبوب الرياح وتبدل الفصول، ولعل فكرة قياس الزمن والتقويم، ولاسيما التقويم الشمسي، أوحتها للإنسان الدورة الزراعية، إذ يمكن قياس طول السنة الشمسية من وقت بذر إلى وقت بذر آخر أو من حصاد إلى حصاد آخر, ولعل إنسان ذلك العصر استعان في ضبط مثل هذه الدورات وتعاقبها ومواعيدها باقترانها بطلوع بعض النجوم، على نحو ما يمارسه الفلاحون الآن في العراق وغيره[(3)]، كما أن البابليين لم يدرسوا النجوم ليرسموا الخرائط التي تعينهم على سير القوافل والسفن فحسب، إنما درسوها أصلا لتعينهم على التنبؤ بالمستقبل ومعرفة مصائر الناس وبذلك كانوا منجمين أكثر من فلكيين[(4)].

واعتمادا على التنجيم استطاع الفلكيون (الكهنة المنجمون) تسجيل العديد من الانجازات مستعينين في ذلك بالرياضيات، فقد ربطوا معرفتهم الفلكية بنظامهم الستيني في الحساب، وقسموا السنة القمرية إلى اثنتي عشر شهرا تقريبا(نيسانو Nisannu –بداية رأس السنة-، أيارو Ayarru، سيمانو Simanu، دوزو-تموز Duzu، آبو Abu، أولولو Ululu – عند هذا الشهر يضاف شهر آخر يسمى كن-در kin.Dir أو كن-2-كيم Kin.2.Kam أو كن-آن Kin.An، تشريتو Tasritu، أرخسمنا ArahsmnaK، كسليمو Kislimu، طيبتو

(1)- فاضل عبد الواحد علي، عامر سليمان، المرجع السابق، ص 211.

(2)- سمي نسبة إلى العصر النيوليثي أو العصر الحجري الحديث Neolthie وهو الاسم الذي أطلق على هذا الجزء من عصر الهوليني الذي يلي الباليوليثي والميزوليثي, والذي أعقبه عصر البرونز وعصر الحديد, وقد أرخ بأنه يبدأ حوالي 2500 **ق**.م , ولكن هذا التاريخ نسبي وصحيح فقط بالنسبة لبريطانيا وألمانيا, أما في مصر ووادي الرافدين فقد انتهى قبل ذلك بألف عام. أنظر: ليونارد كوتريل، المرجع السابق, ص 405.

(3)- خزعل الماجدي، **(متون سومر)**، المرجع السابق، ص 349.

(4)- ولديورانت، المرجع السابق، ص 250.

Tebetu، شباطو Sabatu، أدارو-وعند هذا الشهر يضيفون شهر آخر كل ست سنوات-)، فكان القمر يظهر كل ثلاثين يوما[1] يتطابق فيه اليوم الأول من السنة الجديدة (الأول من أفريل) مع يوم الاعتدال الربيعي[2].

وكان للاهتمام بالقمر ومتابعته ظهور أيام الأسبوع التي أطلق عليها السومريون أسماء الآلهة والكواكب المرتبطة بها، وأخذ عنهم البابليون هذا[3]:

أيام الأسبوع	الكوكب الخاص به	الاسم السومري للكوكب	الإله السومري الخاص به	الإله البابلي الخاص به
الأحد	الشمس	أوتو	اوتو	شمش
الاثنين	القمر	سوأين	ننار	سن
الثلاثاء	المريخ	آن	آن	نرجال
الأربعاء	عطارد	كواود	انكي	نابو
الخميس	المشتري	سكميكار	إنليل	مردوخ
الجمعة	الزهرة	ناسني أنا	إنانا	عشتار
السبت	زحل	توردش (جينا)	ننورتا	بنيب

وقد ارتبطت فكرة الأسبوع بالشعائر والأعياد الدينية، فقد كان سكان وادي الرافدين يقيمون أعيادهم المهمة في اليوم الأول من الشهر القمري، وفي اليوم السابع منه وفي منتصفه وفي اليوم الأخير منه، أي أنهم كانوا يقيمونها وفق أوجه القمر الأربعة (4 أسابيع) والتي كان كل قسم منها مكون من سبعة أيام[4]، وقسموا اليوم إلى 12 قسما، وسموا هذه

(1)- عمر فروخ، المرجع السابق، ص 42.

(2)- كلكشوف، المرجع السابق، ص 15.

(3)- خزعل الماجدي، **(متون سومر)**، المرجع السابق، ص 352.

(4)- فاضل عبد الواحد علي، عامر سليمان، المرجع السابق، ص210.

الأقسام بالساعات، كما قسموا الساعة إلى 30 أوش[1]، بمعنى أن اليوم البابلي يساوي 360 أوشا كأيام السنة الـ 360، أو كدرجات الدائرة الفلكية الكونية المؤلفة من 360 درجة[2].

إلا أن هذا التقويم الذي تبناه البابليون واجه صعوبات في التطبيق، خاصة وأن السنة الجديدة تتغير باستمرار[3]، كما لاحظوا عدم توافق السنة الشمسية والقمرية، حيث معدل طول السنة القمرية 354 يوما، وبذلك فهي تنقص عن السنة الشمسية بمعدل 11 يوما وربع، وهذا ما جعلهم يكبسون شهرا قمريا هو الثالث عشر للتوفيق بين الأشهر القمرية والدورة الشمسية، وتوصلوا في حدود القرنين 6 و5 ق.م إلى معادلة هي أن 235 شهرا تساوي 19 سنة شمسية فأضافوا 07 شهور كبيسة في دورة مقدارها 19 سنة[4]، وقد نظموا السنوات الكبيسة على النحو التالي:

السنوات الكبيسة

1	2	5
3	4	8
6	7	
9	10	
11	12	13
14	15	16
17	18	19

وتفسير ذلك أن أرقام الحقل الأول تمثل السنوات الكبيسة، وتكبس السنة الأولى عند منتصفها بينما السنين الأخرى تكبس عند نهاية العام[5].

---

(1)- الأوش: أو جش gesh ويساوي في حساباتنا المعاصرة 4 دقائق، وذلك يفسر أن البابليين قد توصلوا إلى ما يعرف بخطوط الطول التي تحتاج الأرض في حركتها حول نفسها أن تقطع المسافة بين خط وآخر في 4 دقائق. أنظر: علي حسين الجابري، مفهوم "الزمان" في فكر الرافدين بين الفلك والرياضيات، مجلة سومر، المجلد 39، ج1+2، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد، 1983، ص 129.

(2)- نفسه.

(3)- كلكشوف، المرجع السابق، ص 15.

(4)- طه باقر، **(موجز في تاريخ العلوم والمعارف)**، المرجع السابق، ص 89.

(5)- فاروق ناصر الراوي وآخرون، المرجع السابق، ص320.

ويرى سارتون أن استخدام هذه الطريقة (كبس السنوات) يعود إلى عهد قديم، إذ يعود إلى دولة أور الثالثة حيث كانت الإضافة تحدث كل ثماني سنوات، وتواصل مع البابليين في زمن حمورابي فقد وجدت في أحد رسائله أمر إلى ولايته بإضافة شهر، وصار هذا التقويم البابلي نموذجا للتقاويم اليهودية والإغريقية والرومانية، قبل إدخال التقويم اليولياني (45ق.م)[1]، ومازال تأثيره إلى أيامنا هذه[2].

ويعود تقسيم السماء إلى اثني عشر برجا سماويا إلى السومريين الذين بنوا هذا التقسيم على أساس حركة القمر خلال السنة ووقوع نجوم بعينها في هذه البروج، والدليل على ذلك بدء البروج من 21 مارس من السنة وعلى التوالي حيث 21 مارس هو بداية السنة السومرية وهو يوم الاعتدال الربيعي حيث كانت تقام احتفالات رأس السنة السومرية.

ولتسهيل معرفتهم بالأبراج أطلقوا عليها أسماء الآلهة أو الرموز الحيوانية، واستعملوا النجوم التي تقع في كل برج كنقاط دالة لأنها لا تغير موقعها سريعا وبذلك كانت البروج في بدايتها عند السومريين أشبه بخطوط الطول والعرض السماوية(أنظر الملحق رقم 09 ص 183)، ولكنها استخدمت فيما بعد، وبسبب ربط المصائر بالنجوم لأغراض تنجيمية، وقد أسمو مثلا: برج الثور(كو)، برج السرطان (ناكار)، وبرج العقارب (كر)، برج القوس (بابل) وبرج الجدي (ماش)...

وقد طور البابليون فكرة الأبراج السماوية واستخدموها بشكل أوسع في الحقلين التنجيمي والفلكي[3]، كما عرفت تغييرا في أسمائها: الحمل (كو، ساريكا، إنمي سار)، الثور (تي تي، كودأن)، الجوزاء (تواما)، السرطان (يوموكو، أللول)، الأسد (آرو، أورماخ، أور كولا)، العذراء (شيرو، ديلكان)، الميزان (زيبانيتو)، العقرب (أقرابو)، القوس (با، بابيلكاك)،

---

(1)- ويسمى التقويم الرومي وهو تقويم يوليوس قيصر سنة 46 ق.م ، ودخل حيز التنفيذ عام 45 ق.م ، ويحاول التقويم اليولياني محاكاة السنة الشمسية ويتكون من 365 يوما مقسمة إلى 12 شهرا ، وعرف استخدام التتويج اليولياني في الكنائس الأرثودكسية حتى القرن 20 ، إذ قامت هذه الكنائس باعتماد هذا التقويم المعدل عام 1923 ولا يزال هذا التقويم تستخدمه جزيرة اثيوس القساوسة. أنظر: محمد شفيق غربال, المرجع السابق, ص 539.

(2)- جورج سارتون، المرجع السابق، ص 176.

(3)- خزعل الماجدي، **(متون سومر)**، المرجع السابق، ص 353.

الجدي (أنزو)، الدلو (كو، كوأنا)، الحوت (نونو، نون شامي)[1]، والجدير بالذكر أن قصة الخليفة البابلية تلاءمت واشتغال الناس برصد الكواكب، ومعرفة البابليين لهذه الأبراج[2]:

صنع مردوخ منازل للآلهة

خلق الأبراج، ثبتها في أماكنها

حدد الأزمنة، جعل السنة فصولا

ولكل شهر من الأشهر الأثني عشر ثلاثة أبراج

حدد الأيام بأبراجها

ثبت برج"نيبيرو" (المشتري، كوكب مردوخ)

فلا يجهل نجم عمله ولا برج وظيفته

في الوسط ثبت السمت

وإلى الشرق والغرب فتح بوابة(انليل وأيا)

وسلط القمر(إله القمر) على الليل

وجعله زينة في الليل

به يعرف الناس موعد الأيام

في بدء الشهر يطل القمر

يحدد الأسبوع

وبعد أسبوعين وفي نصف الشهر

يواجه الشمس، يكون بشرا

ينحسر ضوء الشمس عن وجهه يصفى...[3].

ومنذ الألف الثاني ق.م بدأ المنجمون يرصدون الكواكب والنجوم، ويدونون مطالع كوكب الزهرة خاصة[4]، وأهم أرصاد البابليين حول هذا الكوكب تعود بالتحديد إلى زمن أمي ـ صدوقا، حيث زودنا الكتبة البابليون بسلسلة أرصاد لكوكب الزهرة عند ظهورها

(1)- خزعل الماجدي، (**بخور الآلهة**)، المرجع السابق، ص 259.

(2)- كارم محمود عزيز، المرجع السابق، ص 62.

(3)- فاروق ناصر الراوي وآخرون، المرجع السابق، ص 315.

(4)- عمر فروخ، المرجع السابق، ص 42.

وقت غروب الشمس وشروقها وطول مدة اختفائها، وتمكن البابليون بواسطة تلك الأرصاد من معرفة دورة ظهور كوكب الزهرة خمس مرات في نفس المواضع من السماء كل ثماني سنوات, ويعود الفضل لهذه في إيجاد التواريخ المضبوطة لحكم السلالات وتعاقبها(1)، كما عرف البابليون أرصادا أخرى، فقد عرفوا أن القمر والكواكب السيارة لا تبتعد في حركتها مسافة بعيدة في خط العرض من مدار الشمس في منطقة البروج، كما رصدوا المواضع النسبية للكواكب والنجوم في تلك المنطقة الضيقة من السماء...(2)، كما دونوا ظاهرتي كسوف الشمس وخسوف القمر التي استفاد منها المفكر اليوناني طاليس في تنبأه بموعد كسوف الشمس(3).

ومما تجدر الإشارة إليه في موضوعات اقتباس الفلكيين اليونانيين من الفلك البابلي أنهم عرفوا أسماء بعض مشاهير الفلكيين البابليين وذكروهم في مؤلفاتهم من أمثال الفلكي البابلي نابوريانوس (Nburianus) واسمه البابلي نبو- رماني (Nabu-rimani)، والفلكي كيديناس (Cydinas) واسمه البابلي كيدينو (Kidinu) وكلاهما عاش في القرن الرابع ق.م، وبلغ الفلك البابلي(الكلداني) من الشهرة بين اليونان بحيث أنهم أطلقوا عليه العلم الكلداني.

علاوة على ذلك فقد اقتبس اليونان الآلات الخاصة بقياس الزمن من البابليين، كالساعة المائية (Clypsydra) لقياس الساعات في الليل والساعات الشمسية(المزاول Polos-gnomon في المصطلح اليوناني)، وأهم تلك الآلات ما يعرف بالإسطرلاب(4)، الذي أثبتت النصوص أن أصله يرجع إلى الفلكيين البابليين واقتبسه اليونان عنهم(5).

(1)- فاروق ناصر الراوي وآخرون، المرجع السابق، ص 318.

(2)- جورج سارتون، المرجع السابق، ص 177-178.

(3)- فاضل عبد الواحد علي، عامر سليمان، المرجع السابق، ص 207.

(4)- الإسطرلاب: آلة فلكية قديمة، استعملت لقياس ارتفاع النجوم ورصدها، ويتألف من قرص معدني أو خشبي مدرج المحيط ومعلق في وضع رأسي بحلقة وفي مركزه مؤشر متحرك يسمى العضادة، وكان شائع الاستعمال في رحلات الاستكشافات البحرية من القرن 15م، وكان أول إسطرلاب عند اليونان هو الذي صنعه "هبارخوس" hipparchus في حدود 190 ق.م أو "أبولونيوس"، ويعتبر إبراهيم الفزاري أول فلكي عربي صنع وكتب عن الإسطرلاب. أنظر: طه باقر، **(موجز في تاريخ العلوم والمعارف)**، المرجع السابق، ص 90.

(5)- نفسه، ص 90-91.

وعلى ذلك كله يمكن القول أنه من خلال الإلمام بأهم المنجزات الفلكية التي مرت بنا فإن حاجة السومريين والبابليين لدراسة الأجرام السماوية حسب ما ذهب إليه رشيد عبد الوهاب قد انطلقت من عاملين مترابطين: أولهما ديني يتعلق بعلم ما وراء الطبيعة، وثانيهما عملي لخدمة الدين يتمثل بعلم الكرونولوجيا(تقسيم الزمن إلى فترات وتعيين تواريخ الأحداث وفق تسلسلها الزمني) على أن التنبؤ بالمستقبل استند على ملاحظة الكواكب والنجوم والتي يمكن من خلالها معرفة رغبات الآلهة التي تنعكس على الأرض، وكان الهدف من ورائها تلطيف عقابها على البشر(1)، وهذا ما يبرر اتخاذهم الزيقورات كمراصد لارتباطها بالآلهة التي كانت لها صلة بالكواكب والنجوم(2)، ولهذا كان التنجيم هو أساس علم الفلك(3).

4. ارتباط الدين بالطب:

أ. سبب المرض:

تقوم الفلسفة الدينية للطب السومري على مسألة غاية في الأهمية أصبحت أساسا مهما للطب في وادي الرافدين والطب القديم بأكمله، وهي أن سبب نشوء الأمراض إنما هوغضب إلهي يحل على الإنسان، بسبب الإخلال بأحد القواميس الإلهية، بداية بالخطيئة وهي اختراق وانتهاك للقانون الإلهي أو المقدس، وما يهمنا في الخطيئة هو إرادة الخاطئ وقصده وسبب الخطيئة(4)، وقد وضع البابليون قوائم بجميع الظواهر الملاحظة بما في ذلك الأخطاء التي تستوجب فيما يبدو القصاص الإلهي في صورة المرض أو الاضطراب بل وحتى الموت، أما النتائج الحسنة فكانت تسجل أيضا، وهناك نصوص من التعاويذ تصف الآثم بأنه الذي ينتهك ما حرمته آلهته, كقول ما يجوز قوله أو احتقار والسخرية من إلهه وقول الباطل والظلم...(5)

وقد كانت الصلاة هي الخلاص عن انتهاك ما يحرمه القانون الإلهي:

عسى أن يهدأ هياج قلب ربي نحوي.

---

(1)- رشيد عبد الوهاب حميد، المرجع السابق، ص 153.

(2)- خزعل الماجدي، (**متون سومر**)، المرجع السابق، ص 353.

(3)- George roux, Op.Cit , P 409.

(4)- خزعل الماجدي، (**بخور الآلهة**)، المرجع السابق، ص 344.

(5)- جفري بارندر، المرجع السابق، ص 27.

عسى الإله الذي هو مجهول أن يهدأ نحوي
عسى الآلهة التي هي مجهولة أن تهدأ نحوي
بجهل قد وضعت قدمي على ما محرم من آلهتي
أيها الرب تجاوزاتي عديدة وذنوبي عظيمة
الرب نظر إلي بغضب قلبه
الإله واجهني بهياج قلبه
عندما كانت الآلهة غضب علي، جعلتني أمرض
الإله الذي أعرفه أولا أعرفه قد اضطهدني
أيا آلهتي خطيئاتي سبع سبعات، ارفع خطيئاتي.
أيها الإله الذي أعرفه أولا أعرفه خطيئاتي سبع سبعات، ارفع خطيئاتي...[1].

ومارس السومريون والبابليون فكرة المحرم أو الممنوع "التابو "Tabou, ويمتاز التابو بصرامته وسلبيته وبأنه لا يتضمن تعليمات أو أوامر بل منعا صارما وعقابا مباشرا، وهو يتكون من ثلاثة عناصر: هي معرفة الطابع المقدس أو النجس للشخص أو الشئ، والمنع الذي يترتب عن ذلك، ثم العقاب الذي يكون صارما ومباشرا[2]: وتتجسد فكرة التابو جليا في ملحمة جلجامش عندما حذر هذا الأخير صديقه أنكيدو بلزوم مراعاة عدد من المحرمات الخاصة بالعالم الأسفل:

قال جلجامش لأنكيدو:
إذا ما نزلت الآن إلى العالم الأسفل
فدعني أقل لك كلمة فاستمع لكلمتي
أرشدك فاعمل بموجب إرشادي
لا تلبس ثيابا نظيفة
لئلا يخرج لك خازن " الأرض" السفلي كالعدو

(1)- فيصل الوائلي، من أدب سومر، مجلة سومر، المجلد21، ج1+2 مديرية الآثار، بغداد، 1965، ص ص 50-52.

(2)- خزعل الماجدي، **(بخور الآلهة)**، المرجع السابق، ص 346.

لا تمسح جسمك بالدهن الطيب من إناء الـ "بور"
لئلا يجتمع عليك من جراء رائحته
لا ترم "عصا الرماية" في العالم الأسفل
لئلا يحدق بك من ستصيبهم العصا المرمية
لا تحمل بيدك عصا
لئلا ترفرف حواليك أشباح الموتى....[1].

ويعتبر السحر[2] هو الآخر من الانتهاكات التي كان يقوم بها الفرد ضد النواميس الإلهية[3]، وقد كان للسحر شأن كبير في حياة السكان، وقد تخصصت به طبقة خاصة، ونجد في المصادر المسمارية وفي مقدمتها شريعة حمورابي أن السحر الذي مارسه السحرة كان على نوعين، نوع ضار يقصد به إحداث الأذى والشر في الناس وقد حرمته شريعة حمورابي، وجعلت الموت عقوبة الساحر الذي تثبت عليه التهمة، والنوع الآخر يمكن أن نسميه بالسحر الحلال حيث كان يقصد به شفاء الأمراض التي تسببها الشياطين وما تلحقه من أذى بالناس[4].

ويقوم السحر عند السومريين على مبدأين أساسيين: الأول مبدأ التشابه الذي هو الاعتقاد بإمكانية إحداث الشيء بتقليد عملية حدوثه أو بالإمكان صنع أشياء مشابهة للشيء الأصلي وإحداث التأثير على هذه الأشياء يؤدي إلى إحداث التأثير في الشيء الأصلي، فمثلا

---

(1)- صمويل نوح كريمر، **من ألواح سومر**، تر: طه باقر، مر: أحمد فخري، مكتبة المثني، بغداد، (د.ت)، ص 327-328.

(2)- بلغ السحر في حضارة وادي الرافدين شهرة واسعة، وقد تميز به البابليون خاصة وهو ما تؤكده الآية الكريمة في قوله تعالى ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة 102].

(3)- خزعل الماجدي، **(بخور الآلهة)**، المرجع السابق، ص 349.

(4)- فاضل عبد الواحد علي، عامر سليمان، المرجع السابق، ص 213.

صنع دمية لعدو أو حيوان يراد إيقاع الأذى به، وإحداث الأذى على هذه الدمية يؤدي إلى إحداث الأذى بذلك الحيوان أو العدو[1]، أما المبدأ الثاني فإن الأشياء التي كانت في وقت ما مصاحبة ويؤثر بعضها في بعض تستمر كذلك بعد أن ينفصل بعضها عن بعض، ويصح أن نطلق على هذه القاعدة قانون المصاحبة أو العدوى[2]، ومثال ذلك أن كان بمقدور الساحر إذا امتلك خصلة شعر رجل أو قلامة أظافر أو سنة المقلوع أو حتى خرق ملابسه فإنه يستطيع إنزال الأذى لكي يسبب الأذى للشخص نفسه وهو بعيد عنها[3].

وقد كان رد فعل الآلهة اتجاه الإخلال بالنواميس الإلهية أن تحدث الشر(المرض)_ اختص كل من أنو وأنليل ونركال بإحداث المرض على أن آلهة الشفاء تمثلت في أيا وننكشزيدا التي مثلها السومريون كشعار للطب بثعابين (الكاديكيوس)_[4]والذي ينفذ بطريقتين الأولى مباشرة حيث يقوم الإله المعني بإطلاق يده باتجاه ذلك الإنسان المخطئ الذي أصبح شريرا وضربه، أو إيغال هذه اليد في أحشائه أو أعضائه[5]، وقد تجسدت هذه الفكرة في قصة لأمجدن رب الحكمة: "لقد أتى مرض آنو على جسمي وغطاه كالرداء، وأصبح النوم بالشبكة التي تصطاد في أذني مفتوحتان ولكنهما لا تسمعان، لقد استولى على جسمي الضعف، وأصبح السوط الواقع علي يرعبني ويخيفني، يطاردني معذبي في النهار ولا يترك الراحة في الليل قد خذلني الإله..."[6].

أما الطريق غير المباشر فهو إرسال الإله أحد الشياطين إلى المريض، ومن ثم فقد كان المرض نتيجة تقمص الشيطان جسم المريض لذنب ارتكبه أو بسبب ما يسمى بالعين الشريرة[7]، وقد كانت الشياطين في الغالب أرواحا شريرة صعدت من جوف الأرض، وكان

---

(1)- خزعل الماجدي، (**متون سومر**)، المرجع السابق، ص 341.

(2)- طه باقر، **(مقدمة في تاريخ الحضارات)**، المرجع السابق، ص 272.

(3)- خزعل الماجدي، **(متون سومر)**، المرجع السابق، ص 341.

(4)- خزعل الماجدي، **(بخور الآلهة)**، المرجع السابق**،** ص 133**.**

(5)- نفسه، ص 351.

(6)- طه باقر، **(مقدمة في تاريخ الحضارات)**، المرجع السابق، ص 242-243.

(7)- حربي عباس عطيتو، حسان حلاق، **العلوم عند العرب أصولها وملامحها الحضارية**، دار النهضة العربية، بيروت، 1995، ص 17.

بعضها أرواح الموتى الذين لم يدفنوا، فكانوا يتجولون في الأرض وينتظرون قرار الآلهة[1]، وهي تتألف من سبعة (الشياطين) يطلق عليها غالبا "أوتوكي" الخبيثة وهي: أساك كو وتمترو وهذان الاثنان يسميان رابيصو، ثم تبرتو وأوتوك كو وآلو وأيطم موركال لو، وكانت تدخل في الجسد غالبا عن طريق الفم، ولذا كان الكهنة والمعوذون يوصون الناس بأن يحولوا دون دخول الجان في الأباريق والجرار لأنها تدخل في جوف الإنسان عن طريقها أثناء الشرب[2].

ب. الأطباء والكهنة:

كان للمعبد دور كبير في مجال الطب، فقد اعتبر أول مستشفى أوعيادة طبية كان السومريون والبابليون يسعون إليها[3]، كما اعتبر الكاهن أو رجل الدين هو الطبيب الأول الذي اشترك مع الطبيب العلمي على مهمة العلاج والشفاء، وعلى ذلك فقد انقسم التراث الطبي إلى مدرستين هما[4]:

1. المدرسة الدينية: وتتكون من:

- الأشيبو: أو الماشماشو في السومرية[5]، وهو المعزم وطارد الأرواح الشريرة، ويأخذ المعزم دور الطبيب النفسي الذي يلازم دور الطبيب، وكان المعزم يسمي نفسه رجل الإله أنكي لأنه الإله أنكي هو إله السحر، ولذلك يستعين المعزم به لطرد الأرواح الشريرة والتصدي للسحر الأسود[6]، وأصبح فيما بعد يعمل بفضل الإله مردوخ حين بسطت بابل نفوذها:

---

(1)- سبتينو موسكاتي، المرجع السابق، ص 52.

(2)- عبد الحميد العلوجي، **تاريخ الطب العراقي**، مطبعة أسعد، بغداد،1967، ص 60.

(3)- ينفي هيرودوت تماما هذا الطرح في قوله: " ليس لدى أولئك القوم أطباء بيد أنه إذا مرض أحدهم، أرقدوه في الساحة العامة ويمر به الذاهب والغادي، فإذا تصادف أن أحدهم سبق أن مرض بمثل مرضه، أو كان يعرف شخصا آخر أصيب بمثل هذا المرض ذكر له الوصفة التي وجد فيها الشفاء في حالته هو نفسه، أو في الحالة التي يعرفها ولا يجوز أن يمر شخص بالمريض ولا يسأله عما يشكو منه". أنظر: ا.ج إيفانر، **هيرودوت**، تر: أمين سلامة، مر: كمال الملاخ، الدار القومية للطباعة والنشر، (د.ت)، ص 76-77.

(4)- خزعل الماجدي، (**ميثولوجيا الخلود)**، المرجع السابق، ص 103-104.

(5)- أحمد أمين سليم، **(دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم)**، المرجع السابق**،** ص 229.

(6)- خزعل الماجدي، **(متون سومر)**، المرجع السابق، ص 273.

السيد العظيم الإله أيا أرسلني

لقد حل رقيته المقدسة حمل رقيتي

ووضع في فمه المقدس مكان فمي

ووضع لعابه المقدس مكان لعابي

ووضع صلاته المقدسة مكان صلاتي[1].

ولكي يبطل كاهن الأشيبو مفعول الشياطين والأرواح الشريرة يقوم بأداء مجموعة من الطقوس وتلاوة التعاويذ[2] الموجهة لمساعدة حاملها وحمايته: "إنه ذلك الشيطان الذي اقترب من بيتي يخيفني وأتاني فراشي، إنه يمزقني ويرسل علي الكابوس في الليل فعسى أن يسلموه إلى الإله حارس بوابة العالم السفلي بأمر من ننورتا حاكم العالم السفلي وبأمر من مردوخ الذي يقيم في اسياكيلا في بابل، وعسى أن تعرف الباب والمزلاج التي بحماية هذين السيدين"[3]، ويقوم الأشيبو الكهنوتي بمهام أخرى مثل: طقوس غسل الفم لتماثيل الآلهة[4]، وتقديم القربان إلى الإله، ومن مهامهم الأخرى: المساهمة في الطقوس الخاصة بتطهير المعبد.

- البارو: استخدم السومريون عدة تعابير للدلالة على العراف منها "إزو" بمعنى الذي يعرف أي العراف[5]، وهي تعني الرائي ويمكن أن يدل على البؤرة أي الذي لديه حس بؤري أو بئري يرى ما لا يراه غيره, وهناك من رأى بأنها تدل على البارع، وتدل على البارئ وتدل على من يبرئ الأمراض من الجسد، فقد ارتبط دوره بالطب، فكان يقوم بتشخيص وتوقع المرض وذلك بمراقبة الظواهر العامة والأحشاء خاصة الكبد والولادات المشوهة والحيوانات والطيور والأحلام والنجوم[6].

---

(1)- L. Delaporte, Op.Cit, P 169.

(2)- فراس السواح، (**دين الإنسان**)، المرجع السابق، ص 259.

(3)- أحمد أمين سليم، (**دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم**)، المرجع السابق، ص 230.

(4)- سامي سعيد الأحمد، الطب العراقي القديم، مجلة سومر، المجلد30، ج1+2 مديرية الآثار، بغداد، 1974، ص 88.

(5)- أحمد أمين سليم، (**دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم**)، المرجع السابق، ص ص 229-331.

(6)- خزعل الماجدي، (**ميثولوجيا الخلود**)، المرجع السابق، ص 108-109.

ويعتبر الملك السومري "أنميدر أنا"، وهو الملك السابع قبل الطوفان ويسمى أيضا "أنميدر أنكي"، هو الذي اخترع الطريقة الخاصة بالعرافة والتي تسمى (عرافة الإناء) وتعتمد على صب الزيت والماء في إناء ومعرفة ما يعانيه المريض أو معرفة المصائر بعامة من خلال ذلك[1].

2. المدرسة العلمية:

وقد كان يقود هذه المدرسة الطبيب الذي سمي بالآسو (A-zu) وتعني الخبير بالماء أو الزيت وهي تدل على الأهمية التي لعبها الماء في المداواة عند البداية[2]، وكونه نقطة انطلاق العلاج الطبي عند السومريين، فالطبيب بذلك يكون الرجل الذي يسترشد بالماء بمساعدة الإله أيا رب الماء[3].

وقد ابتعد هذا النوع من الأطباء عن الممارسات السحرية في العلاج، فقد التجئ الطبيب السومري كما هو اليوم إلى المصادر النباتية والحيوانية والمعدنية في تهيئة عقاقيره الطبية[4]، وكانت أكبر قفزة عرفها الطب هي ظهور التخصص بداية من الألف الثاني ق.م، فظهر الأطباء الجراحون ومجبرو العظام والبياطرة وأطباء العيون ويتجلى ذلك في شريعة حمورابي، كما أن الأطباء بوجه عام كانوا على مراتب مختلفة مثل كبير الأطباء الذي أطلقوا عليه المصطلح البابلي راب آسي (Rab-asi) أو المصطلح المأخوذ من السومرية آزوكلو (Azugallu)، وكان الأطباء يتزينون بأزياء خاصة ويحملون حقائب يضعون فيها آلاتهم وأدواتهم الجراحية وأدويتهم، وقد صورت بعض هذه الأدوات على الأختام الأسطوانية

(1)- خزعل الماجدي، (**بخور الآلهة**)، المرجع السابق، ص 150.

(2)- كان للماء دور هام في معتقدات سكان وادي الرافدين الأقدمين من ناحية الطبابة الدينية، فقد كان يطلق عليه ماء الحياة، الذي يطهر المرضى من الخبائث، فقد كان الكهنة والمعوذون يوصون باستعمال ماء الفرات لرشه على المرضى لأنه كان لديهم أكثر قدسية من ماء دجلة، ولأنه كان في نظرهم النهر المطهر الوحيد، غير أن ماء دجلة كان في عقيدة الآشوريين مفضلا على ماء الفرات، وكانوا ينظرون إليه نظرة تقديس وتعظيم .أنظر: عبد الحميد العلوجي، المرجع السابق، ص 62.

(3)- سامي سعيد الأحمد، (**الطب العراقي القديم**)، المرجع السابق، ص 86-87.

(4)- صمويل نوح كريمر، **(من ألواح سومر)**، المرجع السابق، ص 131.

الخاصة بالأطباء[1]، ومنها ختم أحد الأطباء وعاش في زمن جوديا في لجش[2]، وقد وردنا وصف طبيب لنفسه في ترتيلة دينية موجهة إلى الإله مردوخ جاء فيها: "أنا الطبيب أعرف كيف أداوي وأحمل معي جميع الأعشاب, أنا مجهزة بحقيبة مليئة بالتعاون وأحمل جره... وأمنح العافية"[3]. (انظر الملحق رقم 10 ص 184).

ويتجلى من خلال الترتيلة السالفة الذكر مدى التناقض الذي ذهب إليه جل المؤرخين من أن هذه المدرسة ابتعدت تماما عن الممارسات السحرية، فقد استند أطباء هذه المدرسة في إعداد وصفاتهم في بعض الأحيان على التعاويذ رفقة الأدوية، وبذلك يتضح مدى ترابط المدرستين (الدينية والعلمية) في نشاطهما حيث أن المعالجة الطبية تمتزج بالممارسة السحرية بينما تستفيد الممارسات السحرية من استخدام الوسائل الصيدلانية لمكافحة الأمراض[4].

جـ. النصوص الطبية:

خاف السومريون والبابليون العشرات من الرقم الطيني التي تناولت الطب والمعارف المرتبطة به، ومما يلاحظ في النصوص الطبية في وادي الرافدين بصفة عامة أنها قد دونت باللغة السومرية، فقد استعمل الأطباء دساتير سومرية كما كان الأطباء الفرنسيون يستعملون اللاتينية، ولعلهم كانوا يقصدون بذلك التحفظ على أسرار مهنة الطب حتى لا يفهمها المرضى[5]، وفيما يلي أهم أنواع هذه النصوص:

1. نصوص التشخيص والإنذار:

كان لارتباط الطب المباشر بأمور السحر والعرافة والتعزيم أن ظهر التشخيص أو التخمين أو التوقع وهو النشاط الذي تحدث عنه رينيه لابات في قوله: "التخمين والتشخيص الطبي وهو بحد ذاته مؤلف من معلومات وبراهين ليس فقط في بحث الطب بل أيضا في

---

(1)- فاضل عبد الواحد علي، عامر سليمان، المرجع السابق، ص 216.

(2)- طه باقر، **(موجز في تاريخ العلوم والمعارف)**، المرجع السابق، ص 94.

(3)- سامي سعيد الأحمد، **(الطب العراقي القديم)**، المرجع السابق، ص 87.

(4)- Léo Oppenheim, **La Mésopotamie -Portrait d’une Civilisation**- Gallimard, France, 1970, P 301.

(5)- طه باقر، **(مقدمة في تاريخ الحضارات)**، المرجع السابق، ص 374.

السحر والألوهية وهذا ليس بغريب كما كان موضوع ذلك سابقا من أن ظواهر المرض تهم ليس فقط الأطباء وإنما رجال الدين والسحرة أيضا إلا أن علم التخمين هو قسم من علم معرفة المستقبل"[1].

واستندت عملية التشخيص والإنذار إلى الظواهر المحيطة فمنها ما يبشر بالحظ الحسن، وهناك ما هي نذير بالسوء، كما كان لحركات الحيوانات وتصرفاتها قيمة تنبؤية تختلف باختلاف زمان ومكان الملاحظة, فدخول ثعبان إلى القصر ينبئ بحصار المدينة، ودخول الطير الجارح إلى البيت نذير بموت صاحب هذا البيت، والصراصير فأل سيئ لأصحاب هذا البيت، كما أن جميع ظواهر الجسم الإنساني قد أوجدت مجالات التفسيرات تناقلها الأجيال[2]، كما كانت للأحلام علاقة بالطب وبصحة المريض[3].

ونتيجة لهذا الارتباط المباشر بين الطب والسحر والعرافة والتعزيم أن ظهرت النصوص الخاصة بقضايا السحر، والوثائق المرتبطة بالعرافة، ووجدت رقم الرقى والتعاويذ، ومن أهم النصوص المتعلقة بهذا المجال ما عثر عليه في مكتبة آشور بانيبال وتضمنت 40 فصلا: الأول والثاني عبارة عن نصوص فأل خاصة بالمعزم القادم لزيارة المريض، أما الجزء الثاني فيحتوي على 12 وثيقة قسمت حسب ظهور الأعراض على أعضاء الجسم، ومن خلالها يمكن تحديد نوع المرض[4]:

- حصانة المثانة (Vessical calculus): "إذا... لثلاثة أيام وكانت عنده حصاة في المثانة (أبان موشتيني) فعلى هذا الشخص أن يشرب البيرة، وهكذا فإن الحصاة ستتفتت، وإذا قام هذا الشخص بدلا من شرب البيرة يتناول كمية من المياه، فسوف يذهب إلى مصيره (أي يموت)".

---

(1)- وليد رينيه لابات، الطب البابلي الآشوري، تر: وليد الجادر، مجلة سومر، المجلد24، ج1+2، مديرية الآثار، بغداد، 1968، ص 201.

(2)- L. Delaporte, Op.Cit, p 170-171.

(3)- خزعل الماجدي، **(ميثولوجيا الخلود)**، المرجع السابق، ص 145.

(4)- فاروق ناصر الراوي وآخرون، المرجع السابق، ص 330.

-اليرقان الشديد(Icteurs gravis): "إذا كان جسد المريض أصفر، ووجهه أصفر-مسودا وسطح لسانه أسود... ولمثل هذا المريض لا ينبغي للطبيب عمل أي شئ لأن هذا الشخص ميت لا محال، فمن غير الممكن شفاؤه"[(1)].

واحتوى الجزء الثالث على عشرة رقم، صنف فيها تدرج المرض أو مدته: "إذا استمر المرض أربعة أيام وبقي المريض يضع يده على بطنه من شدة الألم وكان وجهه مصفرا فإنه سيموت". "إذا ظل بعد أربعة أو خمسة أيام يعرق فسيخف المرض".

ويبحث الجزء الرابع في الهذيان والحالات النفسية وعدم القدرة على الجماع والحالات النفسية كاختلال العقل والصرع[(2)]: "إذا كان عنق (المريض) ملتويا على الدوام نحو اليسار، وإذا كانت أطرافه العليا والسفلى ممتدة، وإذا كانت عيونه شاخصة نحو السماء وواسعة الانفتاح، وإذا سال اللعاب منه من فمه، وإذا كان يشخر، وإذا فقد وعيه، وإذا كان في النهاية، فهي نوبة مرض شديد، يد الإثم"[(3)].

وأما الجزء الخامس والأخير فكتب على ست ألواح ويتعلق بالتشخيصات الخاصة بالحمل والولادة وما يخص الوليد الجديد: "إذا كان أعلى جبين المرأة الحامل لامعا بالبياض فإن الجنين الذي تحمله سيكون بنتا وستكون عفيفة"، "وإذا كان طرف أنف المرأة الحامل متورما من الناحية اليسرى وأكثر سوادا فإن الجنين الذي تحمله سيموت..."[(4)].

ولما كان تشخيص الأمراض يستند إلى أمور السحر والعرافة، فإن علاج الكثير منها لم يخرج من هذا الإطار، فقد اعتمد رجال الدين على قراءة الرقي والتعاويذ التي تمارس بمعونة الآلهة والكلام المرتب والمنمق، وصاحب ذلك طقوس سرية كاستعمال ألوان رمزية معينة وطرد الشر بالقوة بواسطة عمل عقد من الحبال أو الخيوط ذات الألوان، واستخدام الدوائر والأرقام، وإظهار القوى الجاذبية أو الدافعة لعناصر معينة: التطهير بالماء، اضرام النيران، الإيهام بتبديل مواضع الجلوس... وهذه الطقوس والصلوات السحرية يصطلح أن

(1)- George roux, Op.Cit, p 414.
(2)- فاروق ناصر الراوي وآخرون، المرجع السابق، ص 330.
(3)- George roux, Op.Cit, p 413.
(4)- فاروق ناصر الراوي وآخرون، المرجع السابق، ص ص 331-333.

يطلق عليها بالطب السحري، لأنها مختلطة مع معالجات مرضية بصورة أكثر علمية[1]، وفيما يلي مثال عن هذه الرقي (نصوص) التي استعملت للعلاج:

- تعويذة خاصة بوجع الأسنان، ويرجع تاريخها إلى العصر البابلي الحديث ما بين القرن السابع والسادس ق.م وقد جاء فيها: من بعد أن خلق الإله آنو السماء والأرض وخلقت الأرض الأنهار وخلقت الأنهار الجداول والقنوات وخلقت الجداول الأهوار، وخلقت الأهوار الدودة وذهبت الدودة إلى الإله شمش وأيا وبكت وذرفت الدموع وقالت "ماذا تعطيني لطعامي؟ وما تعطيني لأمتصه؟ فأجابها أيا: سأعطيك التين الناضج والمشمش، فقالت "وما جدوى التين الناضج والمشمش لي؟ ضعني في الأسنان، واجعل مسكني في اللثة، لكي أمتص دم الإنسان وأقرض اللثة وآكل جذورها، ويعقب ذلك توجيه التعويذة على الدودة لأنك قلت هكذا يا دودة فليحطمنك الإله أيا..."[2].

2. النصوص الخاصة بالعلاج بالأدوية:

يعتبر هذا النوع من النصوص على قدر كبير من الأهمية في تاريخ الطب، وقد وجد منها مئات من ألواح الطين، ومعظمها نسخ من العصور المتأخرة مثل العصر الآشوري الحديث ولكنها ترجع في أصولها إلى أقدم من ذلك بكثير[3]، ويعود أقدم نص طبي إلى فترة سلالة أور الثالثة أي خلال الألف الثالثة ق.م، وتعد أول دستور للأدوية "أقرباذين" في تاريخ الإنسان، وقد اعتمد فيه الطبيب السومري على المصادر النباتية والحيوانية في تهيئة عقاقيره[4]، وكان من بين المعدنيات المفضلة لديه كلوريد الصوديوم (ملح الطعام) ونترات البوتاسيوم (ملح البارود)، ومن المملكة الحيوانية استعمل اللبن وجلد الحية وصدفة السلحفاة،

(1)- وليد رينيه لابات، المرجع السابق، ص 196.

(2)- خزعل الماجدي، (**ميثولوجيا الخلود**)، المرجع السابق، ص 125. أنظر نص التعويذة كاملة: قاسم الشواف، **ك2**، المرجع السابق، ص ص 54-57.

(3)- طه باقر، (**موجز في تاريخ العلوم والمعارف**)، المرجع السابق، ص 95.

(4)- استخدام العقاقير الطبية لم يكن دائما الهدف منها تطهير جسم المريض، بل كان استخدامها لإرهاب الشيطان وإخراجه من الجسم وكان أكثر الأدوية شيوعا عقار مكون من خليط من العناصر التي تعافها النفس اختيرت لهذا السبب عن قصد ولعلهم كانوا يفترضون أن معدة المريض أقوى من معدة الشيطان الذي يتقمصه، وكانت العناصر المألوفة لديهم هي اللحم النيئ ولحم الثعابين ونشارة الخشب الممزوجة بالنبيذ والزيت، أو الطعام الفاسد=

ولكن مصدر معظم مفرداته الطبية كان من عالم النبات: من نباتات مثل القاسيا (القثاء الهندي) والآس والحلتيت والزعتر والأشجار مثل: الصفصاف والكمثري والشربين (الشوح)، والتين والتمر، وكانت مثل هذه العقاقير تهيأ إما من البذور أو الجذور أو الفروع أو اللحاء أو الصموغ، وكان يحتفظ بها على هيئة مادة صلدة أو على هيئة مسحوق[(1)].

وفيما مثال عن هذه النصوص: "بعد سحق جذور النباتات (المنصوص عليها) مع القير المجفف الذي يؤخذ من النهر ومزجه بالجعة، يدعك المكان المصاب بالزيت ويوضع (الدواء) على شكل كمادة". "بعد سحق بذور النباتات (المنصوص عليها) تمزج مع الجعة ومن ثم يشربها المريض"[(2)].

وقد قدم الطبيب السومري الأدوية على هيئة مراهم أو مقطرات وتستعمل إما استعمالا خارجيا أو استعمالا داخليا بهيئة سوائل. كما أنه استعمل إضافة إلى المواد المذكورة سابقا طين النهر المسحوق، والماء، والعسل والزيت... ومهما تنوعت المواد المستعملة في صناعة الأدوية فإن كل ذلك يوضح أن طرق تركيب الأدوية السومرية ودساتيرها قد بلغت مرحلة كبيرة من التقدم، وهي تعبر عن معرفة واسعة بجملة طرق كيمياوية[(3)] متقنة نوعا ما[(4)].

والشئ المميز لهذا الأقرباذين أنه يخلو من ذكر الأمراض التي تستخدم لها الأدوية، كذلك يخلو من ذكر المقادير وعدد مرات الاستعمال، ويرجح أن يكون المقصود بذلك هو التكتم المهني، إذ يرجح أن يكون الطبيب السومري قد أخفى عمدا تفاصيل المقادير حفاظا على

=ومسحوق العظام أو الشحم والأقذار ممزوجة ببول الحيوان أو الإنسان أو برازه، وفي بعض الحالات كان يستبدل بهذا العلاج القذر لبن وعسل وزبد وأعشاب عطرة يحاولون بها استرضاء الشيطان. أنظر: عبد الحميد العلوجي، المرجع السابق، ص 08.

(1)- Samuel Noah kramer, Op.Cit, pp 89-90.

(2)- فاروق ناصر الراوي وآخرون، المرجع السابق، ص328-329.

(3)- اختلطت الكيمياء هي الأخرى بالسحر وامتزجت بالدين، وكانت غير مشاعة بين الناس، وتميزت الكتابات المسمارية الكيميائية بالسرية وصولا إلى اعتبارها من الأسرار الخفية أو من عمل الآلهة، حيث استخدمت الضحايا والقرابين لإنجاح بعض العمليات الكيميائية لصنع الزجاج، والأكثر من ذلك أن نصوص كيميائية وجد في آخرها: "دع الملقن (للصنعة) يراها للملقن ولا يراها غير الملقن، إنها تخص الأشياء المحرمة للآلهة العظام". أنظر: فاروق ناصر الراوي وآخرون، المرجع السابق، ص341.

(4)- Samuel Noah kramer, Op.Cit, p 99-100.

أسراره من أن يتطفل عليها غير أهل المهن الطبية، ولعله أخفاها حتى عن زملائه الأطباء[1].

وهناك نوع آخر من هذه النصوص جاءتنا مرتبة على هيئة جداول مقسمة في الغالب إلى ثلاثة حقول (خانات), يذكر فيها اسم المريض واسم الدواء وإرشادات موجزة في كيفية استعماله على النحو الآتي:

عرق الســوس	دواء للســـعال	يسحقها ويشرب مع الزيت والخمر
ورد عين الشمس	دواء لوجع الأسـنان	يوضع مسحوقه على الأســنان

كما أن الكثير من مثل هذه النصوص رتبت فيها وصفات الأدوية بحسب أعضاء الجسم[2]، فهناك أمراض للأذن والأنف والعين والحنجرة، ثم أمراض الرأس عامة، ثم أمراض القلب والصدر والمعدة وهناك أمراض غير عضوية، كما أن هناك أمراضا أشاروا إليها ووصفوها بأنها لا تعالج كالسل والسرطان، وعرفوا إلى جانب ذلك بعض الأمراض الجلدية والتناسلية ثم السموم الناجمة عن لدغ العقرب والثعبان[3].

<u>3. ما جاء في شريعة حمورابي:</u>

تعد شريعة حمورابي من أعظم الوثائق التي أمدتنا بمعلومات طبية خاصة عن قوانين الجراحة[4]، فقد وجد رقمين طينيين فقط خصا الجراحة، الأول يخص إزالة الماء الأزرق من العين، والثاني يتعلق بعملية إزالة الجزء الملتهب من أحد العظام[5]، ويمكن تقسيم القوانين الخاصة بالطب إلى: من 215-223 وهي خاصة بالعمليات الجراحية، أجورها والقصاص الذي يتلقاه الجراح في حالة إخفاقه:

---

(1)- خزعل الماجدي، (**بخور الآلهة**)، المرجع السابق، ص 151.

(2)- فاضل عبد الواحد علي، عامر سليمان، المرجع السابق، ص 217.

(3)- نجيب ميخائيل إبراهيم، المرجع السابق، ص 235.

(4)- كانت الجراحة أكثر العلوم تحررا من السحر، لأنها تقوم على معالجة ظواهر واضحة للعيان وتشير النصوص الطبية من العراق القديم إلى إجراء العمليات الجراحية للمريض في حالة النخر الحاد وإجراء شق الخارج الكبدي وثقب غشاء المتقيح. أنظر: برهان الدين دلو، المرجع السابق، ص 253.

(5)- فاروق ناصر الراوي وآخرون، المرجع السابق، ص 335.

المادة 215: إذا أجرى طبيب عملية جراحية كبيرة بسكين من البرونز لرجل وأنقذ (حياة) هذا الرجل أو فتح له خراجا وأنقذ عينه، فيحصل الطبيب على 10 شيكل[1] من الفضة أجره.

المادة 216: إذا كان طفل موشكينوم فيحصل الطبيب على 5 شيكل من الفضة.

المادة 217: إذا كان عبد رجل، فعلى صاحب العبد أن يعطي الطبيب 2 شيكل من الفضة.

المادة 218: إذا أجرى طبيب عملية جراحية بسكين من البرونز لرجل وسبب له ذلك موت الرجل و فتح خراجا بسكين برونزية لرجل وخرب عينه فعقوبته بتر يده.

المادة 219: إذا أجرى طبيب عملية جراحية بسكين برونزية لعبد رجل وسبب موته، فعليه أن يعوض عليه عبدا بعبد.

المادة 220: إذا فتح له خراجا بسكين برونزية وخرب له عينه، فعليه أن يزن نصف ثمنه فضة.

المادة 221: إذا أصلح طبيب عظما مكسورا لرجل وعالج له عصبا مريضا وتعافى، فعلى المريض أن يعطيه 5 شيكل فضة.

المادة 222: إذا كان هذا ابن "موشكينوم" فعليه أن يعطي الطبيب 3 شيكل فضة.

المادة 223: إذا كان هذا عبد رجل فعلى صاحب العبد أن يعطي الطبيب 3 شيكل فضة.

في حين تناولت المادتان 224 و225 من القانون الطب البيطري:

المادة 224: إذا أجرى طبيب عملية جراحية كبيرة لثور أو حمار وأنقذه، فعلى صاحب الثور أو الحمار أن يعطيه أجره من الفضة، ما يعادل سدس ثمن الحيوان.

المادة 225: وإذا أجرى عملية جراحية كبيرة لثور أو حمار وسبب موته فعليه أن يعطي صاحب الثور أو الحمار ربع الثمن[2].

---

(1)- يعادل الشيكل الواحد60/1 من الوزنة البابلية التي كانت تعرف باسم "مينة" أي ما يزيد قليلا عن 8.4 غ، حيث كانت المينة الواحدة تزن ما يساوي الآن نصف كيلوغرام. أنظر: طه باقر، (**موجز في تاريخ العلوم والمعارف**)، المرجع السابق، ص 46، الهامش رقم (01).

(2)- توفيق سليمان، **دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة من أقدم العصور إلى عام 1190 ق.م- الشرق الأدنى القديم "بلاد ما بين النهرين، بلاد الشام"-** دار دمشق، دمشق، 1985، ص 219-220.

ويتضح دور المعتقد الديني والآلهة جليا في خاتمة القوانين، حيث يختتم حمورابي قانونه بمدح الملك العادل، ثم يؤكد على ضرورة أن يعمل الشعب بهذه القوانين، ويقدم اللعنات على من لا يتقيدون بشريعته، وبعض هذه اللعنات الخاصة بالطب[1]:

على نينكاراك، ابنه آنو
داعيتي في الـ "أكور"
تصيبه بمرض عضال
ومكروه شديد
وجرح بليغ، لا شفاء منه
وما من طبيب يكشف طبيعته
الذي لا يخفف بالتضميد
كالعضة المميتة التي لا تزول
وتسبب إطفاء (نور) حياته
(وفقدانه) لقوة رجولته[2].

لقد تطور النشاط المعرفي العلمي في سومر وبابل كما الآداب تحت تأثير المعتقدات الدينية والتأملات والأعمال السحرية الخرافية التي مارسها الكهنة بصورة رئيسية، ولا يمكن إقامة التعارض بين كثير من العلوم والدين، فقد كان الطب والفلك والكيمياء... جزءا من الدين، وكانت شعائر الشفاء والتنجيم وتكوين الأدوية وغيرها من العلوم جزءا من الشعائر الدينية، وكانت تهم حياة الفرد وعمل على تنظيمها، فهي أنظمة إلهية منحتها الآلهة للبشر وهو ما تخبرنا به القصة التي رواها المؤرخ البابلي بيرسوس بأنه خلال مدة حكم الملك ألوروس (Aloros)، الذي حكم قبل الطوفان، خرج الوحش مدة حكم الملك أوئنس (Oannes) من البحر وكان على شكل إنسان في لباس سمكة، وعلم الملك وشعبه مختلف أنواع الحرف والقوانين والعلوم[3].

(1)- جورج سارتون، المرجع السابق، ص 199.
(2)- توفيق سليمان، المرجع السابق، ص 235.
(3)- سامي سعيد الأحمد، (**الطب العراقي القديم**)، المرجع السابق، ص 83.

الفصل الرابع: تأثير الدين على الفن

1- العمارة

أ- العمارة الدينية

ب- العمارة المدنية

2- النحت

أ- النحت المجسم

ب- النحت البارز

3- الفنون التطبيقية

4- الموسيقى

تعتبر الفنون أحد أهم العناصر المعبرة عن فكر إنسان الحضارات القديمة، وعمر الفن قديم قدم الإنسان، فقد بدأ في مواجهة العالم الشاسع يحاول أن يجد ملاذا وخلاصا له من تقلبات الطبيعة، فأعتقد في وجود الإله وزوال الطقوس السحرية الطوطمية في عبادته وكانت هذه بداية الفن عند الإنسان القديم، وتبرز قيمة الفن عند البدائي القديم فيما كان يستعمله من أدوات يكمل بها بقاءه كالأسلحة والحجارة الصلبة والكهوف وغيرها من الأدوات.

وتمثل الفنون القديمة في بلاد الرافدين طرازا فنيا يعد من أقدم الطرز في العصور التاريخية، حيث تنافس على الصدارة مع الطراز الفني في بلدان الشرق الأدنى القديم خاصة منها مصر من حيث القدم والأصالة، فقد بدأت أولى محاولات الإنسان في وادي الرافدين في التعبير عن ذوقه الفني بشكل واضح منذ العصر الحجري المعدني، وربما قبل ذلك بقليل عندما بدأ بتزويق الأواني الفخارية بالألوان والأشكال والأطرزة الفنية المختلفة، وفي هذا العصر أيضا طرق الإنسان أبوابا أخرى للتعبير من خلالها عن ذوقه الفني كان في مقدمتها البناء، ولا سيما المعابد، نحت التماثيل والنحت على الحجر لعمل المسلات والنصب والأواني النذرية, وكذلك صناعة الحلي والمجوهرات وصناعة الأختام الاسطوانية وغيرها.

والدارس لخواص الفن في هذه الحضارة يلاحظ بوضوح بأن الحضارات الرئيسية الأربع (السومرية، الأكدية، البابلية والأشورية) متصلة بعضها ببعض بنسيج تاريخي مكونة سلسلة متصلة الحلقات, ومع هذا فقد تميزت بعضها عن بعض نتيجة الظروف الموضوعية التي سادت تلك الحضارات, وقد أثر ذلك التباين على فناني تلك الفترات، لذا فمما أبدعه فنانو تلك الأزمان البعيدة في القدم يعبر بصدق وإخلاص عن البيئة والظروف التي عاشوها أي أن الإبداع الفني والتفكير العقلي هو إنتاج الظروف الموضوعية للطبيعة والبيئة والمجتمع.

ويمكن القول أن هذا التواصل في الفن يتضح جليا خاصة بين السومريين والبابليين فقد تميز الفن البابلي بالتمسك بتقاليد الماضي السومري، إذ تطرق للمواضيع التي عهدها السومريون والتي تتعلق بجوانب الحياة اليومية خاصة ما يتعلق بالمعتقد الديني وانحصار جل مضامينه على مشاهد العبادة وأداء الطقوس من تقديم القرابين، الصلاة... ولن تتضح هذه العلاقة التي تربط الديانة بالفن في كل من سومر وبابل إلا إذا وقفنا على أهم أنواع الفنون

التي عرفوها ودراسة بعض النماذج لهذه الأنواع التي تتضح من خلالها العلاقة بين المعتقدات الدينية والإبداع الفني.

1. العمارة:

تعتبر العمارة أولى أشكال الفنون وأهمها على الإطلاق, وقد ارتبطت بمجموعة من العوامل الطبيعية والسياسية والاقتصادية, غير أن أهم هذه العوامل التي كان لها الأثر الواضح على تطور هذا الصرح هو العامل الديني، فقد كان دور العمارة موجها بالدرجة الأولى لخدمة الدين، وقد ساعد ذلك بشكل فعال الحكام والكهنة من تحقيق ما يصبون إليه في إثبات شرعية سلطتهم، وعن دور هذا العامل في تطور العمارة يقول أنطوان مورتكات: "أن من يود الإلمام بجوهر العمارة والفن في بلاد ما بين النهرين ووحدتها ينبغي له أن يحاول استيعاب فكرة الإله التي كانت مقبولة آنذاك، وما يرتبط من مفاهيم عن الملكية بصفة مباشرة، وذلك بدراسة الأبنية والأعمال الفنية المكتشفة..."[(1)].

وهو ما يؤكده أيضا قبيلة المالكي في قوله: "وخصائص العمارة السومرية تعرف جيدا من خلال المعتقدات الدينية مما دفع إلى عمارة نصبية وأكثر أبنيتها كانت المعابد. وأهم نتاج لعمارة بلاد الرافدين التي تلت العمارة السومرية هي العمارة البابلية بعهديها القديم والحديث..."[(2)].

أ. العمارة الدينية:

يعتبر المعبد أحد أهم العناصر المعمارية في حضارة وادي الرافدين[(3)], ويعود ظهوره إلى العصر المعروف بتل حلف في بداية الألف الخامس ق.م وقد استمر في التطور إلى أن أخذ صورته كاملة حوالي 3000 ق.م[(4)], وقد اعتبر مكان سكن الإله وزوجته وأولاده وأفراد

---

(1)- أنطوان مورتكات, **الفن في العراق القديم**، تر: عيسى سلمان، طه التكريتي، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد، 1975، ص 15.

(2)- قبيلة المالكي، **تاريخ العمارة عبر العصور**، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، 2007، ص 26.

(3)- يوسف خنفر, **فنون الزخرفة والأثاث عبر العصور**, دار راتب الجامعية, بيروت, 2000, ص 26.

(4)- صالح لمعي مصطفى, **عمارة الحضارات القديمة المصرية, ما بين النهرين, اليونانية, الرومانية**, دار النهضة العربية, بيروت, 1979, ص 53.

حاشيته[1], فكان بذلك ذا مكانة مقدسة في المجتمع لأنه ارتبط أساسـا بالمعتقـدات الدينيـة وخدمة الدين, لأنه مكان عبادة الإله وإقامة الطقوس والشعائر الخاصـة بـه كالاحتفـالات الدينية[2].

لقد كان بناء معبد جديد من المهمات التي تستلزم أداء طقوس معينة من أجل التأكـد من رغبة الإله الخاص بذلك المعبد قد حققت على الوجه الأكمل, وكان الإله يفـصح عـن رغبته في بناء معبد جديد من خلال الأحلام التي يراها الملك أو الكاهن في منامـه, أي أن بناء أي معبد يكون بأمر إلهي يجسد في الحلم, ومن الأمثلة على ذلك الرؤيا التي رآها جوديا حاكم لكش 2120 ق.م, فقد رأى الإله ننكرسو على شكل إنسان ذي قامة هائلة وعلى رأسه تاج إلهي وله جناحا طير ذا رأس أسد, والجزء الأسفل منه كالطوفان والأسود على جانبيـه وأمره ببناء معبد[3], والمثال الآخر عن نبو بلاصر: "بأمر من آيا, وبنـاء علـى نـصيحة مردوخ, وتلبية لنصيحة نابو ونيسابا, ولثقتي بالمهمة الكبرى التي وضعها على كاهلي الإلـه الذي خلقني, اتخذت من محرابي الخاص الكبير قرار, فقمت بقياس الإبعاد لمساعدة عمـال ماهرين مزودين بوحدة القياس..."[4].

وتوضح إحدى الألواح مشهدا دينيا يمثل الملك أورنامو مؤسس سلالة أور الثالثة وهو يقدم سكب الماء المقدس إزاء إله القمر سين الخاص بمدينة أور ويتسلم الملـك مـن الإلـه الأوامر المقدسة لتشييد زقورة أور[5].

ولما كان للمعابد هذه القداسة الدينية فقد كان الناس يطهرون الموقع الذي يراد بنـاء المعبد فيه بالنار قبل بدء البناء[6], على أن وقت البناء عادة كان فـي شـهر جـوان لأنهـم اعتبروه الفأل الطيب للبداية في بناء معبد أو قصر حيث يضع الملك اللبنة الأولى بنفسه على

(1)- نور الدين حاطوم وآخرون, المرجع السابق, ص 197.

(2)- فاضل عبد الواحد علي, **(من سومر إلى التوراة),** المرجع السابق, ص ص 78-81.

(3)- فراس السواح, **(دين الإنسان),** المرجع السابق, ص 210.

(4)- Marguerite Rutten, **(Babylone),** Op.Cit, P 85.

(5)- طه باقر, **(مقدمة في تاريخ الحضارات),** المرجع السابق, ص 489-450.

(6)- طه باقر, **(معابد العراق القديم)**, المرجع السابق, ص 25.

أن تكون قالبا من نوع خاص من الخشب يظل بعد ذلك في المعبد, ويملأ الملك ذلك القالـب بالطين مصحوبا بالأدعية وتقديم الأضاحي وعزف الموسيقى[1].

وقد كان للعناصر الأساسية المستعملة في البناء أهمية دينية وسحرية [2], فاسـتعمال مادة الطين في البناء راجع إلى كونه المادة التي خلق منها الإنسان وأعطى ذلك له نوعا من القداسة[3], ومن جهة أخرى أن بناء المعابد باللبن دون المواد الأخرى كان غرضـه أيـضا المحافظة على المآثر الدينية لأن أولى المعابد الدينية كانت كذلك[4], كما أن مقـاس اللبنـة كانت تتحكم فيه الآلهة ويظهر ذلك جليا من خلال ما رواه جوديا في حلمه من أن الآلهة هي التي أشارت عليه مقاسها في بنائه معبد ننكرسو, وكان استعمال التماثيل أيضا ذا دافع دينـي سحري, فقد كانت تنحت على شكل أسافين وتكون أساس البناء من أجل دك الـشر[5]باتجـاه العالم الأسفل[6], كما كان اتجاه زوايا المعبد اتجاه الجهات الأربع ذا مغزى ديني..[7]

وقد قسم المؤرخون المعابد من حيث أهميتها إلى:

- المعابد الرئيسية المركزية وهي معابد لها صفة قومية, وتعتبر المركز الرئيسي للإله ولها يتوجه الجميع عند رغبتهم في التعبد إليه, كمعبد الإله القمر ومركزه في أور ومعبد أيا فـي وأريدو ومردوخ في بابل...

- المعابد الثانوية ومعابد المدن وهذه كانت لآلهة ذات صفات محلية ولم تستمر لأكثر مـن فترة زمنية معينة ومنها معبد سن في خفاجي الذي استمر إلى بداية العصر البابلي القـديم...

- معابد الأحياء السكنية وهي معابد صغيرة أقرب إلى المزارات أشهرها معبد خندور سانغا

(1)- محمد بيومي مهران, **حضارات الشرق الأدنى القديم –الحياة السياسية والاقتصادية والتشريعية**- ج2, دار المعرفة الجامعية, مصر, 1999, ص 68.

(2)- أنطوان مورتكات, (**الفن في العراق القديم**), المرجع السابق, ص 192.

(3)- أحمد أمين سليم, **(دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم),** المرجع السابق, ص 251.

(4)- طه باقر, **(معابد العراق القديم)**, المرجع السابق, ص 25.

(5)- أنطوان مورتكات, **(الفن في العراق القديم),** المرجع السابق, ص 192.

(6)- عبد الحكيم الذنون, (**الذاكرة الأولى)**، المرجع السابق, ص 141.

(7)- طه باقر, **(معابد العراق القديم),** المرجع السابق, ص 31.

في الحي السكني البابلي القديم في مدينة أور... ولا تختلف معابد القصور عن المعابد الرئيسية وغالبا ما تكون قربها أو ملتصقة بها[1].

كما عرف السومريون والبابليون عدة أنواع من المعابد-من حيث الشكل- أهمها معابد الآلهة الرئيسية المنفردة وهي عادة معابد أرضية تكون في مناطق مركزية داخل مواقع المدن مهيئة لهذا الغرض, وهناك المعابد المرتفعة فوق المصاطب المشيدة من اللبن بطبقة أو طبقتين وهي في حقيقتها استمرار لمعابد عصري العبيد والوركاء وجمدة نصر, وهناك المعابد الملاصقة للزيقورة وهي معابد أرضية منخفضة تكون في الصحن المحيط بالزيقورة ولها واجبات تكميلية أو معوضة للمعبد[2].

1. المعبد العالي(الزيقورة Ziqqourat)[3]:

تعددت الآراء حول الفكرة التي تمثلها الزيقورة فقد اعتبرها البعض أنها ترمز إلى السمو والعلو, فهذا الطراز من البناء يتفق مع تطور الفكر الديني السومري[4], فهي بمثابة بيت الإله النازل من السموات السبع إلى الأرض, ويحل في الهيكل الذي بني تكريما له على الأرض, أي أنها ترمز للسموات السبع وهي بمثابة السلم الواصل بين السماء والأرض[5] والمعبد الكائن في أعلى طابق هو بمثابة باب السموات أو الرابطة بين السماء والأرض[6],

(1)- مؤيد سعيد وآخرون, **العمارة من عصر فجر السلالات إلى نهاية العصر البابلي الحديث, (حضارة العراق)**, **ج3**، المرجع السابق, ص 112-113.

(2)- نفسه, ص 104.

(3)- الزيقورة كلمة بابلية مشتقة من "زقارو" أو"زيكورات" التي أبرز معانيها العلو. أنظر: قبيلة المالكي، المرجع السابق، ص 27.

(4)- أحمد أمين سليم, (**دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم),** المرجع السابق, ص 249.

(5)- إن مثل هذه الفكرة عن الزيقورة لها ما يشابهها تقريبا في التوراة حيث نقرأ في سفر التكوين (11: 3-5) [3]وقَالَ بعضهم لِبعض: "هلُم نَصنَع لِبناً ونَشْوِيهِ شَياً». فَكَان لَهم اللبن مكان الْحجر وكان لَهما الْحمر مكان الطين. [4]وقَالُوا: هلُم نَبن لأَنْفُسِنَا مدِينَةً وبرجاً رأْسه بِالسماءِ. ونَصنَع لأَنْفُسِنَا اسماً لِئَلا نَتَبدد علَى وجهِ كُل الأَرض [5]فَنَزلَ الرب لِينْظُر الْمدِينَةَ والْبرج اللذَين كَان بنُو آدم يبنُونَهما "، كما نقرأ عن حلم يعقوب المذكور في السفر نفسه (12:28) "[12]ورأَى حلْماً وإِذَا سلم منْصوبةٌ علَى الأَرضِ ورأْسها يمس السماء وهوذَا ملاَئِكَةُ ا ِ صاعِدةٌ ونَازِلَةٌ علَيها ".

(6)- محمد محفل, **تاريخ العمارة**, ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر, (د.ت), ص 108.

ويوضح النص الذي وجد في زيقورة مدينة أور المخصصة للإله أنو هذا الرأي: "راقب في الليل الأول من على سطح المعبد العالي للزيقورة عندما يأتي نجم الإله انو من السماء..."[(1)].

وهو الرأي الذي يذهب إليه قبيلة المالكي في تعريفه الزيقـورة بقولـه: "والزيقـورة معبـد تصاعدي أو مرتفع ينتهي في الأعلى بالحرم، وهي في سومر مستطيلة الشكل وتتركب مـن طبقات ثلاث متصاغرة في الحجم على شكل هرم مدرج وتتوضع الطبقـات منحرفـة إلـى الوراء حتى يتاح بناء أدراج من الأمام تصل بين الطبقات، وفي عمارة البـابليين ترجمـت الزيقورة مفهوم مركز الكون ونزول الآلهة عليها وجاءت الزيقورة تلبية لـضرورة دينيـة لكونها الطريق إلى العالم الأسفل لذلك ارتبطت بها الكثير من المعتقدات الدينية البابلية..."[(2)].

لكن التساؤل المطروح هنا لماذا كانوا يعتبرون الأمكنة العالية مناسبة, لاسيما وأن الآلهـة المعبودة لم تكن كلها من السماء فحسب, ولكنها كانت أيضا آلهة أرضية ؟

والإجابة عن هذا التساؤل بعيدة عن دور المعتقدات الدينية, ذلك أن السومريين كـانوا يسكنون مناطق جبلية قبل نزوحهم إلى أرض الجزيرة، ومن ثم ربما أثرت طبيعـة وطـنهم الأول على دينهم، فكانوا يجعلون قدس معبودهم في مكان مرتفـع خـصوصا وأن وطـنهم الجديد المنبسط كان عرضة لفيضانات الأنهار مما حدا بهم إلى بناء قاعدة مرتفعة على شكل مصطبة فسيحة كانوا يقيمون عليها مجموعة المباني التي يتكون منها معبدهم[(3)].

ويذهب فريق آخر إلى اعتبار أن اعتماد علو الزيقورة راجع إلى الـسومريين الـذين استخدموا في حساباتهم للوقت التقويم القمري, ولذلك كانت رؤية الهلال تعتبر إحدى النواحي المهمة التي كان يعتمد عليها في كثير من الأمور الدينية وحتى الدنيوية[(4)].

وقد أخذت الزيقورات شكل هرم سقارة المدرج مـن الخـارج وإن اختلفـت عـن الأهرامات في تصميمها الداخلي, فإذا كانت الأهرام مقابر فإن الزيقورات معابـد ومـدارج يهبط الآلهة على قممها ويستقرون في قاعدتها, وهي تتكون عادة من سبع طوابق يحمل كـل منها اللون الذي يرمز إلى أحد الكواكب السبعة: فكان الطابق الأول أسود رمزا لزحل والذي

---

(1)- صالح لمعي مصطفى, المرجع السابق, ص 58.

(2)- قبيلة المالكي، المرجع السابق، ص 27-28.

(3)- حسن باشا, **الفنون القديمة في بلاد الرافدين**, مكتبة الدار العربية للكتاب, مصر, 2000, ص 35.

(4)- أحمد أمين سليم, **(دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم)**، المرجع السابق, ص 249.

يعلوه أبيض بلون الزهرة, ويعلوه طابق المشتري الأرجواني ثم طابق عطارد الأزرق, ثم طابق المريخ القرمزي, يتلوه طابق القمر الفضي, وأخيرا طابق الشمس بلونه الذهبي, وكان كل طابق يشير الوقت نفسه إلى أحد أيام الأسبوع(1).

ومن أوائل الزيقورات التي عرفها السومريون زيقورة أور التي شيدها الملك أورنامو في عام 2113-2096 ق.م(2), والتي تعتبر امتدادا سواء في شكلها وهدفها -الديني- للعصور التي سبقتها, يقول مورتكات: " وحتى اليوم ما يزال يصعب إعطاء قرار فيما إذا كانت الزيقورة التي تشيد اصطناعيا في العصر السومري الحديث تعتبر أيضا تعبيرا عن مفهوم ممارسة دينية جديدة, أو أن الزيقورة بالشكل المعروف لنا منذ عهد أورنامو هي مجرد تسام وتقديس شكليين لما قد ظهر قبلا وتطور بصفة أثناء إعادة بناء معبد خلال قرون, كما هو الأمر بالنسبة إلى زقورة انو في الوركاء أو المعابد السومرية الأولى في أريدو ونعني به إقامة المعبد الرئيس على منصة عالية, وبما أن أورنامو بنى أبراجه المدرجة في أور والوركاء وأريدو ومدن أخرى على نفس الموضع حيث كانت تقوم في العصور السابقة المنصة العالية للمعبد الرئيس, فمن المعقول أن نفترض أن هناك تقليدا دينيا وليس انقطاعا في تطور المفاهيم الدينية..."(3).

وتبلغ مساحتها حوالي 60×54 مترا وارتفاعها حوالي 21 مترا, وهي كتلة من اللبن تكسوها أسوار من الطوب المحروق سمكها 2.5 متر, وترتفع أسوار الطبقة السفلى نحو 15 متر بميل ملحوظ نحو الداخل, وتدعم بأكتاف قليلة البروز, وكانت الشرفات التي تحيط بقواعد الطبقات تتسع عند طرفي المستطيل نظرا إلى أن الطبقات العليا كانت تميل إلى أن تصير مربعة, وأقيم فوق السطح المربع للطبقة الثالثة العليا القدس أو المعبد العلوي, وكان يتكون من غرفة واحدة صغيرة(4). وقد قام فيما بعد الملك الكلداني نابونيد بإعادة بناءها في

(1)- عزت زكي حامد قادوس، **تاريخ عام الفنون**، مطبعة الحضري، الإسكندرية، 2001، ص 64.

(2)- مؤيد سعيد وآخرون, المرجع السابق, ص 105.

(3)- أنطوان مورتكات, **(الفن في العراق القديم),** المرجع السابق, ص 197-198.

(4)- حسن باشا, المرجع السابق، ص 44. للمزيد أنظر: فاضل عبد الواحد علي, **(من سومر إلى التوراة),** المرجع السابق, ص 85.

القرن السادس ق.م أي بعد زمن أورنامو بنحو 1500 سنة, فأصبحت في عصره ذات سـبع طبقات [1] (أنظر الملحق رقم11 ص 185).

وأشهر هذه الزيقورات على الإطلاق برج بابل الشهير(أنظر الملحـق رقـم 12 ص 186), والهدف من إنشاء هذا الصرح كان دينيا بحتا وذلك ما تؤكده الأسطورة التي وردت في التوراة وهي أن الناس كانوا يتكلمون بلسان واحد ولكن رأى أحد ملوك أهل بابـل بـأن يشيدوا لهم برجا شاهقا ليصلوا به إلى السماء[2] "[1]وكانَتِ الأَرض كُلها ِلساناً واحِـداً ولُغَـةً واحِدةً. [2]وحدثَ ِفي إرتِحالِهم شَرقاً أَنهم وجدوا بقْعةً ِفي أَرضِ شِنْعار وسكَنُوا هنَاك..."[3]

وأقدم وصف وصلنا عن هذا البرج ما جاء به هيرودوت: "وفي الحصن الآخـر... المعبد المقدس لجوبيتر بيلوس[4], وهو على شكل مربع طول ضلعه فورلنجان. وله أبـواب سميكة مصمتة من النحاس الأصفر, كانت موجودة أيضا في عهدي. وكان كل من جوانبـه فورلنج واحد, أُقيم فوقه برج ثان وفوق هذا ثالث وهكذا حتى ثمانية أبراج, ويصل الـصاعد إلى القمة من الخارج بواسطة طريق يدور حول الأبراج, وفي منتصف هذا الطريق موضع للراحة به مقاعد لجلوس الصاعدين إلى أعلى الأبراج, وفوق أعلى برج... معبد واسع, بـه سرير خارق الحجم مزخرف بأنفس الزخارف, وبجانبه منضدة من الذهب, ولاينام في المعبد ليلا غير سيدة وطنية واحدة... يقول عنها كهنة هذا الإله: أن الإله اصطفاها لنفسه من بـين نسوة البلاد..."[5].

أما أعلى الزيقورات الموجودة والباقية حتى الآن فهي زيقورة عكركوف والتي يقـدر ارتفاعها بخمس طبقات[6](أنظر الملحق رقم 13 ص 187).

(1)- جورج حداد, **تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته**, ج1, مطبعة جامعة دمشق, دمشق, 1959, ص117.

(2)- فاضل عبد الواحد علي, عامر سليمان, المرجع السابق, ص229.

(3)- سفر التكوين (11: 1-4).

(4)- يقصد هنا الإله "بعل" أي "مردوخ" الذي قابله الإغريق بإلههم زفس "Zeus" أو جوبيتر.

(5)- Hérodote, Loc.Cit,181 -183.

(6)- مؤيد سعيد وآخرون, المرجع السابق, ص 105.

2. المعبد الأرضي:

لا يختلف المعبد الأرضي كثيرا في غايته عن الزيقورة- بعد استراحته في الزيقورة ينزل إلى المعبد الأرضي- فهو يمثل موضع استراحة الآلهة حيث تجلس فيه لاستماع صلوات العباد وتقبل قرابينهم والاستماع إلى مظالمهم وشكاويهم والاستجابة لهم, وعلى أساس هذه الفكرة جعل المحراب الموجود في حجرة الهيكل(Cella) بهيئة باب معمي رمز ظهور الإله منها وفيها. لأن حجرة المحراب أي الهيكل على ذلك باب الإله, ولأن الإله يجلس هنا لاستماع الخلق فقد أقيمت في المحراب دكة, هي دكة المذبح, يوضع فوقها تمثاله الذي يمثله, فيكون المعبد الأرضي بحسب هذا الرأي, أن البابليين كانوا يعدونه من قاعات الاستماع تظهر فيه الآلهة إلى البشر, وأن هذه الفكرة موجودة حتى في قصور الملوك, فإن قاعات العرش فيها كانت على غرار حجرة المحراب في المعابد[(1)].

وتعتبر حجرة المحراب الذي يوضع فيه الهيكل أقدس جزء في المعبد, وقد تكون وحدها معبدا قائما بذاته, وبالنسبة لتصميم المعبد الأرضي فكان يوجد عند المدخل حجرة تسمى حجرة المدخل أو حجرة الحاجب وتؤدي هذه الحجرة إلى ساحة مكشوفة, وتؤدي هذه الساحة إلى حجرة أخرى تؤدي إلى حجرة الهيكل حيث يوجد المحراب ودكة المذبح, وفيما عدا هذه الأجزاء الرئيسية توجد ساحات خارجية وحجرات ومرافق أخرى تحيط بالساحة خصص بعضها للكهنة وبعضها للتطهير المقدس, ووجد في أكثر المعابد تماثيل آلهة كثيرة وضعت في حجرات ثانوية مع تمثال الإله الرئيسي الذي شيد له المعبد.

والشيء الملاحظ هو أن تصميم المعبد الأرضي اختلف من منطقة إلى أخرى ففي الجنوب نجد أن أقدس مكان في المعبد جعل في نفس محور المدخل, أي أن الداخل إلى المعبد يواجه مباشرة قدس الأقداس أي المحراب, أما المعابد الشمالية فقد حرفت المداخل عن المحاريب وجعلتها في جهة تضطر الداخل إلى المعبد أن يدور بزاوية قدرها تسعون درجة حتى يواجه المحراب[(2)](أنظر المخطط رقم02 ص 172).

---

(1)- طه باقر, **(معابد العراق القديم),** المرجع السابق, ص 20-21.

(2)- أحمد أمين سليم, **(دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم),** المرجع السابق, ص 251. أنظر كذلك: طه باقر, **(معابد العراق القديم),** المرجع السابق, ص ص 21-24.

وقد عرف السومريون والبابليون عديد المنشآت من هذا النوع أهمها وأقدمها المعبد الأبيض بالوركاء، وشيد في 3000 ق.م وسمي بهذا الاسم نسبة لطلائه الأبيض[1], ويحمل أيضا اسم معبد الإله آنو الذي أقيم تمجيدا له وقد تطور هذا المعبد فيما بعد إلى ارتفاع كبير وإلى طوابق علوية إلى ما يشبه البرج[2](أنظر الملحق رقم14 ص 188), وهو يشبه في تكوينه الداخلي المعبد السابع، والمعبد البيضوي من خفاجي الذي شيد في ثلاث فترت بنائية كلها من عصر فجر السلالات وتعتبر المرحلة الأخيرة هي الأكثر اكتمالا[3](أنظر الملحق رقم15 ص 189), وهناك معابد تل حرمل(أنظر المخطط رقم03 ص 173) من عصر سلالة ايسن-لارسا وكان أكبر هذه المعابد معبد خاني-نصابة...[4].

ب. العمارة الدنيوية:

لم تقم في وادي الرافدين, ولا سيما في الفترات الأولى من تاريخها ممالك واسعة تمتد على رقعة كبيرة من الأرض, بل قام فيها ما يمكن تسميته باسم ممالك المدن وهي ممالك صغيرة مركزها مدينة من المدن ولا تشمل حدودها إلا الأراضي التي تحيط بهذه المدينة, وهكذا كانت المدينة خلية أساسية في التنظيم السياسي.

ويعتبر تأسيس المدينة عملا دينيا يقام به بناء على أوامر الآلهة لأنها أولا وقبل كل شيء مركز للعبادة, وقد أدت هذه الصلة بين تأسيس المدن والديانة إلى أن أصبح للمدن صفات دينية وتتصل بإله معين, فمدينة نيبور مركز عبادة الإله انليل سيد سومر كلها ومردوخ إله مدينة بابل... واعتبر بذلك الإله رئيس المدينة والحاكم الأول لها[5], أي أن نمو المدينة وتحولها إلى دولة ومملكة كبيرة كان يتبعه خلق مجمع إلهي يقف على رأسه إله المدينة الحاكمة, ومع مرور الزمن أخذت الصبغة الدينية تنمحي وتحل محلها الصبغة السياسية وأخذ اسم الملك محل الإله في التسمية[6].

---

(1)- ثروت عكاشة, **الفن العراقي -سومر وبابل وآشور-**, مطبعة فينيقيا, بيروت, (د.ت), ص 116 -117.

(2)- توفيق حمد عبد الجواد, **تاريخ العمارة والفنون عبر العصور الأولى**, ج1, ط2، (د.ن)، ص 178.

(3)- مؤيد سعيد وآخرون, المرجع السابق, ص 116.

(4)- طه باقر, **(معابد العراق القديم),** المرجع السابق, ص 23.

(5)- نور الدين حاطوم وآخرون, المرجع السابق, ص 165-166.

(6)- فيصل عبد ا , عيد مرعي, المرجع السابق, ص 111

ولما كان تأسيس المدينة عملا دينيا فإن تخطيطها جاء وفقا لذلك الهدف, فقد نـشأت المدينة منذ بداية العصر السومري حول المعبد الذي يعتبر المركز القيادي الديني والـدنيوي لها ونمت حوله, ثم توسعت حتى أخذت شكلا نموذجيا ليس عند السومريين والبابليين فقط بل في كامل أراضي وادي الرافدين[1], ولما كان المعبد قلب المدينة فقد كـان نقطـة انطـلاق شوارعها, فهناك الشوارع الرئيسية المنتظمة والتي ارتبطت بالمدن الدينية كبابل, وعرفـت هذه الشوارع في بابل بأسماء الآلهة, وهناك الشوارع الاحتفالية والتي ارتبطت بالاحتفـالات الدينية كاحتفال رأس السنة البابلية, منها شارع الموكب في بابل وشـارع الاحتفـالات فـي الوركاء... الخ[2], والجدير بالذكر أنه لما أعاد نبوخذ نصر بناء بابل وأسوارها اتجهت هـذه الشوارع باتجاه بوابات الأسوار الثمانية والتي حملت أسماء الآلهة وأشهرها بوابة عشتار[3].

وتضم المدينة العديد من المرافق المهمة والضرورية كان أهمها كمـا قلنـا المعبـد الزيقورة والقصور[4] التي ضمت مرافق عديدة, ومايهمنا هنا هو أنها احتوت علـى مكـان للصلاة للتعبد مثلها مثل المنازل التي عرفت غرف الصلاة حتى قبل ظهور المعبد[5], وكان الغرض من إقامة الجنائن والحدائق في كثير من الأحوال الترفيه على الآلهة أو كمـا عبـر عنها أندري أيمار في قوله: " كان يلزمهم حدائق ليسكنوا الآلهة في بيت يفُرح القلب"، ولنفس الغرض شيدت في المدن بيوت ريفية ألحقت بها ينقلون إليها الإله في بعض المواسم[6]، كما وجدت أبنية إدارية غير أبنية المعابد في بعض المدن، اتخذ منها مجلس الكهنة مكانا لإجراء الشعائر الدينية ومكانا للاجتماع، وقد عثرعلى أقدم هذه الأبنية في الطبقة الرابعة مـن دور الوركاء[7].

(1)- مؤيد سعيد وآخرون, المرجع السابق, ص 323.

(2)- نفسه, ص ص 333-335.

(3)- نفسه, ص ص 341-343.

(4)- فاضل عبد الواحد علي، (**من سومر إلى التوراة**)، المرجع السابق، ص 75.

(5)- عبد الحكيم الذنون، **(الذاكرة الأولى)**، المرجع السابق، ص 49.

(6)- أندريه أيمار, جانين أوبوايه، **الشرق واليونان القديمة**، تر: فريد م.داغر، فؤاد ج.ابوريحان، ط2، منشورات عويدات، بيروت، 1981، ص 191.

(7)- عدنان مكي البدراوي وآخرون, **المدنية الأولى بين العصر الحجري المعدني وفجر السلالات، (حضارة العراق), ج3،** المرجع السابق, ص 316.

وتشترك العمارة الدنيوية مع الدينية في احتوائهما على الزخارف والرسوم الحائطيـة التي زينت الجدران، إذ لم تختلف جل المواضيع المطروقة عن بعضها واقتصرت خاصـة على تصوير الآلهة ومشاهد تقديم القرابين لها وأداء الطقوس الدينية، إضافة إلـى تـصوير المناظر الحربية والانتصارات العسكرية ومناظر المراسم الملكية، وتعتبر الرسوم التي عثر عليها في قصر ماري (أنظر الملحق رقم16 ص 190) الأهم على الإطلاق فـي حـضارة وادي الرافدين، ويعد هذا القصر أحد عجائب الدنيا في عصره، أقيم على نمط سومري يتمثل في فناء داخلي تُحف به أفنية صغيرة تحيط بها الغرف المختلفة، وهو تخطيط أغلب قـصور هذه الحضارة[1].

وتكشف لوحات جدران قصر ماري عن تقدم التصوير في العصر البابلي القديم، ففي هذا القصر قاعة استعراض كبيرة زينت بصورة جدارية مضامينها تحمـل طابعـا دينيـا[2] ومن المشاهد الدينية التي ازدانت بها القاعة منظر ملون لتقديم القرابين، مقسم إلى عدد مـن الصفوف يصور موكبا تتقدمه شخصية هائلة الحجم يغلب على الظن أنها شخـصية الملـك الذي لم يبق غير النصف الأعلى من ثوبه المحلى بمجموعة من الـشرائط... يتبعـه قائـد الموكب الذي يقبض بيده اليسرى على عصا بيضاء، ويأتي في إثره رجل ملتح يمسك بالثور المقدم قربانا وقد ازدان طرفا قرنيه بكسوتين من الذهب أو الفضة، وتدلى على جبهته هلال من المعدن الثمين نفسه.

ويعد مشهد تنصيب ملك ماري، وثيقة فريدة في تاريخ الفن والدين ببلاد الرافدين فهو مزيج من العقليتين السامية والسومرية، ويجمع بين الكهنوتية التقليدية والانغماس في عـالم الخيال[3]، وينقسم هذا المشهد إلى جزأين: علوي وسفلي مع تزيينات هندسية وزخرفية على شكل إطار وذلك بواسطة خطوط حمراء وبيضاء، ففي القسم العلوي من الـصورة رسـمت الآلهة عشتار, وهي تمسك بإحدى قدميها العاريتين على ظهر أسد يجثم أمامها وهي تمـسك بإحدى يديها بآلة حربية وفي اليد الثانية رافعة حلقة دائرية مع صولجان أبيض والذي يمثـل

(1)- ثروت عكاشة, المرجع السابق, ص 317.

(2)- شمس الدين فارس، سلمان عيسى الخطاط، **تاريخ الفن القديم**، دار المعرفة، (د.م)، 1980، ص 64.

(3)- ثروت عكاشة, المرجع السابق, ص 320.

شعار السلطة وأمامها يقف الملك, أما الآلهة التي ترافق الملك فملابسها مخططـة بـاللونين الأبيض والأحمر، يتكرر ذلك أيضا مع آلهة أخرى رافعة يديها بحركة وكأنها تحافظ علـى الآلهة عشتار وخاف هذه الآلهة شخصية بملابس قصيرة تمثل الإله الذكر [1](أنظر الملحـق رقم17 ص 191).

واحتوت بوابة عشتار الموجودة في بابل على صور حيوانات خرافية، حيث رسـمت على البوابة ثلاثة عشر صفا منضدة تتشابك فيها الثيران والتنانين ذوات رأس الحية المقرن يتعاقب فيها حيوان أبيض وحيوان أسود (أنظر الملحق رقم18 ص 192)، ويبدو أن رسـم وتشكيل الحيوانات كان ذا مغزى ديني حسب ما ذهب إليه عبد المعطي محمد وراوية عبـد المنعم جلاس في كتابهما "الحس الجمالي وتاريخ التذوق الفني عبر العصور" بالقول:"..وكان للدين أثر كبير على الفن، فقد كان الإنسان القديم يقوم برسم الحيوانات والطيور التي يراهـا أليفة وتجاب له الحظ والسعادة، كما يرسم بعضها لما يعتقده فيها من شر وبطـش" [2]، فقـد حوت البوابة نحو 120 أسد ترمز للإلهة عشتار و575 تنينا وثورا فالأولى تـسمى "مـوش خوش" ترمز للإله مردوخ أما الثانية فترمز الى الإله أدد ، وقد رسمت بشكل فني يدعو إلى الغرابة، وتشابكت فيها أساليب التلوين وتجاوز الحقيقة المغالى فيه واللجوء إلى رموز الآلهة الحارسة مع الهندسة الدفاعية النفعية[3].

2. النحت:

يعتبر النحت من الفنون المميزة لحضارة وادي الرافدين، فن تطور عبـر عـصور تاريخية طويلة، ويمكن القول أن الدمى التي عثر عليها في القرى الزراعية الأولـى مثـل جرمو وحسونة وحلف وتل الصوان تمثل أقدم المحاولات في هذا المجال، وقد حاول فنـان هذه العصور القديمة التأكيد على أهمية المعتقدات الخاصة بالخصب والإنماء، مـن خـلال صنع دمى تمثل نسوة حبالى لهن أثدية كبيرة وأجسام كبيرة ممتلئة وأرداف كبيرة[4]، ومـع

---

(1)- شمس الدين فارس، سلمان عيسى الخطاط، المرجع السابق، ص 64.

(2)- عبد المعطي محمد، راوية عبد المنعم جلاس، **الحس الجمالي وتاريخ التذوق الفني عبر العصور**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003، ص 13.

(3)- أندريه أيمار, جانين أوبوايه، المرجع السابق, ص 198.

(4)- فاضل عبد الواحد علي, **(من سومر إلى التوراة),** المرجع السابق**،** ص 68**.**

التطور الحاصل ظهر نوع ثان من النحت هو النحت البارز الذي تأثر هو الآخر بالمعتقدات الدينية.

أ. النحت المجسم:

ارتبطت أغلب المنحوتات منذ عصر فجر السلالات السومرية بالآلهة وتمثيل مشاهد الآلهة من قبل الكاهن المتعبد[1]، وترينا الكتابات التي نقشت على التماثيل أن أكثرها يمثل عابدي الإله الذي في معبده، ويوضع في المعبد لتذكير الإله بعابده[2]، ويؤكد صبحي الشاروني هذا الرأي عند مقارنته بين مواضيع التماثيل في وادي الرافدين ومصر وذلك في قوله: "أن عقيدة البعث كانت محور عقائد المصريين القدماء وهي الدافع الرئيسي إلى ظهور فنونهم الجميلة، بينما انشغل سكان وادي الرافدين بفكرة الخلود في الأرض، فهذا الاختلاف الواضح في الفكر الديني كان له أثره الفعال على الشكل الفني. بالإضافة إلى اتخاذ تماثيل الفراعنة القوة والجبروت كما هو الحال في تمثال الملك خفرع نتيجة لتقديس المصريين لملوكهم باعتبارهم أبناء الآلهة، بينما اتخذت تماثيل ملوك ما بين النهرين وضع المتعبد الخاشع الذي يلتمس عون الإله"[3].

ونظرا لأن التماثيل كانت تقام من أجل غرض ديني فقد غالى الفنان في سومر وبابل في إبراز الاهتمام الشديد في ملامح التمثال وبالغ في حجم العيون, ولذا اضطر إلى جعل نسبة الوجه إلى الرأس أكبر بما ينبغي، ولم يلجأ الفنان إلى ما لجأ إليه الفنان المصري من عمل دعامة يستند إليها التمثال أو عدم تفريغ ما بين الساقين حتى تحتملان ثقله ولا تتعرض للكسر بل لجأ إلى جعل هذين الساقين على درجة من الضخامة لا تتناسب مع حجم التمثال وخاصة عند العقبين، كذلك لم يوفق في إبراز تقاطيع الجسم كالمصري، ولم يهتم بالزي الذي

(1)- شمس الدين فارس، سلمان عيسى الخطاط، المرجع السابق، ص 51.

(2)- جورج حداد، المرجع السابق، ص 93.

(3)- صبحي الشاروني، **فن النحت في مصر القديمة وبلاد ما بين النهرين**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1993، ص 07.

يلبس للتمثال، غير أنه بلغ مرتبة عالية في إتقان تماثيل الحيوانات[1]عكس تماثيل الآلهة التي كان مقيدا في نحتها[2].

نفهم من ذلك أن أجزاء الجسم المنحوت كان للعوامل الدينية فيه أثر بالغ، ويتضح هذا الطرح جليا عند نعمت إسماعيل علام في معرض حديثه عن النحت المجسم عند السومريين بقوله: "وبما أن الإله كان يعتبر سيد المدينة الحقيقي، وتأخذ معابده المكـان الرئيـسي فـي المدينة لذا يرجح أن الغرض من نحت هذه التماثيل كان دينيا فقط. وأنها صنعت لتوضع في ساحة المعبد مع تمثال الإله لتؤدي فروض العبادة في حالة تغيب صاحبها عن المعبد، لـذلك يلاحظ أن الجسم مشدود لا حركة فيه، كما تشترك الوجوه كلها في نظرة ساذجة بها بـساطة وابتهال للإله بأعين مستديرة واسعة الحدقة مبالغ في حجمها. ومما ساعد على التعبير عـن شدة الانتباه امتلاء الأعين بالأحجار الملونة.."[3]، إضافة إلى ذلك فقد عمد السومريون إلـى نحت تماثيل صغيرة بهدف دفنها مع الموتى، ويمكن اعتبارها تعاويذ تساعد علـى حمايـة الميت من الأذى[4].

وقد استخدم فنانو سومر وبابل مختلف المواد في النحت بنوعيه المجسم والبارز، غير أن الحجارة كانت المادة الأكثر استعمال بالرغم من افتقار المناطق الجنوبية لها، وهو ما أثر سلبا على النحت في بعض الأحيان. يقول صبحي الشاروني: "أما سومر فالكتـل الـصغيرة التي تُحمل تكون أغلالا تعوق الفنان وتمنعه من ممارسة حريته الفنية علـى الوجـه الـذي يرجوه"[5].

ويبدو أن استخدام الحجارة دون غيرها من المواد كان ذا بعد ديني، ويتحدث أنطوان مورتكات عن سبب تفضيل الملك جوديا لحجر الديورايت في صنع أحد تماثيله: "فهذا التمثال لم يصنع من الفضة، ولا من حجر اللازورد ولا من النحاس، ولا من الرصاص، ولا مـن البرونز أيضا، ولكنه صنع من الديورايت. ذلك أن الديورايت بالنسبة إلى جوديا يختلف عنه

(1)- أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 259.
(2)- طه باقر, (**مقدمة في تاريخ الحضارات**), المرجع السابق, ص 484.
(3)- نعمت إسماعيل علام، **فنون الشرق الأوسط والعالم القديم**، ط6، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص 146.
(4)- خزعل الماجدي، (**متون سومر**)، المرجع السابق، ص 328.
(5)- صبحي الشاروني، المرجع السابق، ص 103.

بالنسبة إلى مانشتوسو، أي أنه وسيلة لكي يظهر بها أنه حتى أقسى هذه المـواد يمكـن أن تستخدم للتعبير عن الحركة، وذلك هو المفهوم الذي هيمن على الفن بأجمعه في ذلك الوقـت أي أنه أصبح الآن رمزا توفره الطبيعة ليمثل كل شيء ثابت، وليكون مثال الأزل في الخلق ورمزا للروح السومرية منذ عهد سلالة أور الأولى, والذي كان أمراء لكـش فـي أعقـاب سقوط الإمبراطورية الأكدية يرغبون في أن يتبنوه..."[1].

ولما كان الفن في خدمة المعتقد الديني فقد خلفت معابد السومريين والبـابليين مئـات التماثيل، منها تماثيل حجرية من عهد ميسيليم، وهي تماثيل تمثل التدرج الكهنـوتي-تماثيـل نذرية- الذي يبدأ من صغار الكهنة حتى يصل إلى الكاهن الأكبر فالأمراء (أنظـر الملحـق رقم19 ص 193)، ولقد وجدت هذه التماثيل الشخصية في عديد من المناطق السومرية ولكن لم يحدث أن عثر عليها بمثل هذه الكميات التي وجدت بمنطقة ديالى وتل أسمر وخفاجي وتل أجرب، وهناك أيضا تمثالان حسب ثروت عكاشة لملك أشنوناك وزوجته واقفان في وضـع صلاة وابتهال إلى الإله كي يهب الأرض الخصب..[2].

غير أن التطور في الفنون وبخاصة فن النحت عرف أوج تطور له في عصر جوديا إذ يعتبر عصره بحق العصر الذهبي للفن السومري، فقد عثر على ثلاثـين تمثـال لجوديـا منحوتة من حجر الديورايت الأسود وكل هذه التماثيل الواقف منها والجالس تمثل الحاكم في مظهر الولاء أمام الإله[3](أنظر الملحق رقم20 ص 194)، وقد عبر ثروت عكاشة عن ذلك بقوله: "وقد ازدهر النحت كذلك في عصر السومريين الجدد وتميزت به لكش التي أصبحت رائدة للنحت كما وكيفا خلال قرن كامل من الزمن، ويرجع ذلك إلى رجل واحد هو جوديـا الغريب الذي نحوا من خمسة عشر عاما يرفض حمل لقب الملك مكتفيـا بلقـب أنـسي أي الكاهن الذي يلي الملك في منصبه ويتولى المهام السياسية والدينية معا. وقد جعـل جوديـا [أوكودا] من مدينته منتجعا ثقافيا فريدا وملأ قصورها ومعابدها ومرافقها العامـة بـالتحف الفنية, وخاصة بتماثيله التي تعد أروع مجموعة نحتت بإشراف رجل واحـد وفـي مدينـة

(1)- أنطوان مورتكات, **(الفن في العراق القديم),** المرجع السابق, ص 206.

(2)- ثروت عكاشة, المرجع السابق, ص 169.

(3)- نعمت إسماعيل علام، المرجع السابق، ص 167.

واحدة، وكان جوديا حريصا على أن يصور في الكثرة من تماثيله واقفا ومضموم اليدين في جميعها، ماثلا بين الآلهة في تواضع المواطنين البسطاء وإن بدا واثقا الثقة كلها مرتديا ثيابا كثيبان الرهبان، تكشف عن الكتف والذراع، ونحتت اليدان ممشوقتين وأظافر أصابعهما أدق ما تكون على حين نحتت القدمان في غلاظ ملحوظ "[1].

ولم يختلف النحت المجسم عند البابليين في موضوعاته وأهدافه عما سبق، فقد وجدت العديد من التماثيل التي تدل على ذلك، منها تمثال متعبد ارتفاعه حوالي عشرون سـنتيمترا (أنظر الملحق رقم21 ص195)، وهو عبارة عن صورة شخص راكع أمام إله يجلس علـى العرش، وتدل الكتابة المنقوشة عليه بأن التمثال أهدي إلى الإله أمورو من شـخص يـدعى أويل-ننار (Awil-Nannar) تكريما لحياة حمورابي ولحياته الخاصة[2]... أما النموذج الثاني من هذا العصر فهو لإلهة مثلت على شكل امرأة بالحجم الطبيعي ذات رداء مهـدب وتـاج بسيط ذي قرون عثر عليه في قصر ماري وهو مؤلف من عدة قطع، ويرمز هذا التمثال إلى المصدر الذي ينبع منه الماء ألا وهي الآلهة، إذ نجد الآلهة تحمل نافورة مـاء تتـدفق مـن زهرية فوارة تمسك بها أمامها بيديها الاثنتين، متصلة بقناة مثقوبة في داخل جـسم التمثـال ويبدو أن التمثال يمثل تحولا إلى تجسيم آلهة الماء التي كانت تؤلف عنصرا مهما في الرسم الجداري الذي عرف في قصر زمريليم....[3]. (أنظر الملحق رقم22 ص196).

ب. النحت البارز:

سار النحت البارز-النحت الناتئ - مع النوع السابق من النحت في خط واحد وهـو خدمة الدين واقتصار أغلب صوره على مشاهد العبادة وأداء الطقـوس الدينيـة أو تمثيـل حوادث الأساطير، وفي ذلك يقول أندري أيمار: "وأرادوا من جراء نقـش شـخص مـا أن يؤمنوا أطول مدة ممكنة حضوره حيثما وضع – ولاشك في مكان مقدس - حتـى تحرسـه الآلهة، كما أنهم توخوا من نقش مشهد الذبيحة والعبادة والتقدمة والمعركة المظفرة أو القنص الموفق إحياء ذكرى هذه الأفعال أو تأمين استمرار هـذه الأعمـال التقويـة والمجيـدة، أو

(1)- ثروت عكاشة، المرجع السابق، ص 284-285.

(2)-أنطوان مورتكات, (**الفن في العراق القديم**), المرجع السابق, ص 276

(3)- نفسه, ص 272.

بالأحرى استمرار العطف الإلهي الذي كان نتيجة الأعمال الأولى وسبب الأخرى. وهكذا فإن الإنتاج الفني وقد لازمته الأدعية والصلوات، لا بل غدا هو دعاء وصـلاة، حـاذى حـدود السحر وتعداها غالبا"[1].

ويعتبر الإناء النذري المكتشف بالوركاء في النصف الثاني من الألـف الرابـع ق.م أولى الأشكال النموذجية عن النحت البارز، وتوضح مضامين موضوعاته المنحوتة العلاقة بين المزارعين والآلهة أو بين المزارعين والكهنة[2]، وقد نحت هذا الإناء في أربعة صفوف تحمل صورا من الطقوس الدينية السومرية، ففي أعلاه نجد صورة لحزمتين مـن القـصب ترمزان لعبادة الربة آن-نين ربة السماء تحددان مدخل المعبد حيث نجد صـفا ممتـدا مـن حاملي القرابين، وليسوا غير نفر من رجال عراة يحملون سلالا ملأى بالفاكهـة والخـضر يتقدمهم رجل ذو شأن، لعله رئيس المدينة أو كبير الكهنة، وقد خفت لاستقباله مـن داخـل المعبد سيدة قد تكون الربة إنين نفسها أو كبيرة الكاهنات، ومن ورائها الهبـات والقـرابين وصور المذبح على شكل مدرج يحمله كبشان وقد اعتلاه شخصان أحدهما وراء الآخر، وفي أسفل الوعاء جموع من الحيوانات الأليفة تسير على حافة حقل معشب، ويمكن القول أن هذا الوعاء يرشدنا بالأسلوب الأول الذي اتخذه الإنسان القديم في التقرب إلى الآلهة بقرابين مـن ثمار الأرض ونتاج البهائم[3](أنظر الملحق رقم23 ص197).

ومن الأشكال الرئيسية التي ظهر بها النحت البارز المسلات التي يزيد ارتفاعها على ثلاثة أمتار، والتي أقيم أكثرها في المعابد، ويوضح لنا أنطوان مورتكات ذلك فـي وصـفه مسلات العصر السومري الحديث وارتباط مواضيعها بالمعتقدات الدينية بالقول: "أصـبحت المسلة بعد التمثال المجسم لدى الأمراء والملوك في عصر الانبعاث هي الأداة التـي كـانوا يستطيعون أن يصوروا عليها في صيغة تصويرية مستمرة إلتماسهم لإطالة الحياة وتقـديمها للآلهة؛ ذلك أن المسلة كالتمثال- وهي الوسيلة لمثل هذا العمل الديني- قد منحـت اسـمها الخاص بها. فإذا كان التأكيد الرئيس في تمثال مجسم ينصب علـى الـصلاة والأزل فـإن

(1)- أندريه أيمار, جانين أوبوايه، المرجع السابق, ص 192.

(2)- وليد الجادر وآخرون، **النحت في عصر فجر السلالات، (حضارة العراق)، ج4،** المرجع السابق، ص 18.

(3)- ثروت عكاشة، المرجع السابق، ص 118.

الموضوع الرئيس للمسلة كان في الأخرى عرضا مصورا للصلوات المقدمة إلى الآلهة..."[1].

ونفهم من قول مورتكات أن الملوك السومريين هدفوا من هذه الأعمال التقرب إلى الآلهة، ومن أقدم الأعمال التي عنيت بهذا الموضوع ما يعرف بمسلة النسور أو العقبان التي تعود للأمير السومري اياناتم – في حدود 2500 ق.م - وهي من الحجر الرملي وقد نفذت عليها مشاهد تخليد إحدى الانتصارات الحربية بطريقة النحت البارز، ويوجد على الوجه الأول من المسلة ثلاثة حقول الواحد منها فوق الآخر[2]، ففي الشريط العلوي نرى القائد يسير على رأس صف من حملة الرماح المدرعين فوق أبدان الأعداء اللذين كانوا قد سقطوا صرعى، وتحت القمة المحدبة من المسلة نرى الأجسام وقد نهشتها العقبان كما نرى القائد في الشريط السفلي وهو في عربته عائدا من المعركة منتصرا ومن ورائه رجاله، في حين نراه في الشريط الذي تحت هذا يحضر حفلا لسكب الماء المقدس وتقديم القرابين.

أما الوجه الثاني والذي احتوى الموضوع الرئيسي فيبين الإله "ننكرسو" في صفة فاتح يرتدي ملابس على غرار الملوك ذي شعر ولحية طويلتين، وهو يمسك بيده اليسرى الأعداء كالسمك في الشبكة، وللشبكة جامع صيغ على شكل النسر الذي له رأس أسد وهو يعتلي أسدين - وهو رمز الموت - ويضرب الإله رأس العدو بالصولجان[3].

والشيء الذي يمكن استنتاجه من هذه اللوحة أنها تعبر بصورة واضحة عن الاعتقاد الديني لدى السومريين بأن النصر مرهون بإرادة الآلهة، وأنها هي التي تحققه وتمنحه لمن تشاء من الحكام والملوك، فانتصار جند اياناتم ما كان ليتحقق لو لا أن إله مدينة لكش شارك في المعركة، ولذلك تحتل صورته جزءا كبيرا على الوجه الثاني من المسلة[4](أنظر الملحق رقم24 ص 198).

(1)- أنطوان مورتكات، (**الفن في العراق القديم**)، المرجع السابق، ص 223-224.

(2)- فاضل عبد الواحد علي، (**من سومر إلى التوراة**)، المرجع السابق، ص 69.

(3)- شمس الدين فارس، عيسى الخطاط، المرجع السابق، ص45. أنظر كذلك: عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 401.

(4)- فاضل عبد الواحد علي، (**من سومر إلى التوراة**)، المرجع السابق، ص 69-70.

ومن أهم المنحوتات البارزة التي تعود لسلالة أور الثالثة قطعة كبيرة تصور مشهد ديني يمثل الملك أورنامو وهو يقدم سكب الماء المقدس إزاء اله القمر سين الخاص بمدينة أور، ويتسلم الملك من الآلهة الأوامر المقدسة لتشييد الصرح المدرج في أور، وقد صور المشهد بمرحلتين: فالمرحلة الأولى يشاهد فيها الإله جالسا في الحقل الأول وأمامه الملك وهو يسكب الماء المقدس ويتسلم الأوامر الإلهية من الإله لبناء معبده العالي، وفي الحقل الأسفل نشاهد الملك وقد تسلم من الإله الأوامر الإلهية ومعها أدوات البناء كالخيط والفأس والشاقول وهو يسير في طريقة لانجاز العمل[1](أنظر الملحق رقم25 ص199).

ومن خلال الأمثلة السابقة لهذا العصر يمكن القول أن السومريين الجدد قد صوروا الآلهة برفقة البشر في جميع المشاهد على نحو لم يكن معهودا من قبل، واهتموا بإبراز العلاقات بين الآلهة والبشر بعد أن أصبح الدين بين الإنسان وربه، وتضاءل دور الكهنة لا سيما بعد أن غدا الملوك شخصيات مقدسة مفوضين من قبل الآلهة لتنفيذ أوامرهم على الأرض وقد حذا السومريون حذوا الأكديين الذين ألهوا ملكهم نرام سين بوضع التاج ذي القرنين على رأسه، وحمل شولجي في حياته لقب "الإلهي" الذي منحه أهل لكش لجوديا بعد وفاته[2].

ولعل أشهر أثر وصلنا عن هذا النوع من النحت ما جاءنا من العصر البابلي القديم والمعروف بمسلة الشريعة أو مسلة حمورابي، وشهرتها لا ترجع إلى تفوقها الفني وإنما للنصوص التي وجدت مكتوبة عليها، ومسلة حمورابي الموجودة في متحف اللوفر وتنقسم إلى قسمين: الأسفل ويحتل معظم جسم المسلة ومسجل عليه الشرائع بالخط المسماري، أما الجزء العلوي فيمثل الإله الشمس جالسا وله لحية ضخمة جدا تتدلى فوق صدره، ويلبس غطاء الرأس ذا أربعة أزواج من القرون علامة على الألوهية، ويقبض بيده اليمنى على القرص والصولجان رمزا إلى آلة القياس وعصا العدل على التعقيب، ويخرج من كتفيه لهيب يرجح أنه يمثل أشعة الشمس، وأمامه يقف الملك وقفة احترام وتعبد وقد حرك ذراعيه حركة تقديس، وهو يتلقى من الإله الدستور السماوي المنقوش على اللوح، وللملك لحية

(1)- طه باقر، **(مقدمة في تاريخ الحضارات)،** المرجع السابق، ص 489-490.

(2)- ثروت عكاشة، المرجع السابق، ص 302-303.

طويلة تشبه لحية الإله، ويمثل النحات ملابس كل من الإله والملك بالأسلوب الجامد الحجري الذي لا ينم عن شيء من عضلات الجسم... كما نلاحظ التماثل المستور بين جـذع الإلـه وجسم الملك حول اليد التي تمسك بالقرص والصولجان(1).

ويصف لنا ثروت عكاشة اللوحة في قوله: "وهذه اللوحة تصوره ماثلا بين يدي الإله شمش رافعا يمناه يتلقى من إله العدالة شرائعه، وأخذ اللهيب يندلع من كتفي الإله المهيب وهو يقبض بيده على العصا والطوق محملقا في خليفته إلى البشر، وقد ساد الصفاء وعمت السكينة لهيبة الإله فيما يأمر به وما يبدو على المأمور من تسليم، ويذكرنا هذا المنظر بموسى وقد صعد الجبل لكي يتلقى من الرب ألواح الوصايا العشر"(2)، يقول عز وجل ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (3)، وجاء في سفر الخروج "[11]ويكلم الرب موسى وجهاً لِوجهٍ كما يكلم الرجلُ صاحِبه."(4). (أنظر الملحق رقم26 ص 200).

ويمكن القول أن ارتباط النحت البارز بالآلهة والفكر الديني ظل قائما حتى مع الغزو الأجنبي، ويظهر ذلك خاصة مع الكاشيين، فقد ظهر في هذا العصر مـا يعـرف بأحجـار الحدود أو كما جاء في البابلية بالكودورو، وكانت في وظيفتها عبارة عن سجلات بالأراضي والأملاك الزراعية ولاسيما الأراضي التي يقطعها الملك إلى أتباعه، وما يهمنـا هنـا أنهـا أحجار مخروطية خصص القسم الأعلى منها لتمثيل بعض الأشكال والرموز، وتتضمن فـي الغالب رموز الآلهة وفي بعض الأحايين الحيوانات المقدسة العائدة لها، فكان قرص الشمس

(1)- حسن باشا، المرجع السابق، ص 74.
(2)- ثروت عكاشة، المرجع السابق، ص 345.
(3)- سورة الأعراف، الآية 143.
(4)- سفر الخروج (33:11).

مثلا للإله شمش، والهلال رمزا للإله القمر سين والفأس والمحراث رمزين للإلـه مـردوخ والنجمة رمزا للإلهة عشتار[1](أنظر الملحق رقم27 ص 201) .

يقول ثروت عكاشة عن الكودورو الكاشي: "ولم يحدث في تـاريخ فنـون الـشرق الأدنى كلها أن استخدمت ايقونوغرافية[2] الرموز الإلهية بمثل هذه الوفرة وهذا الانتظام الذي ظهر فوق لوحات الكودورو خلال العهد الكاشي. ولم تكن ايقونوغرافية نقـوش الكـودورو تعبيرا فنيا عن الأفكار الدينية بصفة عامة بقدر ما كانت محاولة ايقونوغرافية لبلورة بعـض هذه الأفكار المتعلقة بعبادة الآلهة خلال الألف الثاني وما يترتب على هذه العبادة من أفكـار فلسفية... بل أصبح من الأهمية بمكان أيضا إيضاح الطبيعة المعقدة للآلهـة مثـل الـسمكة والماعز وتفسير مكانتها الكهنوتية في التدرج اللاهـوتي وتأثيرهـا علـى منـاطق الكـون المتعددة"[3]. وهذا ما يدل أيضا على الاستمرارية في مواضيع النحت بصفة عامة.

وللوح حمورابي ما يشابهه في العصر البابلي الحديث وهي اللوحة التذكاريـة التـي أقامها الملك نابو-ابلا ايدين لإحياء ذكرى بناء معبد شمش وهي خير شاهد على العودة إلى التقاليد الفنية القديمة بما فيها تصوير المشاهد الدينية، فقد جلس الإله شمش فـي الوضـعية نفسها التي ظهر بها في قمة لوحة قانون حمورابي، بتاجه الإلهي ذي الصفوف الأربعة مـن القرون[4]، وتمثيل مشهد الآلهة في صورة البشر بوضعيات مختلفة استمر في هذا العـصر والعلامة المميزة دائما هي غطاء الرأس على شكل مخروط أو قبعة وفوقها قرون ثور ويبدو أن عدد القرون يشير إلى مكانة الإله المقصود[5]، وبنفس اللحية الطويلـة والثـوب، وهـو ممسك أيضا بيده اليمنى بالعصا والحلقة، ويتمثل الاختلاف فـي العـرش المزخـرف مـن

(1)- فاضل عبد الواحد علي، عامر سليمان، المرجع السابق، ص 238.

(2)- الايقونوغرافية: هي قائمة الموضوعات التي تعني بها حضارة من الحضارات، أو يشغل بها عهد من العهود، أو يعالجها فنان من الفنانين ومن ثمة فهي تختلف عن قائمة المنجزات الفنية التي تشمل عدد الصور أو التماثيل أو الأعمال الفنية التي تمت خلال حضارة من الحضارات أو عهد من العهود أو بواسطة فنان معين.

أنظر: ثروت عكاشة، المرجع السابق، ص 376.

(3)- نفسه.

(4)- نفسه، ص 625.

(5)- فيصل عبد ا ، عيد مرعي، المرجع السابق، ص 110-111.

الجانبين بهيئة رجلين لهما جسم ثور، يقفان على صفوف من الطوب، كانت تحمـي قـدمي الإله في لوحة حمورابي، ويتولى الكاهن الأكبر تقديم الملك، وتتبعه الربة التي تتوسـطهما. والملاحظ أن الروح المحافظة لم تحل دون إدخال بعض الإضافات مثل القـرص المتـوهج الموضوع فوق المنضدة يشده بالحبال رجلان يبرز جذعهما من المظلة، أما التموجات أسفل خط الأرض فتذكرنا بأن الأرض تستوي فوق "الأبسو" أي كتلة المياه العذبة، التـي تغـذي الينابيع التي تضمن استمرار الحياة[1](أنظر الملحق رقم28 ص 202).

ولم يقتصر فن النحت البارز على هذه اللوحات بل برز أيضا على الأختام الاسطوانية التي يعود ظهورها إلى العصر الشبيه بالكتابي[2]، إذ تعتبر أكثر الفنون أهمية في حـضارة وادي الرافدين بصفة عامة، وذلك لسعة انتشارها، وكثرة استخدامها، وما تلقيه مـن ضـوء على الأساليب الفنية، والعقائـد الدينيـة، والأسـاطير الخرافيـة، والدراسـات التاريخيـة والحضارية[3].

ولم تختلف الأختام الاسطوانية عن الكتابة في سبب ظهورها، ذلك أنه لما أصـبحت المعابد هي صاحبة الملك وأخذت في جني المحاصيل الزراعية وتربية الماشية، بدأت الحاجة لتوثيق وضمان هذه المواد. ومن هنا بدأت صناعة حفر الأختام المنبسطة التي احتاجها المعبد أولا ليختم ممتلكاته ومحاصيله المخزونة التي تكون عادة تحت سيطرة الكهنة[4]، وكان الختم المنبسط على شكل مخروط مقطوع الطرف، وذا قاعدة بيضاوية، وقمة مـستديرة، وكـان يشمل رسوما منحوتة تمثل كائنات مقدسة أو رموزا إلهية، وكان يستعمل بهيئة حروز لغايات سحرية ودينية، واستعمل السومريون الأختام المنبسطة فترة من الزمن إلى جانـب الأختـام الاسطوانية، ثم صاروا يفضلون عليها النوع الأخير والتي ظلـت ذائعـة الاسـتعمال فـي العصور التاريخية التالية[5].

---

(1)- ثروت عكاشة، المرجع السابق، ص 625.

(2)- أحمد سوسة، **تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية المكتشفات الاثارية والمصادر التاريخية**، ج1، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1983، ص 529.

(3)- حسن باشا، المرجع السابق، ص 102.

(4)- عادل ناجي وآخرون، المرجع السابق، ص 219.

(5)- حسن باشا، المرجع السابق، ص 102.

وقد بلغ ذيوعها أن ذكر هيرودوت أنها بمثابة العصا التي يحملها كل شخص تقريبا[1]، فقد صارت هذه الأختام من المقتنيات الشخصية لكل فرد من الطبقة الراقية وبالأخص موظفي الحكومة اللذين كانوا يدونون على أختامهم علاوة على أسمائهم عبارات الإخلاص والتعظيم للملك الحاكم في ذلك الوقت، ثم تطورت هذه الأختام فصارت تنقش وتنحت عليها مختلف النقوش وأكثرها ما يتعلق بأعمال الآلهة والطقوس الدينية التي ينبغي إتباعها عند العبادة وعند تقديم القرابين[2]. يقول أندري أيمار: "كان يملك كل شخص، شرط أن يبلغ منزلة اجتماعية ما، خاتما يحل الرسم المنقوش عليه محل توقيع الفرد على المعاملات التي يكون فيها فريقا أو شاهدا. وغدا هذا الخاتم لحامله بمثابة تعويذة، إذ كما احتوى كل اسم علم على اسم آلهة ما، غدا طبيعيا من ثم أن يمثل الخاتم روحا حارسة، أو حيوان رمزيا، أو أسطورة ميثولوجية، أو مشهدا تقويا، أو طقسا يقضي على نفوذ الشياطين الشريرة، ورافقت كل هذا غالبا خطوط كتابة تشتد أو تقل وضوحا"[3].

ومن تلك الأختام واحد من اللازورد كشف عنه في الوركاء يحمل نموذجا لقارب وعليه ملاحان وإلى جانبيهما ثور يحمل مذبحا مدرجا، في أعلاه حزمتان من القصب[4](أنظر الملحق رقم29 ص 203)، وهذا ربما يعطينا فكرة عن المواضيع المحفورة على أختام عصر الوركاء، فعلى الرغم من أنها كانت تعني بالأسلوب الزخرفي ولكن مفهوم الديانة والطقوس الدينية بدأ يؤثر على فن الحفر على الأختام حيث يعرض مشاهد دينية وطقسية[5].

وقد أخذ الأسلوب الهندسي للأختام في التطور مع حلول عصر جمدة نصر، على أن مواضيع الأختام في هذا العصر هي كالعادة لها صلة بمشاهد خاصة تحمل مواد ومقتنيات المعابد بالإضافة إلى المواضيع الاعتيادية التي تعود إلى نهاية عصر الوركاء[6].

---

(1)- Hérodote, Loc.Cit, 195.

(2)- أحمد سوسة، **(تاريخ حضارة وادي الرافدين)،** المرجع السابق، ص 530.

(3)- أندريه أيمار, جانين أوبوايه، المرجع السابق, ص 198.

(4)- عادل ناجي وآخرون، المرجع السابق، ص 225.

(5)- ثروت عكاشة، المرجع السابق، ص 123.

(6)- عادل ناجي وآخرون، المرجع السابق، ص 226.

وقد كشفت التنقيبات الأثرية على أن الأختام عند السومريين تمثل تطورا لما سبقها، وفي هذا السياق يصف لنا ثروت عكاشة الأختام الأربعة عشر التي عثر عليها في كنز أور بالقول: "وتتلاقى العناصر الدينية بالإيحاءات الدينية في النقش الدقيق على الأختام الأسطوانية الأربعة عشرة الموجودة ضمن كنز أور، والتي تستمد وحيها من الحفلات والطقوس الدينية، وإن كانت لا تتضمن الآلهة في صور إنسانية، وتجتزئ بنقش كبار الكهنة وأعيان المدينة وجماهير الناس والمواكب والموائد حتى ليظن المرء أنها حفلات غير دينية"[1]، فنجد أن طبعات الأختام التي تعود إلى مؤسسي الانبعاث السومري الحديث تتمثل موضوعاتها في تقديم متعبِد إلى إله أو ملك مؤله عن طريق وسيط، وكان ذلك هو الموضوع المفضل في النحت بصفة عامة أيضا، وكان للمفهوم الأكدي القديم عن الملكية والفاتح المنتصر على الأشرار في أشكال آتنة وحيوانات متوحشة وأعداء قوميين، وهذه في الواقع الفكرة التي صورتها مسلة نرام سين أقوى تصوير، فهذا المفهوم استمر مع عصر الانبعاث وظل يسير جنبا إلى جنب مع تصوير مشهد المثول كجزء من التطور للنقش على الأختام في هذا العصر، وعلى ذلك فمن الصعب تمييز هذه الأختام عن أختام الأكديين سواء في مادة موضوعها: (معركة بطل عاري، أو الرجل الثور مع جاموسة برية أو حيوان أسطوري في شكل أسد مجنح) أو في أسلوبها[2].

وعندما نأتي إلى فن الحفر على أختام العصر البابلي القديم نشاهد نفس الفكرة في تكرار الموضوع، مع بعض الاختلافات البسيطة مثل: صور الملوك، وهو ما ذهب إليه أنطوان مورتكات في قوله: "...وقد استمر صانعو الأختام في العصر البابلي القديم على استخدام الموضوعين الرئيسيين لعصر الانبعاث، أي مناظر التقديم والعبادة سوية مع صورة الفاتح لنرام سين، وبالرغم من وجود الآلهة التي كانت تعبد، فإن الأبطال والملوك المنتصرين كانوا دوما جددا ولو أن دورة كاملة لرموز سحرية تقوم على أساس العالم الديني للكنعانيين قد استخدمت لملئ السطح المصور"[3].

(1)- ثروت عكاشة، المرجع السابق، ص 236.

(2)- شمس الدين فارس، عيسى الخطاط، المرجع السابق، ص 63-64.

(3)- أنطوان مورتكات، **(الفن في العراق القديم)**، المرجع السابق، ص 255.

ومن بين الأختام البابلية التي تصور المشاهد الدينية ختم يصور إله الشمس أوتو واقفا على جبل، ثم إله الماء، ثم إله آخر جالس داخل معبد[1]، وثمة إلهة عارية مجنحة تقف فوق جديين ملتصقي الظهر، كما ظهرت آلهة خيرة في مشاهد أخرى مثـل نقـش علـى خـاتم أسطواني يصور الحاكم أيدي-ايلوم يتقدم إلى الربة واثقا في رفقة ربة أخرى ترفـع يـديها بالشفاعة له[2].

وقد انتقل نحت الأختام إلى الكاشيين، حيث تحرر الفنان الكاشي من التقاليد البابلية ولم تحتل الرموز الإلهية إلا مساحة متواضعة، وعاد موضوع "حلقة انانا وتموز" السومري القديم إلى الظهور، وعكفوا على تجديده في مشاهد ثانوية فوق الأختام خلال فتـرة حكـم المـلك الكاشي بورا بورباش[3].

وقد تم العثور على عدد كبير من الأختام المنبسطة والاسطوانية التـي تنـسب إلـى العصر البابلي الحديث، وإن كان المختصون قد وجدوا صعوبة في التمييز بينها وبين الأختام الأشورية لتشابه الموضوعات المطروقة، وهي إما صراع بين حيوانات وبطـل ومجـنح أو غير مجنح، وإما مشاهد تعبد يقف فيها مؤمن أمام رمز ديني، على أن أهم تطـور عرفتـه الأختام في هذا العصر هو اختفاء تمثيل الآلهة الآدمية الشكل والاكتفاء بتصويرها في رموز كالهلال أو النجم أو الخنجر أو التنين، وكان يرمز لمردوخ بمعول مثلث الجوانـب، وكـان يرمز لآلهة بابل بطريقتين: إما بأداة زراعية وإما بملامح تنين ذي قرون معـروف يـسمى المشروشو[4].

3.الفنون التطبيقية:

تشمل الفنون التطبيقية القطع المصنوعة بطريقة دقيقة من المعادن كالحديد والنحـاس والذهب والفضة والأحجار والصدف والقواقع كالأواني والحلي والأسلحة والتماثيـل والآلات الموسيقية، ويعتبر الإله آيا المعروف بكونه سيد المعرفة أنه كان رمزا لمثل هذه الصناعات الخاصة بالمعادن، وكان معدن الذهب ينسب إلى الإله انليل، وكان المتخصص في صـياغة

(1)- ثروت عكاشة، المرجع السابق، ص 362.

(2)- نفسه، ص 349.

(3)- نفسه، ص 382.

(4)- نفسه، ص 628.

الذهب والفضة ويسمونه كوتيمو المأخوذ من السومرية (Ku-dim)[1]، أما الحديد فهـو مـن المعادن المهمة للصناعة، وقد ذكره السومريون بـ "آن-بار" مشيرين به إلى أن آن تعنـي السماء، وبار تعني الحديد، ويترجم الاصطلاح بمعدن السماء أو المعدن-النيـزك. وسـموه أيضا البار-كال ويراد به أن يكون المعدن المعظم[2].

ويبدو أن الهدف من صناعة أغلب هذه القطع الفنية لم يختلف عما ذُكر سـابقا، فقـد ظهرت بالأساس لخدمة الدين وشعائره، إذ اعتاد السومريون على دفن العديد مـن الأوانـي والحلي والأسلحة والتماثيل مع الميت[3]، كما وجدت العديد من هذه القطع في المعابد، وكان الغرض من الأواني لاستعمالها في الاحتفالات الدينية التي تقام في المعابد ومنها ما يستعمل لوضع البخور لطرد الأرواح الشريرة[4]، وهناك أواني النذور التي كانت تترك في الأمـاكن المقدسة وهي تحمل على جنباتها زخارف من نقوش لمناظر الآلهة[5].

وكان للحلي مفاهيم متنوعة فهي لا تقتصر على اتخاذها عنصرا من عناصر المظهر الخارجي الجمالي، بل تعدى ذلك إلى علاقاتها مع مفاهيم فكرية متشعبة بما فيها تلك المتعلقة بالأبهة والمظهر اللامع والمضيء ووصل ببعض قطع الحلي إلى حد الاعتقاد باحتوائها على قدرات أسطورية تكون فاعلة من خلال البعض من مقتنيها دون غيرهم، وكان هذا الإشـعاع الذي تتميز به القطع والذي لا يمكن اختراقه سلاحا ضد عناصر الشر ومنها الأعداء، وكان تأثير مثل هذه القطع على الآخرين مرتبطا بشخص مالكها أو حاملها دون غيره. لذلك كانت تدفن مع الميت، ويوصف مظهر المعبودة عشتار قبل أن تنزل إلى عالم الأموات بأنها كانت تتزين بزوج من الأقراط وبقطع من الأساور وحجول تزين الكاحل [6].

ومن أبرز الأمثلة على هذه القطع الفنية والتي يمكن من خلالها تأكيد ما ذُكر سـابقا وعاء أنتمينا الفضي -سمي نسبة إلى ملك لكش- الذي يعد أحد الأمثلة الرائعة للفن الزخرفي

---

(1)- وليد الجادر وآخرون، **صناعة التعدين، (حضارة العراق)، ج2**، المرجع السابق، ص 257.

(2)- نفسه، ص 254.

(3)- خزعل الماجدي، (**متون سومر)،** المرجع السابق، ص 328.

(4)- نعمت إسماعيل علام، المرجع السابق**،** ص 153-154.

(5)- ثروت عكاشة، المرجع السابق، ص 212.

(6)- وليد الجادر وآخرون، **الأزياء والأثاث، (حضارة العراق)، ج4**، المرجع السابق**،** ص ص 365-367.

في سومر في أفضل عهودها، فثمة إفريزان مصوران يحيطان بكتـف الوعـاء وأعـرض أجزائه، وتبدو في الشريط العلوي ماشية مستقلة، بينما تظهر في الشريط السفلي نسور عـدة ذات رؤوس أسود وقد إلتفت رؤوسها إلى الوراء وهي تحلق فوق الأسود والماعز[1]، ويبدو أن النسور ترمز إلى الإله ننكرسو[2].

وأحسن ما اكتشف من هذه الآثار ما وجد بالمقابر الملكية[3]، ويرجع الفضل في وجود هذه الآثار في المقابر إلى اعتقاد السومريين في حياة ما بعد الموت فحرصوا علـى تزويـد الميت بحاجاته الشخصية[4]. يقول ثروت عكاشة عن كنوز أور التي وجدت بالمقابر: "وكانت معظم المنجزات المطعمة زخارف فحسب على أدوات وأثاثات. ويعد هذا الكنز خير شـاهد على مفاهيم الحياة والموت التي تطورت خلال العهد الممهد لتاريخ الحـضارة الـسومرية، فنجد المنحوتات المجسمة في هذه المقبرة والأدوات المسطحة المشكلة من مواد ملونة جنبـا إلى جنب مع مشهد شجرة الحياة والرجل المرتدي رداء شبكي الشكل، بيد أن ذلك المشهد لم يعد إلى الظهور بمفهومه الذهني عينه في عهد ميسيليم، بل تطور إلى طبيعة تفيض حيويـة تعززها الألوان البراقة، حيث لا يظهر كبار آلهة السماوات وحدهم على شكل البشر فحسب فالحيوانات كذلك، إذ غدت الحيوانات التي كانت منذ العهد الممهد للتـاريخ ترمـز للقـوى السحرية للعالم السفلي ذات سمات بشرية، لقد انقلبت المعايير وبتنا نرى الحيوانات تحتفـل بأقدس طقوس الأسطورة العقائدية وبعيد الزواج.. فالموت ذاته يحتفل بعيد الحياة مصورا في صورة أسد، ورمز إليه ببطل لعله جلجامش..."[5].

ومن التحف التي وجدت في المقابر الملكية في أور تحفة من الذهب واللازورد تمثل موضوعا مركبا لم يهتد بعد إلى تفسير مغزاه على وجه التحديد، والتحفة تتكون من تمثـال

---

(1)- ثروت عكاشة، المرجع السابق، ص 202.

(2)- طه باقر، **(مقدمة في تاريخ الحضارات)،** المرجع السابق، ص 486.

(3)- عثر الأستاذ "ل.وولي-L.woolley" على أربعمائة وخمسين مقبرة تحت الأرض بأسقف مقوسة يخص بعضها ملوك أور. وقد عثر عليها عام 1922م وتمت أعمال التنقيب عام 1927م. أنظر: نعمت إسماعيل علام، المرجع السابق، ص 154.

(4)- نفسه.

(5)- ثروت عكاشة، المرجع السابق، ص 221-222.

كبش واقف على رجليه الخلفيتين, بينما قُيدت رجلاه الأماميتان بسلسلة من الذهب إلى شجرة ذات فرعين متماثلين. ومجموعة الكبش والشجرة مرتكزة على قاعـدة مـستطيلة مـصفحة بصفائح الفضة، ومزخرفة بالفسيفساء ذات اللون الأحمر الوردي والأبيض، ويرجح أن هـذا الموضوع له مغزاه الديني، ويعتقد أنه يمثل قصة ربما اعتبرت أصلا للإشارة الواردة فـي التوراة عن "الكبش المحشور في الأيكة"[1] (أنظر الملحق رقم30 ص 204).

ومن القطع الفنية السومرية أيضا آلات وترية خشبية وينتهي جسم الصندوق الخشبي بقمة جسم بقمة مشكلة على هيئة رأس ثور من الذهب له لحية سوداء، ويغطي سطح الجزء الأمامي لهذه الآلة زخارف من الصدف المطعم لوحدات آدمية وحيوانية مرتبة في سـطور أفقية، فنرى في السطر الأعلى البطل جلجامش يحتضن ثورين برؤوس آدمية، وتظهر فـي السطور الأخرى وحدات حيوانية تقوم بالأعمال التي يقوم بها الآدميون، ولقد تمكن الفنان من زخرفة السطح، بتثبيت الوحدات الآدمية والحيوانية التي نحتها من الـصدف فـي الـسطور الأفقية للسطح الخشبي المغطى بالغار[2](أنظر الملحق رقم31 ص 205).

وقد عثر في أور على قطعة من زهرية من الستايتيت مرصعة بأشكال مثلثة ورموز نجمية أخرى، وترجع إلى عصر السلالة الثالثة في أور، وكان جسم الزهرية علـى شـكل ثورين متدابرين يبدو رأسهما في بروز كامل، ويمثل الثور أحد الأبراج النجمية، أما الأشكال المرصعة فهي ترمز إلى شمش إله الشمس، وإلى عشتار إلهة الزهرة، وهناك أيضا الآنيـة الحجرية المرصعة بقطع من المرمر تعود إلى زمن جوديا، وعلى هذا الإناء نقش يشير إلى أنه مهدي من جوديا إلى الإله نينجيشزيدا تقربا منه لإطالة عمره، ويزينه زخرفة متقنة تحيط بالجسم كله، وتتألف من ثعابين مجدولين حول ما يشبه جذع نخلة، ويمس لسانا الثعابين حافة الإناء العليا، ويتقابل حول الشكل المجدول كائنان خرافيان مجنحان يقبض كل منهمـا علـى حربة طويلة ذات مقبض نصف دائري، وبلغ من رغبة الفنان في التمثيل المحاكي للطبيعـة أن عبر عن جلود الثعابين بواسطة الترصيع بقطع من المرمر.

(1)- حسن باشا، المرجع السابق، ص 59.

أنظر كذلك: Joseph Wiesner, **L’orient Ancien**, ed : Petite Bibliothéque Payot, Paris, (s.d), p32.

(2)- نعمت إسماعيل علام، المرجع السابق، ص 157.

وقد تواصل تطور الفنون التطبيقية بنفس الوتيرة، حيث كشفت حفائر تل سفر عن مجموعة من الأدوات النحاسية كالقدور والزهريات والأواني والسكاكين والخناجر والمرايا وغيرها، على أن أشكال هذه الأدوات وزخارفها لا تدل على ابتكار كبير في ميدان الصناعة الزخرفية، ويمكن اعتباره استمراراً لما كان[1].

4.الموسيقى:

يعتبر جل الباحثين أن موسيقى الشرق القديم ومنها موسيقى وادي الرافدين فنا بمعنى الكلمة لأن الموسيقى فيها كانت دينية مسخرة لخدمة الآلهة وعبادتها وقيام الموسيقى والغناء بدور الناقل لتضرع ودعاء الناس إلى آلهتهم لهذا كانت الآلات الموسيقية آنذاك جزءا من الأثاث الديني[2].

وقد وجدت مشاهد ووثائق دلت على معرفة السومريين للموسيقى واستمرارها مع البابليين، منها صور لرعاة الماشية وهم ينفخون في المزمار ويعزفون على الطنبور ومن حولهم قطعانهم وكلابهم، ومن بين الوثائق التي تعود إلى السومريين التي دونت في عهد الملك جوديا عام 2400 ق.م، والتي يرجع لها الفضل في إلمامنا بالكثير من الغناء الديني وقوالبه، ولم تتضمن أية وثائق أخرى سوى مشاهد منقوشة لعازفين ومغنين وحفل ومآدب ملكية[3]، ضف إلى ذلك ما جاء في سفر دانيال "10أَنْتَ أَيها الْمِلِك قَد أَصدرتَ أَمراً بِأَن كُل إِنْسانٍ يسمع صوتَ الْقَرن والناي والْعودِ والرباب والسنْطِير والْمِزمار وكُل أَنْواعِ الْعزفِ يخِر ويسجد لِتمثَال الذهبِ. 11ومن لا يخِر ويسجد فَإِنه يلْقَى فِي وسطِ أَتُون نَارٍ متقِدةٍ."[4].

والملك المقصود في الآية نبوخذ نصر، غير أنه وجدت جوقات على الأختام الأسطوانية والمنحوتات السومرية منذ عهد ميسيليم، وقد اقتصر أداء تلك الفرق الموسيقية خلال العصور السحيقة على مصاحبة الغناء دون عزف مقطوعات موسيقية مستقلة[5].

---

(1)- حسن باشا، المرجع السابق، ص ص 106-108.

(2)- صبحي أنور رشيد وآخرون، **الموسيقى، حضارة العراق، ج4،** المرجع السابق، ص 407.

(3)- ثروت عكاشة، المرجع السابق، ص 635-636.

(4)- سفر دانيال (3: 10-11).

(5)- ثروت عكاشة، المرجع السابق، ص 636.

كما تم العثور على عديد الآلات الموسيقية التي تعد أصولا لبعض الآلات الموسيقية الحديثة من ضمنها الطبل الذي له قدسية خاصة، فهو لا يدق في المعبد إلا حين يكون الإلـه ننكرسو في حالة قلق واضطراب، فعند دقه تُهدئ ضرباته العميقة من روع الإلـه وتـصر أذنيه[1]، ولما كان القمر أحد المعبودات السومرية فقد كانت الطبول تـدق لإثـارة الحـزن والنواح على القمر المخفي أيام المحاق أو الخسوف الكلي، وكان الدف في بابل أحـد الآلات النذرية ويستعمل إما لوزن إيقاع الترتيل أو الرقص أو كليهما معا، تـستخدمه الكاهنـات أو رائدات العقيدة نفسها[2]، وتعد الآلات الوترية التي وجدت بالمقابر الملكيـة فـي أور أقـدم الأمثلة على الآلات الموسيقية، وفي مقدمة تلك الآلات القيثارة الذهبية الموجودة في المتحف العراقي والتي تحمل رأس ثور الذي يرمز إلى الخصوبة أو أن هـذه القيثـارة خصـصت للاحتفال بالأعياد التي تتصل بطقوس الخصوبة(أنظر الملحق رقم31 ص205).

ويمكن القول أن ميلاد الموسيقى قد عاصر مولد الدين السومري، فهي قديمة قدمه بل هي توأم له شاركته في أداء طقوسه التي تمثل الغناء فيها ركنا رئيـسيا، وتـذكر الوثـائق السابقة - وثائق جوديا - عن اختيار موسيقي يقود فرقة للإنشاد بمعبد ننكرسو بمدينة لكـش وآخر يتولى تدريب فرقة الغناء والعزف من الرجال والنساء، وتسجل تلك الوثائق أن بعض المدارس قد ألحقت بالمعابد لتدريس النصوص الغنائية الدينية، وعثر المنقبون على مجموعة من هذه النصوص الدينية التي كانت تدرس بمعبد "بل" (إله الشمس ورب العدل والعرافـة) مما يشير إلى وجود مدارس موسيقية ملحقة بالمعابد الكبرى وهي معابد شمش بمدينة سيبار وانليل بمدينة نيبور وانين بمدينة الوركاء[3]. وكان على طلبة ورجال الموسيقى أن يتفننـوا في حفظ:

1- نصوص التراتيل والأدعية والأغاني المختلفة الداخلة في المناسبات والشعائر الدينية التي يقومون بالمشاركة في أدائها ومصاحبتها موسيقيا وغنائيا.

2- أن يحفظوا ألحان هذه التراتيل والأغاني.

(1)- ثوركليد جاكوبسن وآخرون، المرجع السابق، ص 222.

(2)- ثروت عكاشة، المرجع السابق، ص 641.

(3)- نفسه، ص ص 635-637.

3- أن يعرفوا لكل نوع من الشعائر والطقوس الدينية النص اللغوي ولحنه الخاص به.
4- أن يجيدوا العزف على أكثر من آلة موسيقية واحدة لأن ممارسة وتنفيذ الشعائر الدينيـة المتنوعة تحتاج إلى ذلك[1].

ومن خلال هذه النصوص يتضح أن أكثر الموسيقيين كانوا من الكهنة ورجال الـدين الذين يعملون في المعبد، ويقسم الكهنة الموسيقيين حسب هذه النصوص:

أ. عازف الألحان الحزينة (كالا Gala): وتدل هذه الكلمة على الكاهن الذي يعـزف ويرتـل التراتيل والنواح عند الوفاة والدفن وغير ذلك من المناسبات وتقسم هذه الوظيفة إلى ثـلاث درجات:

1. كالا ماخ (Gala-mah) وفي اللغة الأكدية كالماخو(Galmahu) : أي الكاهن العظيم ويعتبر الموسيقي الأول أو من الدرجة الأولى.
2. كالا (Gala) وبالأكدية كالو(Kalu) : أي الكاهن وهو من الدرجة الثانية.
3. كالا تور (Gala-tur) : أي الكاهن المبتدئ المتدرب، أو طالب الموسيقى.

ب. عازف الألحان السارة نار (Nar) بالأكدية ناروم (Naru): وتدل هذه الكلمة على صنف من الكهنة الذين يعزفون وينشدون في المناسبات السارة، وهم يقسمون أيـضا إلـى ثـلاث درجات:

1. نار كال (Nar-gal): أي الكاهن الكبير.
2. نار(Nar): أي الكاهن.
3. نار تور (Nar-tur): أي الكاهن الصغير.

جـ. عازف ملكي: وهم الموسيقيون الذين يعملون في بلاط الملك ويقسمون إلى قسمين: قسم مختص بالموسيقى الحزينة ويطلق عليهم (كالا لوكال Gala lugal)، وقـسم مخـتص فـي الموسيقى المفرحة السارة ويطلق عليهم (نار لوكال Nar lugal)[2].

(1)- صبحي أنور رشيد وآخرون، المرجع السابق، ص 415.

(2)- صبحي أنور رشيد، **تاريخ الآلات الموسيقية في العراق القديم**، المؤسسة التجارية للطباعة والنشر، بيروت، 1971، ص 254-255.

ومما سبق يتضح أن الموسيقى قد عايشت السومريين والبابليين حياتهم ورافقتهم في المناسبات الدينية المختلفة مثل: احتفالات عيد رأس السنة والأعياد الأخرى، الوفاة ودفن الموتى في غياب تموز ونزول الآلهة انانا إلى العالم الأسفل، ولائم الشراب، بناء المعابد وتجديدها وتدشينها، الدعاء والمديح للآلهة والملوك والثناء عليهم، وتخريب المدن ومعابدها وغير ذلك من المناسبات، بالإضافة إلى كل هذا فقد استخدموا الموسيقى في الحروب وفي النصر على الأعداء وفي تقديم القرابين بعد الانتهاء من الصيد...[1].

من العرض السابق نلاحظ أن الفن في سومر وبابل فن أصيل، ظهر على مر التاريخ وهو فن كامل له شخصيته، ثم أخذ يتطور وينمو محتفظا بطابعه، ونظرا إلى أصالته وقدمه، واستمرار الحضارة التي كان يستوحيها ظهرت فيه وحدات فنية مختلفة، هيئ لها الوقت الكافي لتنضج، ثم انتقلت إلى غيرها من الفنون، ويمكن القول أن هذا الفن صورة لا تختلف كثيرا عن فن وادي الرافدين بصفة عامة، هذا الأخير كان له نصيب كبير في تكوين كثير من الفنون التي عاصرته والتي جاءت من بعده، فن استمد صوره من تقاليد تاريخه، ومتأثرا بالحضارة التي نشأ فيها، والدين الذي اتصل به وخدمه.

فقد كانت وظيفة الدين هي تفسير الظواهر المختلفة مثل بدء الخليقة والموت ومصير العالم، كما ساهم الدين دائما في إعطاء الشرعية للنظام الاجتماعي السائد ووسيلته إلى تحقيق ذلك هي الفن، فهو الذي كون النشاط الإبداعي وخلق حالة من الوعي تنطلق وتنعكس على ظواهر الحياة البشرية كالمهن والفنون بعد أن اجتازت عدداً من المراحل السابقة وجسدت صورة الوعي بالآلهة لتتخذ شكلا بالفن، وكما أن الفن تأثر بالبيئة الجغرافية والظروف الطبيعية للمكان قد تفاعل مع الدين وكان جزء منه يعبر عنه ويخدم النظام الاجتماعي بل ويضيف أحيانا إلى المعتقدات والأفكار.

وتتضح العلاقة بين الدين والفن أيضا إضافة إلى ما جاء سابقا في تبعية الفن والفنانين للدين والحكام حسب رأي أرنولد هاوزر نقلا عن كتاب صبحي الشاروني: "إن الكهنة والحكام هم أول من استخدم الفنانين وظلوا لفترة طويلة ينفردون باستخدامهم، وكانت أهم الورشات الفنية التي يعمل بها الفنانون طوال فترة حضارة الشرق القديم تقع في المعابد

(1)-صبحي أنور رشيد، **(تاريخ الآلات الموسيقية في العراق القديم)**، المرجع السابق, ص 270.

وقصور الأمراء، في هذه الورش كان الفنانون يعملون إما بوصفهم متطوعين وإما بوصفهم موظفين مجبرين، أعني بوصفهم عمالا لديهم حرية الحركة أو بوصفهم عبيدا مدى الحياة وفي هذه الظروف أنجز أعظم وأروع قدر من الإنتاج في ذلك العصر... ويمكن أن يكون الفنانون يعملون في سلك الكهنة بسبب ما لديهم من مهارات سحرية وهي عملية التشخيص في حد ذاتها..."[1].

وعلى ذلك كله يمكن القول أن الفن والدين سارا جنبا إلى جنب منذ البداية وبقيا متحدين معا وبدون تفكك عبر تواريخ طويلة مليئةٌ بالحوادث في تاريخ السومريين والبابليين وهو ما يذهب إليه هيغل: "وكان الدين في أقدم أطواره دينا يحتل فيه الفن ومنتجاته المحسوسة مكانة بالغة الأهمية"[2]، ونفس الرأي ذهب إليه دوركايم في شرحه العلاقة بين الدين والفن بصفة عامة: "الفنون تنبع أساسا من الدين"، وكذا ما ذهب إليه لانسون: "إن كل ما تذوقه الشعب من فنون الجمال كان مصدره الدين"[3].

وخلاصة القول أن الفنون في سومر وبابل بما تتضمن من قيم ومعايير جمالية تعرضت لنزعات واتجاهات متغيرة بعضها يستمد قوامه من المعتقد الديني وبعضها يستمد أصوله من غاية نفعية أخلاقية أو متطلبات إيديولوجية أو سياسية معينة أوجدت فنون خالصة وفنون مشوبة بالتيارات والنزعات الدينية أو غيرها.

(1)- صبحي الشاروني، المرجع السابق، ص 63.

(2)- هيغل، **فكرة الجمال**، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص 26.

(3)- نقلا عن: محمد عزيز نظمي سالم، **قراءات في علم الجمال حول الإستطيقا النظرية والتطبيقية -الفن بين الدين والأخلاق**- ج1، دار المعارف، مصر، 1996، ص 10.

خاتمة

خاتمة:

لقد طبع الدين الحياة في كل من سومر وبابل بطابعه، فنجد أن ما أنتجوه من تراث أدبي وعلمي وفني يظهر عليه تأثير الدين والنظرة التاريخية العامة لشعوب وادي الرافدين ولأن التاريخ عند مؤرخ هذه الحضارة قد اكتمل في الزمان الأول القديم وأخذ شكله المثالي الذي وضعته الآلهة ليكون نموذجا للبشرية فهكذا أيضا الحال بالنسبة للأنشطة الإنسانية المختلفة من أدب وعلوم وفن. فهذه الأنشطة عبارة عن أنماط أولية فعلتها الآلهة وأصبحت بعد ذلك فعلا إنسانيا يكرر فيه الإنسان عمل الإله، ويرتبط نجاح المجهود الإنساني أو فشله بمدى قربه أو بعده من النموذج الذي وضعته الآلهة.

ومن أهم نتاج هذا الاعتقاد على بعض العلوم أن الدين قد احتواها، ولم يبدأ العلم بالانفصال عن الدين إلا عندما بدأ العلم يأخذ منحى تجريبيا مختبريا ويخضع للملاحظة الدقيقة، ولكن هذا لا يعني أن العلم وهو في أحضان الدين لم يؤد وظيفته كعلم، بل لقد أعطى ذلك التوازن بين ما هو روحي وما هو مادي صيغة نادرة الحصول بين مستلزمات متعارضة ومتوافقة في نفس الوقت، لقد كان الدين يهتم بالمجال القدسي، وكان المجال الدنيوي الذي أهمله الدين نوعا من اختصاص العلم، واستطاع العلم والدين أن يقدما صيغة للعلاقة بين القدسي والدنيوي، وحتى إن تحرر العلم من المحظورات السحرية الدينية فإن بعض الملاحظات التي أجريت من أجل الحصول على قدرة سحرية كانت أحيانا عن طريق الصدفة تقود إلى اكتشاف علمي، إضافة إلى أن الذين اختصوا بهذا المجال ربما كانوا ينشدون الثواب وهو ما نلاحظه خاصة في اهتمامهم برصد الظواهر والكواكب حيث نستشف ذلك من التذييل الذي كانوا يتركونه في نهاية كل رقم خاص بالأرصاد.

أما على الأدب والفن وغيرها من الأنشطة الفكرية فهو أن الكاتب والفنان لم يسع في أعماله الفنية والأدبية إلى الإبداع ومحاولات الخلق الأدبي أو الفني بل كرس جهده في تقليد نماذج أولية قديمة فهو مثلا يتفنن في نسخ النصوص الأدبية لأنها أشكال مقدسة، ومن ثمة فهو لا يعتني بذكر اسمه أو نسبه العمل إلى الفني أو الأدبي إلى شخصه، وقد ترتب عن هذه الرؤية أن أصبح من الصعب تمييز التطور التاريخي لهذين الأسلوبين الأدبي والفني فالموضوعات واحدة متكررة وإن اختلفت في درجة دقتها وتمثلها للنموذج الأول، وطبقا لهذه الرؤية فإن العديد من المنجزات الفكرية نشأت بسيطة وأخذت في التطور، ولأنها من صنع

خاتمة:

الآلهة حسب معتقداتهم فقد بلغت قمة الإبداع الحضاري، ومن هنا لم يسع الكاتب أو الفنان إلى خلق شخصية أدبية أو فنية مستقلة ولم يرغب في الإبداع الذاتي بل حرص على التعبير الجماعي الموضوعي، إذ تفنن في نقل ونسخ التفاصيل الأولية للعمل الأدبي دون محاولته التعديل فيه، وهو ما أدى إلى اختفاء شخصية الكاتب أو الفنان وراء الأعداد الهائلة من الأعمال الفنية والأدبية المتكررة والمتشابهة، ولكن رغم ذلك فقد عبر هذا الفن الجماعي عن حياة المجتمع وأنشطته المختلفة، ولأن حياة المجتمع الأرضي صورة من حياة مجتمع الآلهة جاء الأدب والفن معبرين عن هذه العلاقة بين مجتمع الآلهة ومجتمع البشر وعلى هذا فالتراث الأدبي والفني تراث ديني في شكله ومضمونه هدفه خدمة الآلهة.

وفي ختام هذا البحث يمكن أن نستخلص النتائج التالية:

- أن الرموز الدينية والممارسات والطقوس والشعائر هي بحد ذاتها إبداع استطاع الإنسان السومري والبابلي أن يعمل وفق هذه الآلية مع نظم وعلاقات للأشكال القديمة ومن ثم استطاع أن يعمل ضمن مفهوم الفكر في المعتقد الديني ومن ثم يصل إلى إسقاط تلك الأفكار على منجزاته الفكرية من أدب وعلوم وفنون...

- توصل البحث إلى اهتمامات ترتبط بالعديد من القيم والمؤثرات الاجتماعية والتي كان لها دور مؤثرا في إنسان بلاد وادي الرافدين بصفة عامة، حيث يرتبط الفكر مع معتقدات الإنسان في سعيه إلى ترويض الطبيعة من خلال شعائر سحرية ذات اهتمامات وفاعلية لتمثيلات فنية أبرزت قوانين الفكر في الطبيعة، ضمن تواصل روحي في مفردات الحياة الرافدينية القديمة.

- تميزت حضارة وادي الرافدين بخاصية قلما نجدها في الحضارات القديمة الأخرى، وهي الاستمرارية والتواصل في الخصائص الحضارية سواء تعلق بالديانة أو المنجزات الفكرية وإن كان هناك بعض الاختلاق فإنه يدخل ضمن مبدأ التطور، فالحضارة الأكدية التي تلت الحضارة السومرية لم تكن شيئا مغايرا، فقد كانت هذه الحضارة مستمدة من الحضارة السومرية، وذلك نظرا للفترة الزمنية الطويلة التي عاشها الأكديون تحت حكم السومريين، وكانت الحضارة البابلية نسخة طبق الأصل لما هو سومري، وهكذا...

- أن تغيير وتحوير الجوانب الفكرية كثيرا ما كان سببه المعتقد الديني، وتغير مكانة الآلهة وهو ما يمكن ملاحظته بوضوح لما أخذ الإله مردوخ المكانة الأولى بدلا من الآلهة السومرية، حيث أخذ دور البطولة في الأساطير والملاحم والمشاهد التصويرية...

- أن تراث حضارة وادي الرافدين بصفة عامة قد تميز بالقدم، تراث كان له أهمية كبيرة في تطور الحضارات البشرية والفكر الإنساني، إذ استفادت منه الشعوب التي كان لها احتكاك بمختلف الأجناس التي استوطنت وادي الرافدين سواء عن طريق الاتصالات التجارية أو الحروب، الفتوح أو الأسفار...

وصفوة القول أن الدين كان يمثل للسومريين ومن بعد البابليين مصدرا مهما للثقافة وأنه شكل وعاء الحضارة، ولم يلعب الدين الدور الكبير الذي لعبه قط في أي مجتمع قديم آخر لأن الإنسان في هذا المكان كان يشعر على الدوام بأنه يعتمد كليا في استمراره بالوجود على إرادة الآلهة، هذه الآلهة التي تجسدت في العوامل الطبيعية ذاتها (حسب عقيدة القوم) بكل مواصفاتها والتي كان يواجهها الإنسان يوميا في حقله وعمله وحياته، ويمكن تلخيص كل ما جاء في هذا البحث بمقولة لطه باقر: "وإذا أخذنا في الاعتبار بأن عصر فجر السلالات يمثل ظهور حضارة وادي الرافدين الناضجة، وأن فترة العصر البابلي الأخير كانت آخر عهودها، جاز لنا القول أنها لصدفة تاريخية عجيبة أن تكون هذه الحضارة قد ولدت وماتت في كنف الآلهة والمعبد".

الملاحق

المخططات

الكهنة

كهنة الرتبة العليا

كهنة الدرجة الاولى (الكهنة الرؤساء)

1.اينو الحبر الاعظم
2.ماخو (الرئيس).
3.شانكو (رئيس الكهنة).
4.اوريكالو (الحرس).

كهنة الدرجة الخاصة (كهنة طقوس الاسرار المقدسة)

1.بارو(العراف)*.
2.شائيلو(مفسر الاحلام)*.
3.زاكيكو.

كهنة الدرجة الثانية (الكهنة المختصون في الطقوس العامة)

1. ماشماشو (المظهر)*.
2. اشيبو (المغرم)*.
3. رامكو (المعمد).
4. باشيشو (الماسح).
5. ماري اوماني (المتدرب).
6. كالو (النادب)*.
7. نارو (المنشد).
8. زاميرو (المنشد).

كهنة الرتبة العادية

كاهنات البغاء المقدس

1. ناديتو(الراهبة).
2. قاديشتو(المقدسة).
3. بتولتو(البتول).
4. روشيكيتو(المرافقة).
5. كلماشيتو(المنذورة).
6. سال زكروم(حاجبة).
7. خاريمتو(حرمة).

الكهنة العاديون

1. سابنغو(عامة الكهنة)
2. اربي بيتي (الداخلون للمعبد)

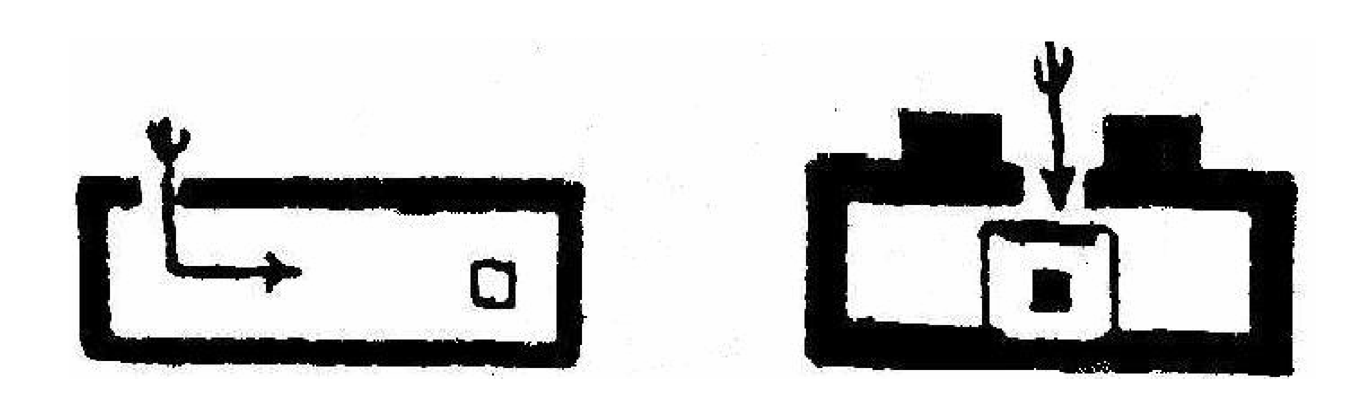
الكهنة العصيان

1. اسينو.
2. كوركارو.

*تدل هذه العلامة على دور هؤلاء الكهنة في الطب والعلاج الروحي.

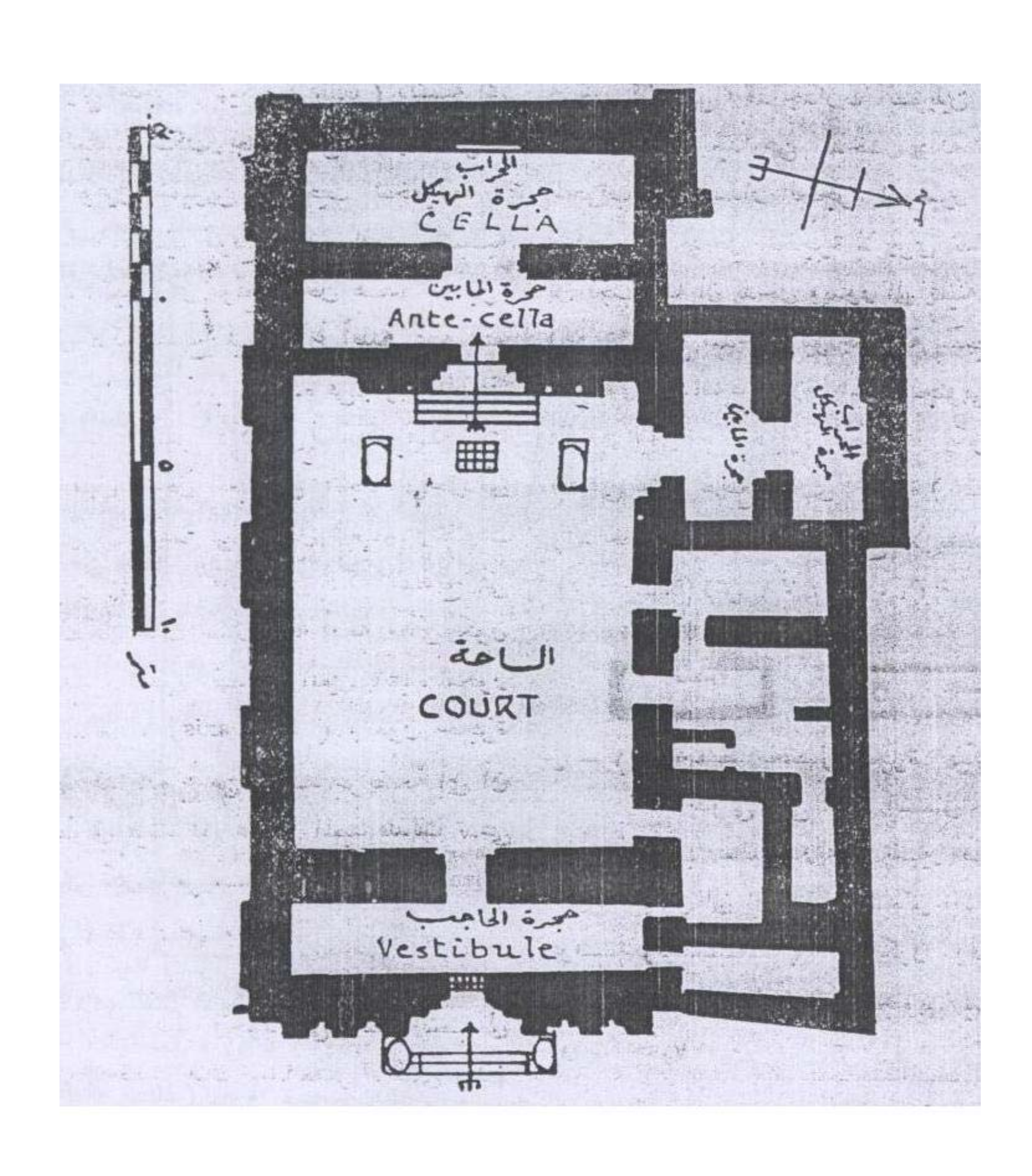
المخطط رقم(01): مراتب النظام الكهنوتي في بلاد الرافدين.

خزعل الماجدي، **بخور الآلهة**، المرجع السابق، ص 264.



المخطط رقم(02): مخطط الفرق بين المعبد الشمالي والجنوبي.

طه باقر, **(معابد العراق القديم)**, المرجع السابق, ص 21.

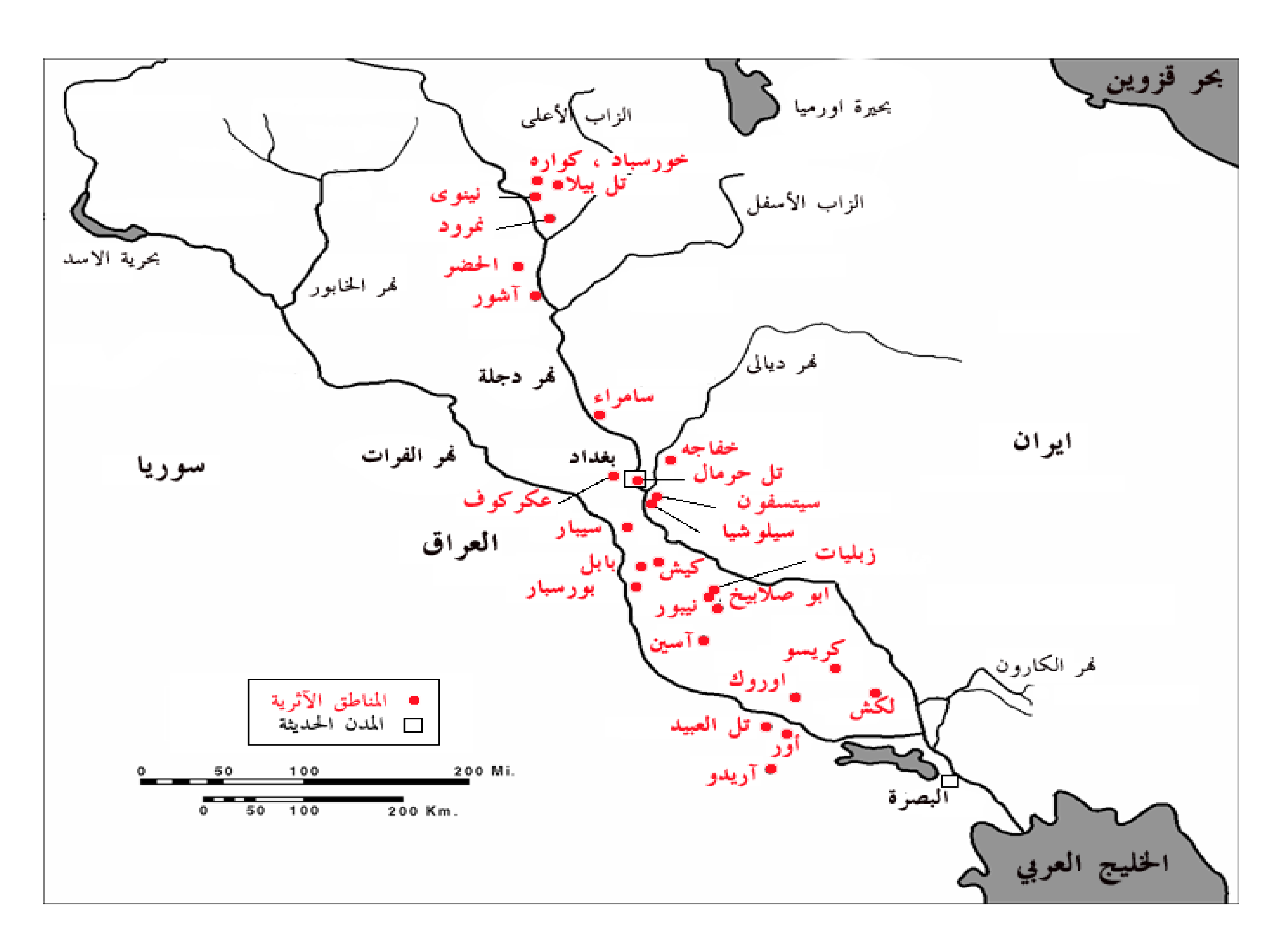


المخطط رقم(03): مخطط معبد تل حرمل

طه باقر, **(معابد العراق القديم)**, المرجع السابق, ص 22.

الخرائط والصور

الملاحق:



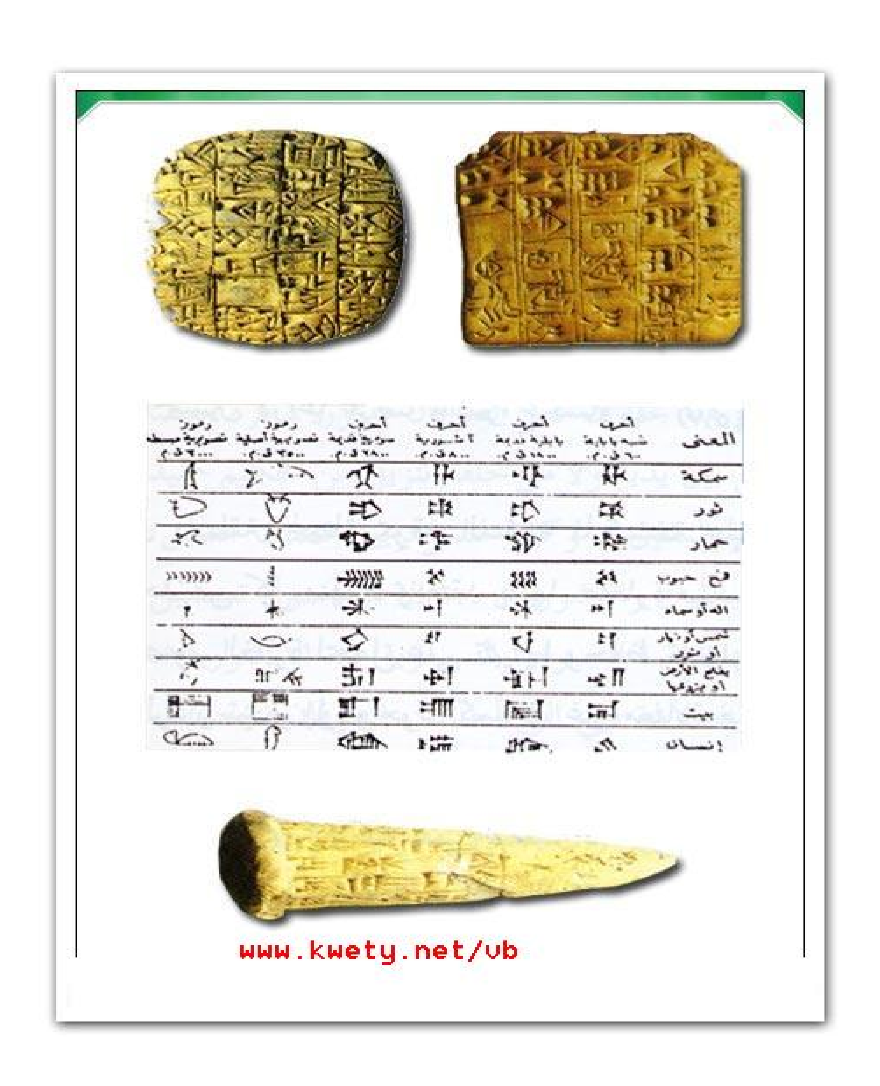
الملحق رقم(01): خريطة وادي الرافدين.

www.iraqwho.comArchaeologicalSitemeso_map_ar. gif.14 :40-15/01/2009



الملحق رقم(02): عبادة الآلهة الأم

www.mesopotamia4374.comadad2alanthafi_bestandenimage002.jpg
.14 :45- 15/01/2009.



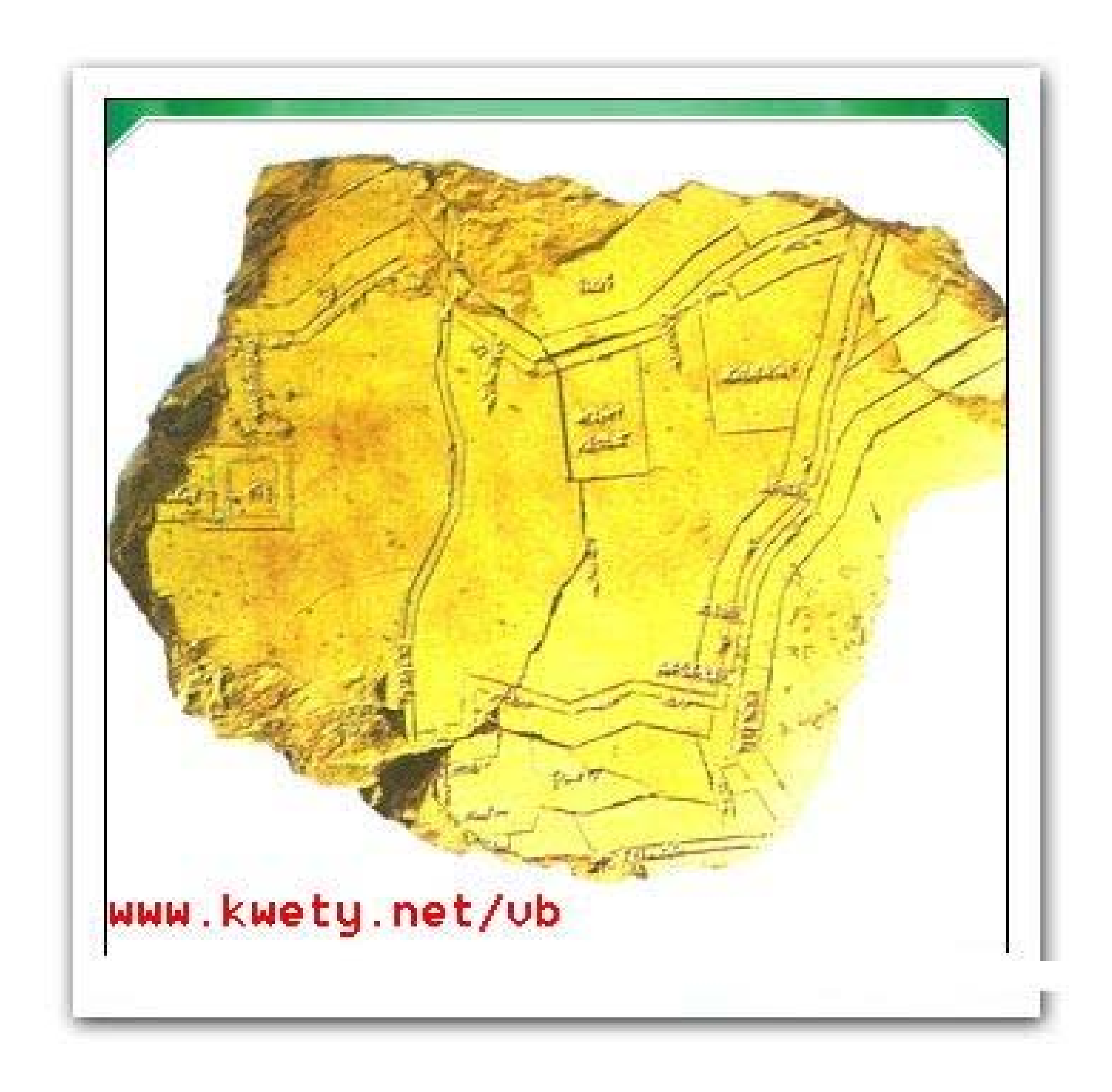
الملحق رقم(03): تطور الكتابة المسمارية.

www.lovely0smile.com2006atat-011-03.22:05-08/11/2008.



الملحق رقم (04): رقم طيني كتب عليه ملحمة جلجامش

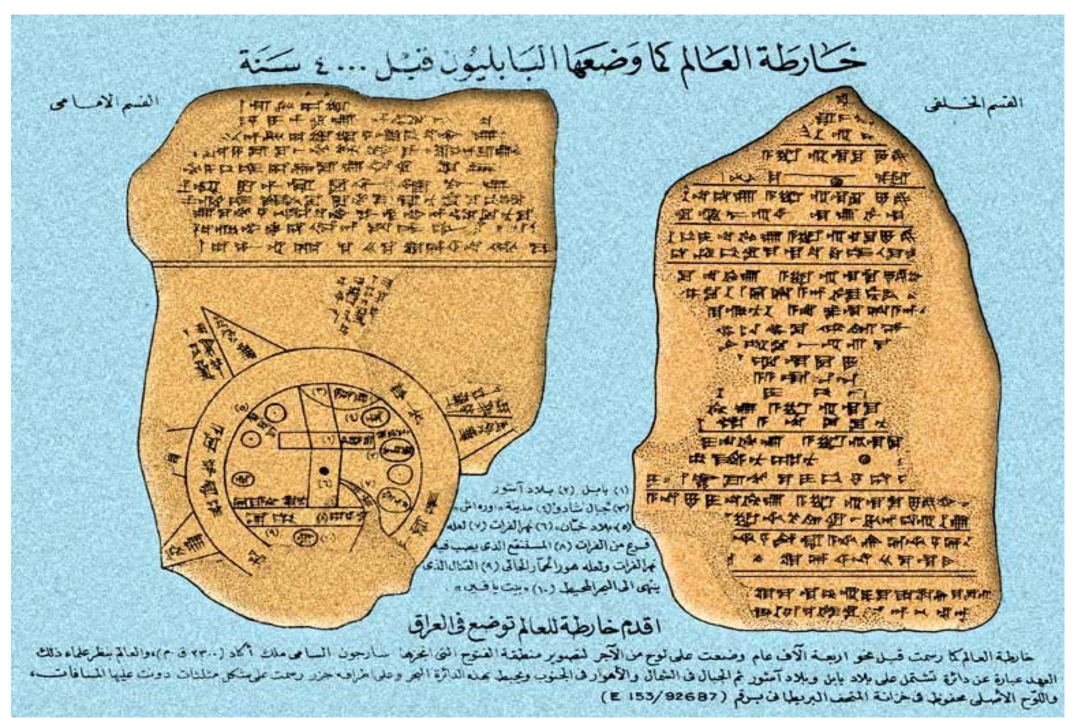
www.foibiblique.frarticlesbiblePhotostabl_gilgamesh.gif 14 :50-15/01/2009



الملحق رقم(05): خريطة مدينة نفر

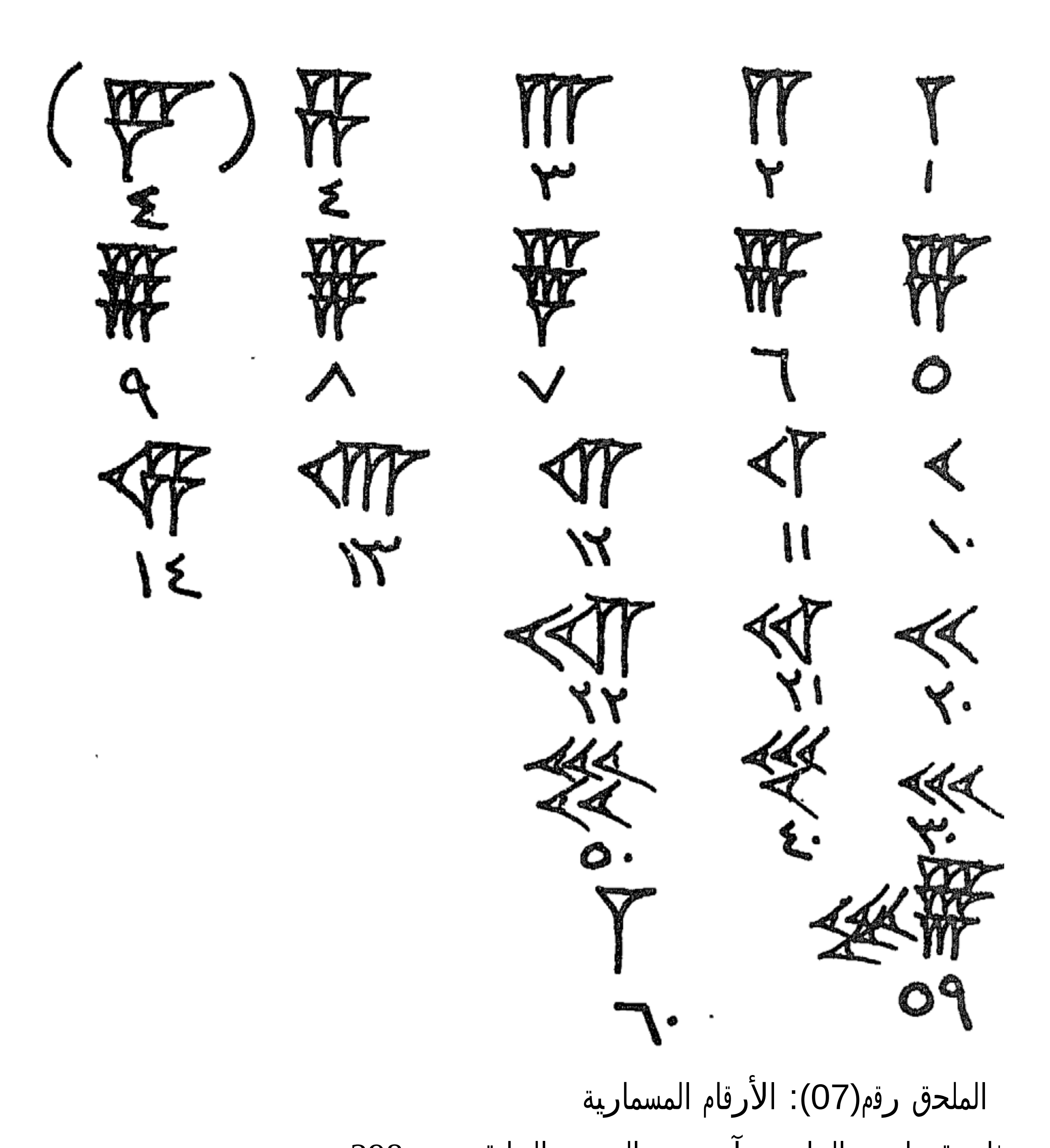
http//nadi.alkahf.comview-uploader.phpodo=get&id=1660. 22:30-08/11/2008.





الملحق رقم(06): خريطة العالم التي وضعها البابليون

www.britishmuseum.org. 22:15-08/11/2008.



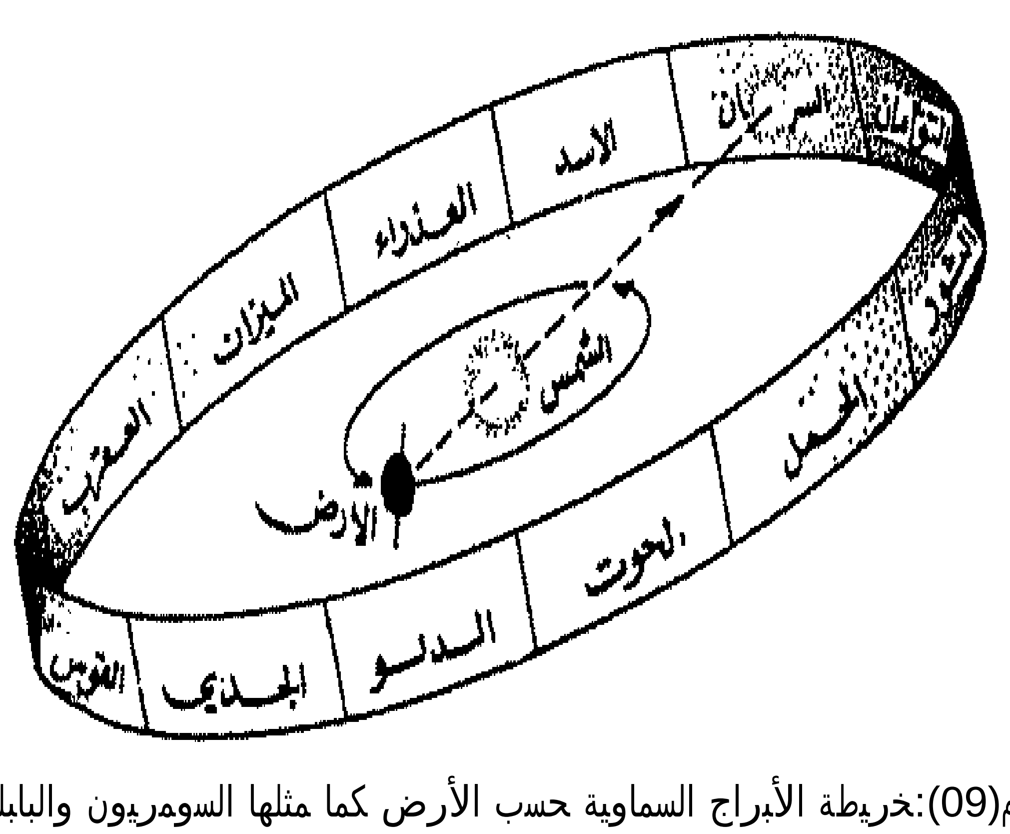
الملحق رقم(07): الأرقام المسمارية

فاروق ناصر الراوي وآخرون، المرجع السابق، ص 298.

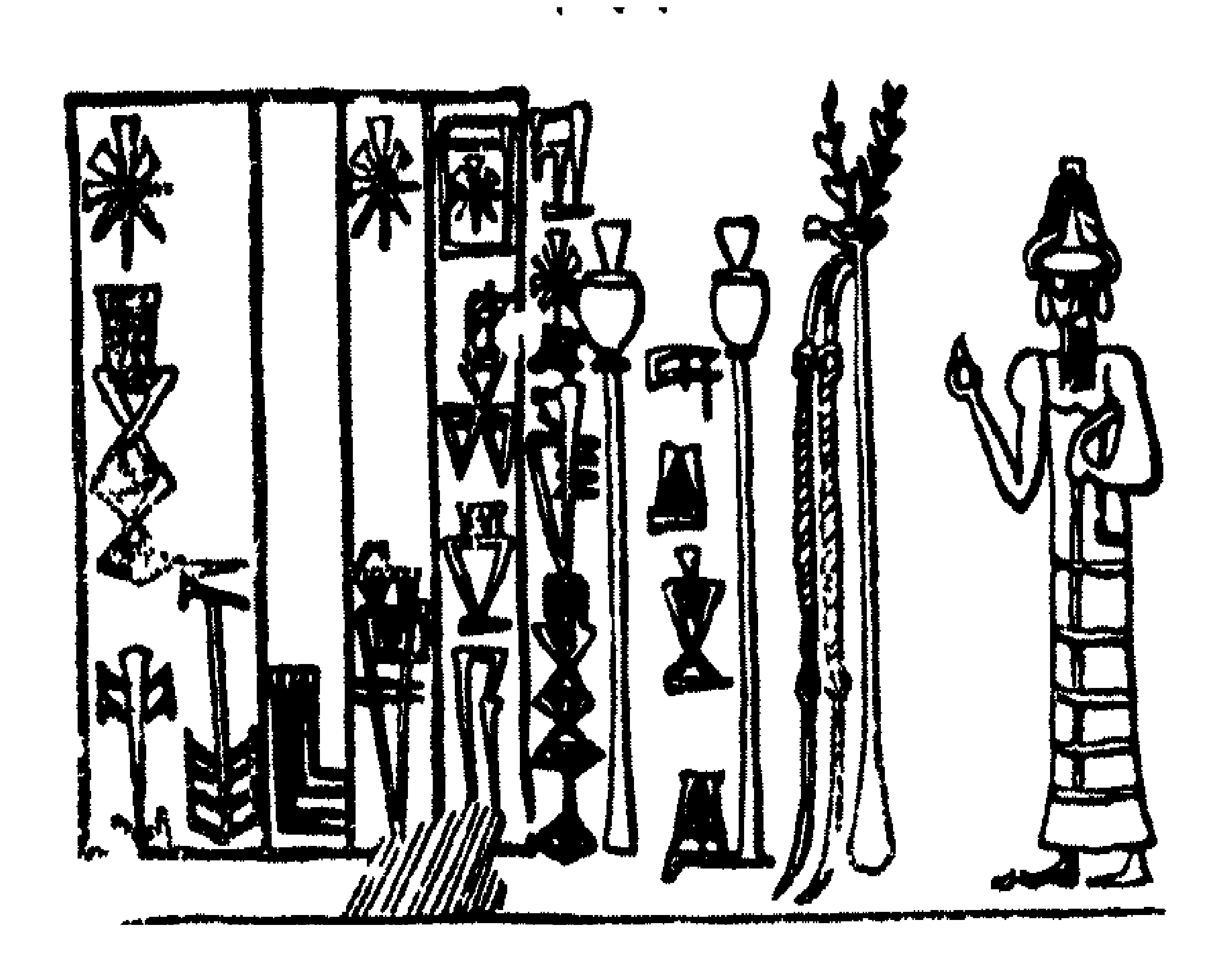


الملحق رقم(08): مثاث تل الحرمل

httpimages.encarta.msn.comxrefmediasharemedt.argetsimagesphoto04550458601.j
tn.12:20-15/01/2009.

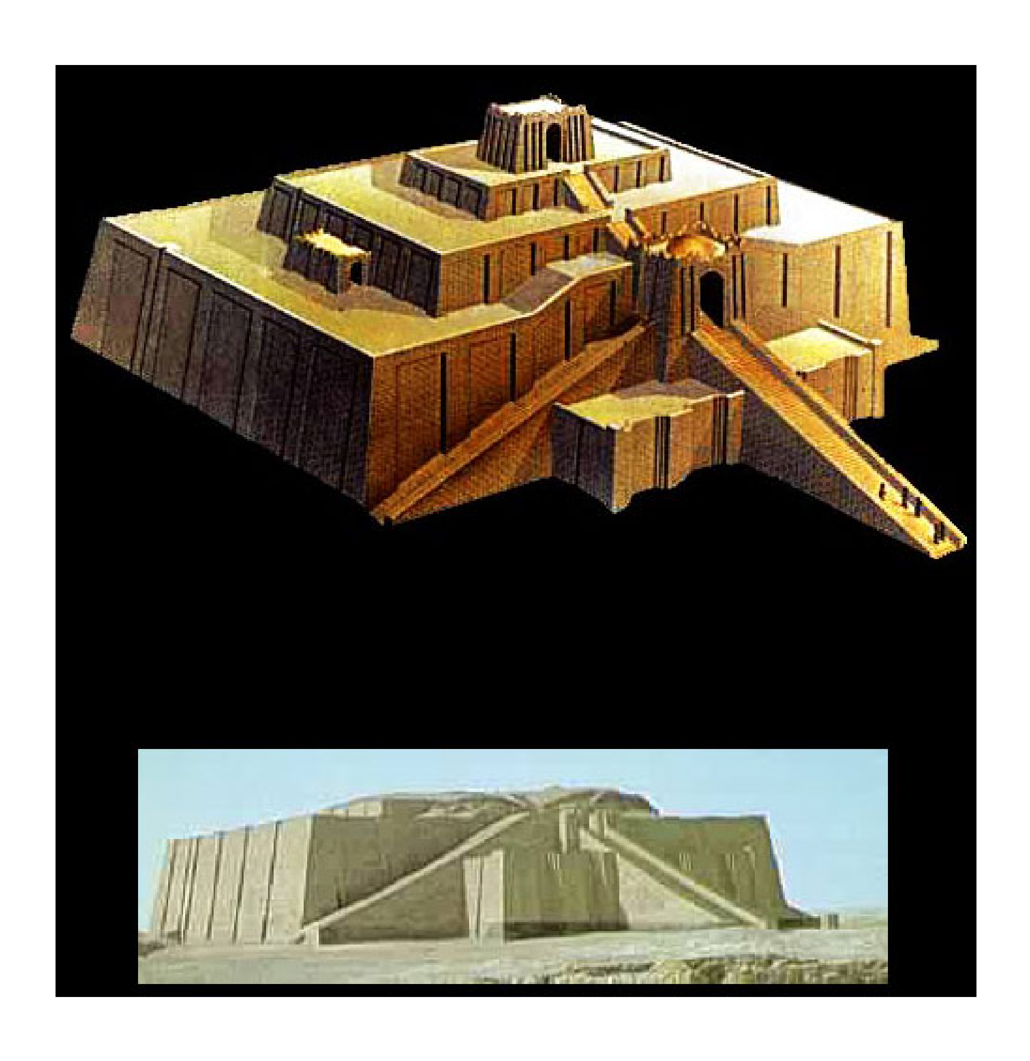


الملحق رقم(09):خريطة الأبراج السماوية حسب الأرض كما مثلها السومريون والبابليون عماد مجاهد، المرجع السابق، ص67.



الملحق رقم(10): ختم أسطواني يصور طبيب سومري.

طه باقر، (**مقدمة في تاريخ الحضارات)،** المرجع السابق، ص 369.



الملحق رقم(11): زيقورة أور

www.iranain.comhistory2005marshgutiansimageziggurat-ur-recona.22:55-08/11/2008.



الملحق رقم(12): برج بابل
www.m3mary.com.23:03-08/11/2008.



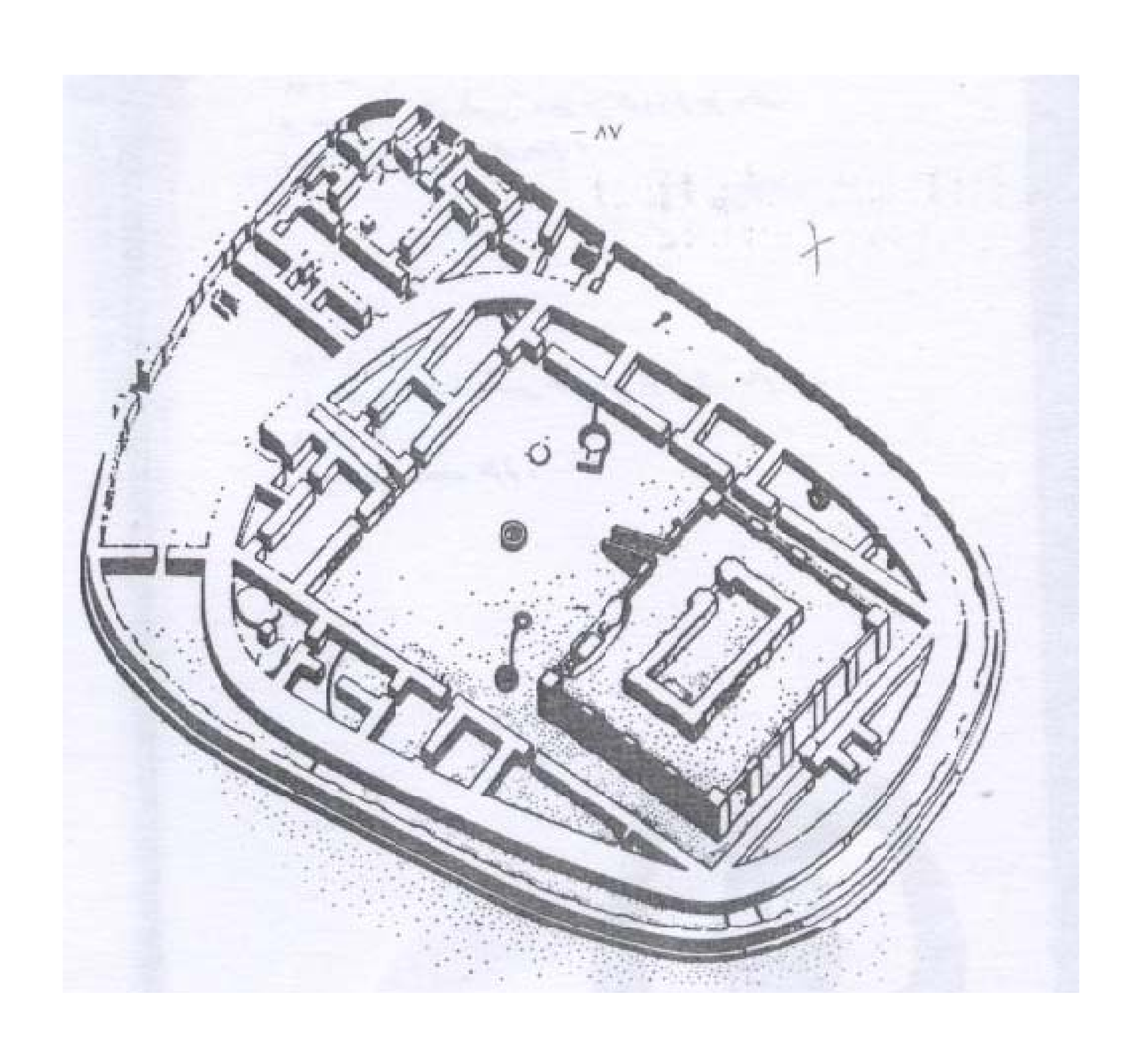
الملحق رقم**(13):** زيقورة عكركوف.

www.Ancient%20Iraqi.htm10:15-10/01/2009.



الملحق رقم**(14):** المعبد الأبيض بالوركاء.

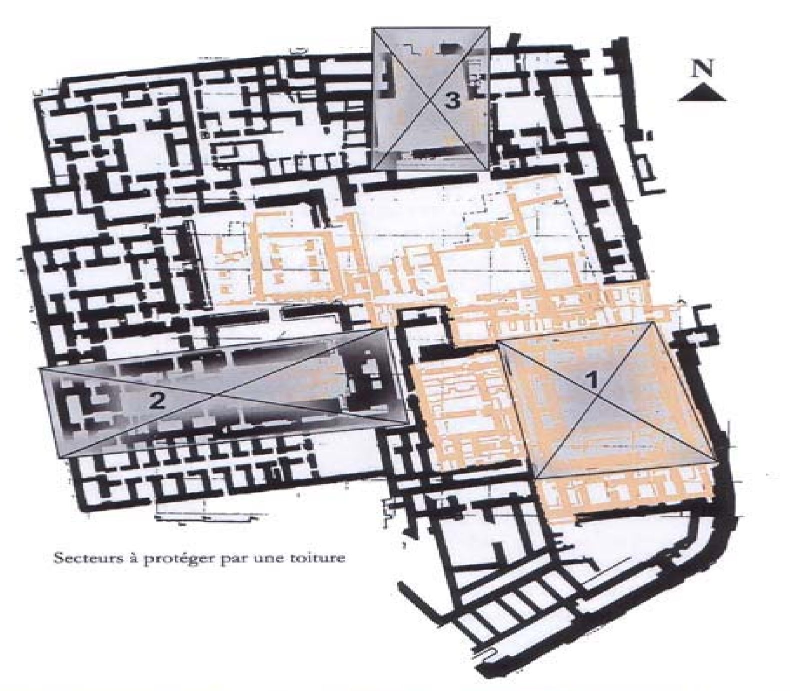
www.kemetway.comDigestimgphotoziggurat1.jpg. 20 :00-15/01/2009.



الملحق رقم**(**15**)**: المعبد البيضوي بخفاجي

ثروت عكاشة، المرجع السابق، ص 146.

GRAND PALAIS ROYAL DU IIe MILLÉNAIRE





Grand Palais Royal, vue aérienne des secteurs d'intervention.

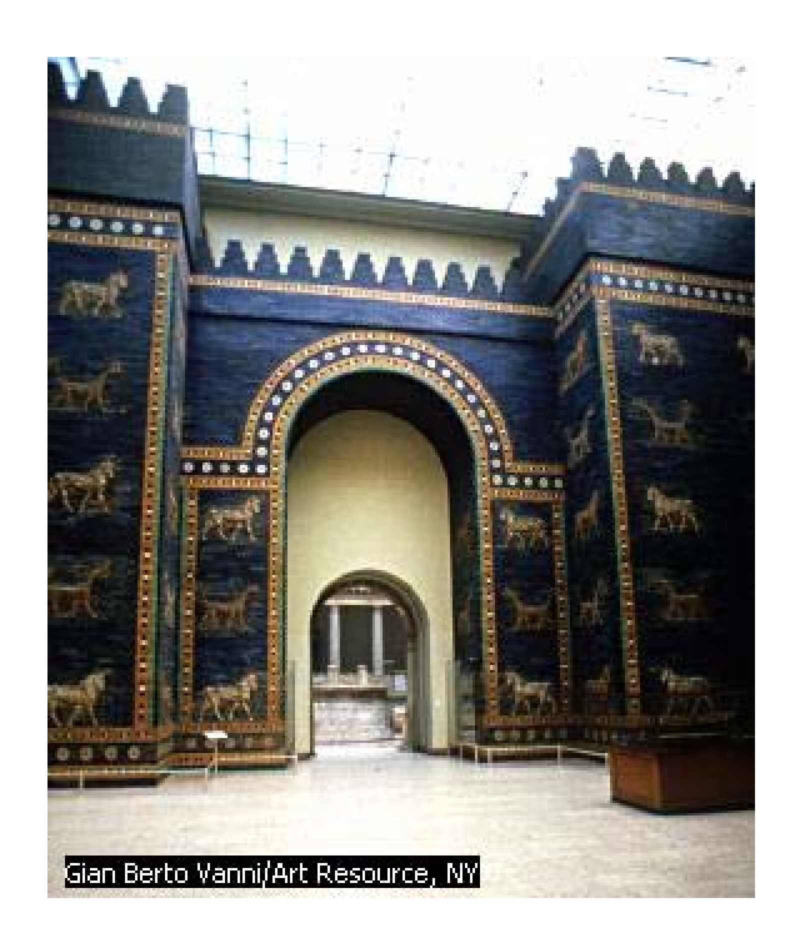
الملحق رقم(16): قصر ماري-العصر البابلي القديم-

http//dierzzor.rofnetgov.sy/images/mari.09:02-12/08/2008.



الملحق رقم (17): مشهد تنصيب ملك ماري.

ثروت عكاشة, المرجع السابق، ص 335.



الملحق رقم(18): بوابة عشتار-العصر البابلي الحديث-
www.al-sham.net/yabbse/index.php.19:30-11/01/2009.



الملحق رقم(19): تماثيل مجسمة سومرية تمثل التدرج الكهنوتي

www.jahwary.com/amj/files/hutric-iraq. 19:33-11/01/2009.



الملحق رقم(20): نحت مجسم للملك جوديا

www.alnoor.seimageesgollerygallerinnewsnews-106. 19:30- 11/01/2009.



الملحق رقم(21): المتعبد من العصر البابلي

www.antikforever.comMesopotamieAmorritesImageslarsa01b.jpg.23:20-11/12/2008.





الملحق رقم(22): نحت مجسم يمثل آلهة الماء من العصر البابلي القديم
www.arab-encif.com.19:30-11/01/2009.



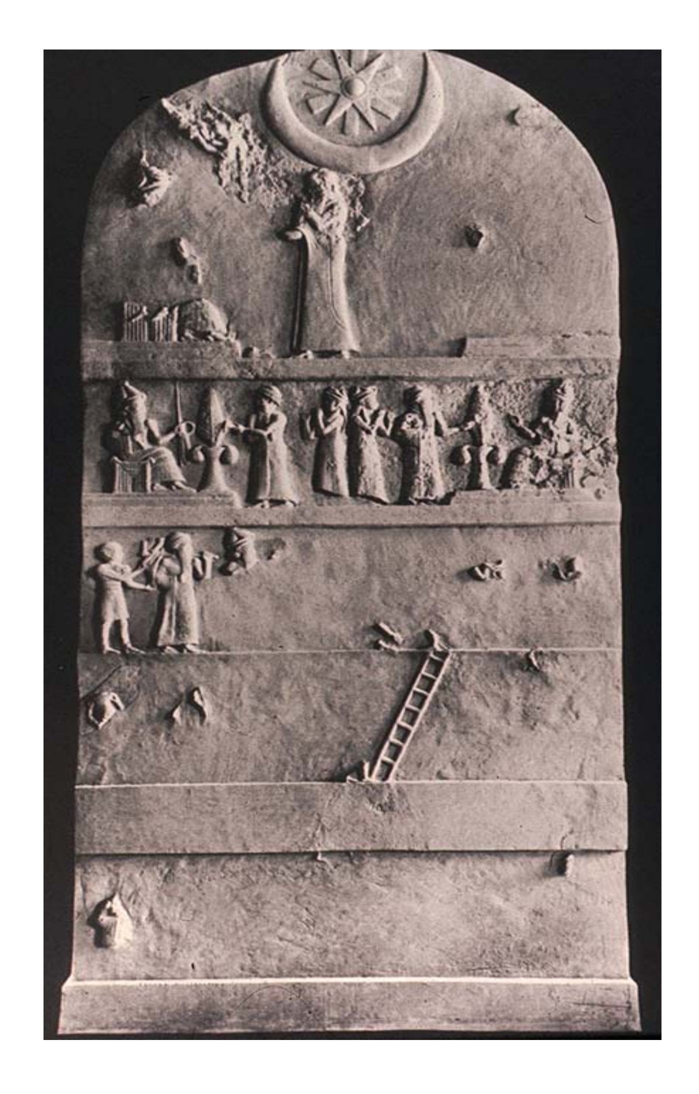
الملحق رقم(23): نحت بارز يمثل الإناء النذري للوركاء
www.atlastours.netiraqssur.relief. 19:40-11/01/2009.

الملاحق:

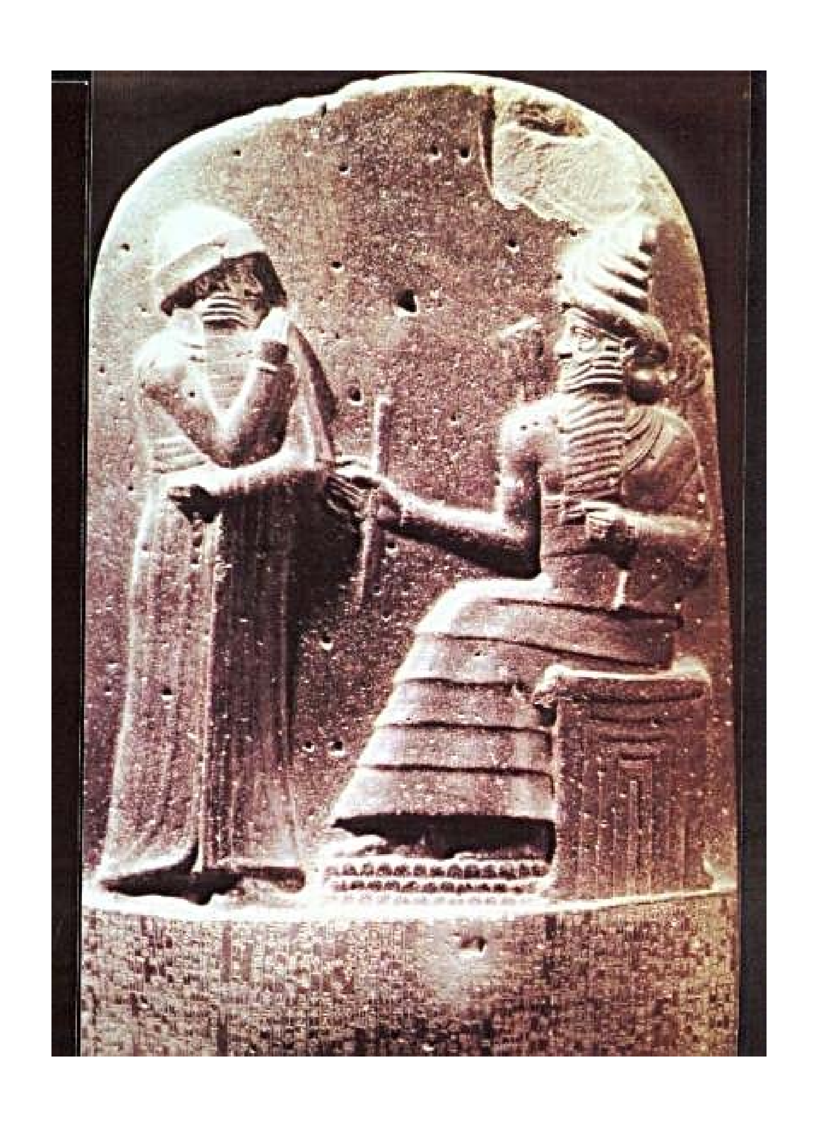


الملحق رقم(24): مسلة النسور-العقبان-

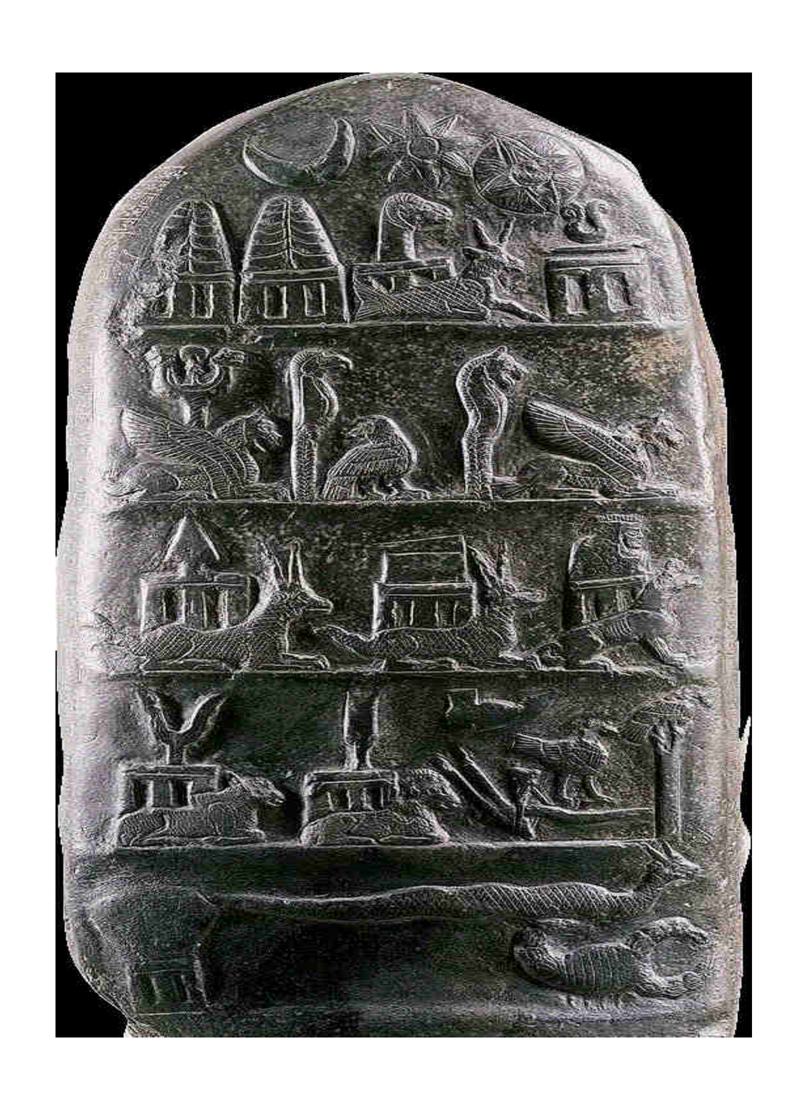
httpupload.wikimedia.orgwikipediacommonsthumb66fStele_
of_Vultures_detail_01a.jpg300px-Stele_of_Vultures_detail_01a.jpg.19:30-
11/01/2009.



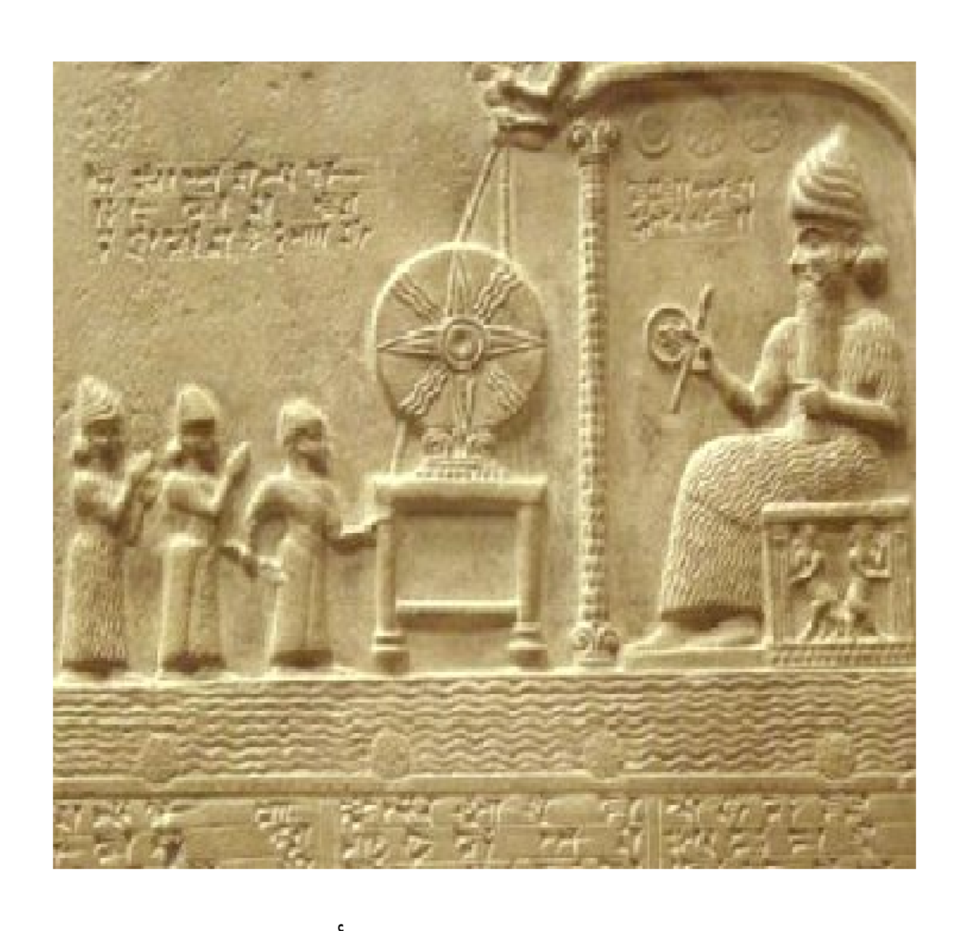
الملحق رقم(25): أورنامو يمثل سكب الماء
www.jesuswalk.comabrahamimagessteele_ur-nammu_larger.
jpg.20 :33-20/09/2008.



الملحق رقم(26): مسلة قانون حمورابي
www.Ancient%20Iraqi.htm. 20:05-11/01/2009.



الملحق رقم(27): نحت بارز يمثل الكودورو الكاشي
www.ezida.comimageskudurru. jpg.20 :30-11/12/2008.



الملحق رقم(28): لوحة سيبار، الملك نابو ابلا أيدين-العصر البابلي الحديث-
www.polissue.com/ub/imgcoche/13783.imgcohe20:10-15/10/2009.



الملحق رقم(29): مجموعة من الأختام الأسطوانية
www.bbc.co.uk. 20:15-15/01/2009.



الملحق رقم(30): خروف يستند على شجرة مزدهرة من الذهب واللازورد
Wiesner Joseph, Op. Cit, p 32.



الملحق رقم(31): القيثارة السومرية
www.iraqgreen.net/moudoules.php ?name=newsafile. 19:30-11/01/2009.

البيبلوغرافيا

قائمة المصادر والمراجع:

1- قائمة المصادر:

أ- المصادر الدينية:

1- القرآن الكريم، عن رواية حفص عن عاصم.

2- الكتاب المقدس (العهد القديم)، تر: مجموعة من علماء اللاهوت، دار الكتاب المقدس، بيروت، 1995.

ب- المصادر الأجنبية التاريخية:

1- Hérodote, **Histoires**, Livre I, traduit par : Legrand, Les belles lettres, paris, 1936.

2- Strabon, **la géographie de Strabon**, livre XVI, trad par: Amédée, Hachette, paris, 1980.

2- قائمة المراجع:

أ- العربية:

1- أمهز محمود، **محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية, بيروت, 1972.

2- باشا حسن, **الفنون القديمة في بلاد الرافدين**, مكتبة الدار العربية للكتاب, مصر, 2000.

3- باقر طه, **مقدمة في أدب العراق القديم**, دار الحرية, بغداد, 1976.

4- باقر طه، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة -تاريخ العراق القديم-**، ط2، دار المعلمين العالمية، بغداد، 1955.

5- باقر طه، **موجز في تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة والحضارة العربية الإسلامية**، جامعة بغداد، بغداد، 1980.

6- الجميلي عامر، **الكاتب في بلاد الرافدين القديمة**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005.

7- حاطوم نور الدين وآخرون، **موجز تاريخ الحضارة**، ج1، مطبعة الكمال، مصر، 1965.

8- حداد جورج, **تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته**, ج1, مطبعة جامعة دمشق, دمشق, 1959.

9- حربي عباس عطيتو، حسان حلاق، **العلوم عند العرب أصولها وملامحها الحضارية**، دار النهضة العربية، بيروت، 1995.

10- حسب ا سيد, محمد جلال غندورة, **تاريخ الكتب والمكتبات عبر الحضارات الإنسانية**, دار المريخ, الرياض, 1996.

11- حلمي محروس إسماعيل، **الشرق العربي القديم وحضارته-بلاد ما بين النهرين والجزيرة العربية**-مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997.

12- الحوراني يوسف, **الإنسان والحضارة- مدخل دراسة-,** منشورات دار مكتبة الحياة, بيروت, (د.ت).

13- خليفة محمد حسن, **رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى وحضارته,** دار قباء, القاهرة, 1998.

14- خنفر يوسف, **فنون الزخرفة والأثاث عبر العصور**, دار راتب الجامعية, بيروت, 2000.

15- الخوري موسى ديب، **قصة الأرقام عبر حضارات الشرق القديم-دراسة تاريخية-** منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2002.

16- دروزة محمد عزة، **تاريخ موجات الجنس العربي ومآثرها في العراق قبل العروبة الصريحة**، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت).

17- دلو برهان الدين، **حضارة مصر والعراق**، دار الفارابي، بيروت، 1989.

18- الذنون عبد الحكيم, **التشريعات البابلية**, دار علاء الدين, دمشق, 1992.

19- الذنون عبد الحكيم, **الذاكرة الأولى- دراسة في التاريخ السياسي والحضاري القديم لبلاد الرافدين-** ط2, دار المعرفة, (د.م)، 1993.

20- رزقانة إبراهيم أحمد وآخرون, **حضارة مصر والشرق القديم**, دار مصر للطباعة, مصر, (د.ت).

21- زايد عبد الحميد، **الشرق الخالد-مقدمة في تاريخ حضارة الشرق الأدنى من العصور حتى عام 323 ق.م**، دار النهضة العربية، بيروت، 1969.

22- سامي سعيد الأحمد، **السومريون وتراثهم الحضاري**، مطبعة الجامعة، بغداد، 1975.

23- سامي سعيد الأحمد، **المعتقدات الدينية في العراق القديم**، دار المنشورات الثقافية، العراق، 1988.

24- سعد ا محمد علي, **دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم-العراق-سوريا-آسيا الصغرى-دراسة تاريخية وحضارية**, دار المعرفة الجامعية, (د.م), 2003.

25- سعيد إسماعيل علي, **التربية في حضارات الشرق القديم**, عالم الكتب, القاهرة, 1995.

26- سليم أحمد أمين، **دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم-العراق، إيران**-دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996.

27- سليم أحمد أمين، **العصور الحجرية وما قبل الأسرات في مصر والشرق الأدنى القديم**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000.

28- سليمان توفيق، **دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة من أقدم العصور إلى عام 1190ق.م- الشرق الأدنى القديم "بلاد ما بين النهرين، بلاد الشام"**- دار دمشق، دمشق، 1985.

29- السواح فراس, **مغامرة العقل الأولى-دراسة في الأسطورة-** سوريا وبلاد الرافدين, ط11, دار علاء الدين, دمشق, 1996.

30- سوسة أحمد، **تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية المكتشفات الأثارية والمصادر التاريخية**، ج1، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1983.

31- سوسة أحمد, **حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور**, وزارة الإعلام, بغداد, 1979.

32- سوسة أحمد، **العرب واليهود في التاريخ-حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية-** ط7، العربي للطباعة والنشر، دمشق، (د.ت).

33- الشاروني صبحي، **فن النحت في مصر القديمة وبلاد ما بين النهرين**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1993.

34- شهلا ايلي منيف، **قصة التنبؤ بالغيب عبر التاريخ**، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1999.

35- الشواف قاسم، **ديوان الأساطير-سومر وأكاد وأشور**-الكتاب الأول+الثاني، دار الساقي، بيروت، 1996-1997.

36- صالح عبد العزيز، **الشرق الأدنى القديم**, الكتاب الثاني, ط2, مكتبة الأنجلو المصرية, القاهرة, 1973.

37- صالح لمعي مصطفى, **عمارة الحضارات القديمة المصرية, ما بين النهرين, اليونانية, الرومانية**, دار النهضة العربية, بيروت, 1979.

38- صبحي أنور رشيد، **تاريخ الآلات الموسيقية في العراق القديم**، المؤسسة التجارية للطباعة والنشر، بيروت، 1971.

39- الطعان عبد الرضا, **الفكر السياسي في العراق القديم**, دار الخلود للنشر والتوزيع، بيروت، 1981.

40- عبد الجواد توفيق حمد, **تاريخ العمارة والفنون عبر العصور الأولى**، ج1، ط2، (د.ن)، 1970.

41- عبد الحي عمر محمد صبحي, **الفكر السياسي وأساطير الشرق الأدنى القديم-بلاد مابين النهرين ومصر**, المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع, مصر, 1998.

42- عبد ا فيصل، عيد مرعي، **المدخل إلى تاريخ الحضارة**، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 2000.

43- عبد المعطي محمد، راوية عبد المنعم جلاس، **الحس الجمالي وتاريخ التذوق الفني عبر العصور**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003.

44- عبد الوهاب حميد رشيد، **حضارة وادي الرافدين-ميزوبوتاميا**-دار الثقافة، دمشق، 2004.

45- عكاشة ثروت, **الفن العراقي -سومر وبابل وآشور**-, مطبعة فينيقيا, بيروت, (د.ت).

46- علام نعمت إسماعيل، **فنون الشرق الأوسط والعالم القديم**، ط6، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

47- العلوجي عبد الحميد، **تاريخ الطب العراقي**، مطبعة أسعد، بغداد،1967.

48- فارس شمس الدين، سلمان عيسى الخطاط، **تاريخ الفن القديم**، دار المعرفة، (د.م)، 1980.

49- فاضل عبد الواحد علي وآخرون, **جوانب من حضارة العراق, العراق في التاريخ**, دار الحرية, بغداد, 1983.

50- فاضل عبد الواحد علي, **الطوفان في المراجع المسمارية**, جامعة بغداد, 1975.

51- فاضل عبد الواحد علي, **سومر أسطورة وملحمة**, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد, 1997.

52- فاضل عبد الواحد علي، عامر سليمان، **تاريخ العراق القديم**، ج2، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، 1980.

53- فاضل عبد الواحد علي، **من سومر إلى التوراة**، ط2، سيا للنشر، مصر، 1996.

54- فرح نعيم، **موجز تاريخ الشرق الأدنى السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي**، دار الفكر، (د.م)، 1972.

55- فرزات محمد حرب, عيد مرعي، **دول وحضارات الشرق العربي القديم**، ط2, دار طلاس, دمشق, 1994.

56- فروخ عمر، **تاريخ العلوم عند العرب**، دار العلم للملايين، بيروت، 1970.

57- قابلو جباغ، **تاريخ الحضارة العربية القديمة**، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 1999.

58- قادوس عزت زكي حامد، **تاريخ عام الفنون**، مطبعة الحضري، الإسكندرية، 2001.

59- قاشا سهيل, **أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية**، بيسان للنشر والتوزيع، سوريا، 2003.

60- قبيلة المالكي، **تاريخ العمارة عبر العصور**، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، 2007.

61- كارم محمود عزيز, **أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم**, دار الحصاد, دمشق, 1999.

62- كوركيس عواد, **خزائن الكتب القديمة في العراق القديم من أقدم العصور حتى 1000هـ**,دار الرائد العربي, بيروت, 1986.

63- الماجدي خزعل، **بخور الآلهة، دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين**، دار الأهلية، لبنان، 1998.

64- الماجدي خزعل، **متون سومر**، الكتاب الأول، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 1998.

65- الماجدي خزعل, **ميثيولوجيا الخلود- دراسة في أسطورة الخلود قبل الموت وبعده في الحضارات القديمة**- الأهلية للنشر والتوزيع, عمان, 2002.

66- مجاهد عماد، **التنجيم بين العلم والدين والخرافة**، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، الأردن، 1998.

67- محفل محمد, **تاريخ العمارة**, ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر, (د.ت).

68- مهران محمد بيومي, **حضارات الشرق الأدنى القديم –الحياة السياسية والاقتصادية والتشريعية**-ج2, دار المعرفة الجامعية, مصر, 1999.

69- مهران محمد بيومي**, دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**, ج4, ط2, دار النهضة العربية, بيروت, 1988.

70- الناضوري رشيد، **المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا**-الكتاب الأول- دار النهضة العربية، بيروت، 1969.

71- نجيب ميخائيل إبراهيم، **مصر والشرق الأدنى القديم-حضارات الشرق القديم العراق وفارس**-ج6، دار المعارف، لبنان، 1967.

72- نخبة من الباحثين العراقيين، **حضارة العراق**، ج1+2+3+4، دار الحرية، بغداد، 1985.

73- نظمي محمد عزيز سالم، **قراءات في علم الجمال حول الإستطيقا النظرية والتطبيقية -الفن بين الدين والأخلاق**- ج1، دار المعارف، مصر، 1996.

74- الهاشمي جواد, **نظام العائلة في العهد البابلي القديم**, منشورات مكتبة الأندلس, بغداد, 1971.

75- الهاشمي طه, تاريخ الأديان وفلسفتها, دار مكتبة الحياة, بيروت, 1963.

76- هاني عبد الرحيم إبراهيم, **تاريخ الكتابة والمكتبات وأوعية المعلومات**, مركز الإسكندرية للكتاب, الإسكندرية, 2006.

ب- المترجمة إلى العربية:

1- ا.ج إيفانر، **هيرودوت**، تر: أمين سلامة، مر: كمال الملاخ، الدار القومية للطباعة والنشر، (د.ت).

2- ايج.اي.ايل, **قصة الحضارة في سومر وبابل**, تر: عطا بكري, مطبعة الإرشاد, بغداد, 1971.

3- أيمار اندريه, جانين أوبوايه، **الشرق واليونان القديمة**، تر: فريد م.داغر، فؤاد ج.ابوريحان، ط2، منشورات عويدات، بيروت، 1981.

4- برغسون هنري، **منبعا الأخلاق والدين**، تر: سامي الدروبي، عبد ا عبد الدائم، الهيئة المصرية للتألف والنشر، مصر، 1971.

5- توينبي أرنولد، **تاريخ البشرية**، ج1، تر: نقولا زيادة، ط3، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1985.

6- ثوركليد جاكوبسن وآخرون, **ما قبل الفلسفة, الإنسان في مغامرته الفكرية الأولى**, تر: جبرا إبراهيم جاد, مر: محمود الأمين, مكتبة الحياة, بغداد, 1960.

7- حتي فيليب، موجز تاريخ الشرق الأدنى، تر: أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، 1965.

8- زودن.ف.فون، **مدخل إلى حضارات الشرق القديم**، تر: فاروق إسماعيل, دار الثقافة للنشر والتوزيع، سوريا، 2003

9- سارتون جورج, **تاريخ العلم**, ج1, تر: محمد خلف ا وآخرون, دار المعارف, مصر, (د.ت).

10- سبتينو موسكاتي, **الحضارات السامية القديمة**, تر: السيد يعقوب, الهيئة المصرية للكتاب, مصر,1997.

11- فرانكفورت هنري, **فجر الحضارة في الشرق الأدنى**, تر: ميخائيل خوري, ط2, منشورات دار مكتبة الحياة, بيروت, 1950.

12- كريمر صموئيل نوح, **الأساطير السومرية- دراسة في المنجزات الروحية والأدبية في الألف الثالث ق.م** – تر: يوسف داود عبد القادر, مطبعة المعارف, بغداد, 1971.

13- كريمر صموئيل نوح, **أساطير العالم القديم**, تر: أحمد عبد الحميد يوسف, مر: عبد المنعم أبو بكر, الهيئة المصرية العامة للكتاب, مصر, 1974.

14- كريمر صمويل نوح، **من ألواح سومر**، تر: طه باقر، مر: أحمد فخري، مكتبة المثني، بغداد، (د،ت).

15- كلكشوف، **الحياة الروحية في بابل- الإنسان، المصير، الزمن**- تر: عدنان عاكف حمودي، منشورات المدى، دمشق، 1995.

16- لويد سيكون، **آثار بلاد الرافدين**، تر: سامي سعيد الأحمد، دار الرشيد للنشر، العراق، 1980.

17- مورتكات أنطوان, **الفن في العراق القديم**، تر: عيسى سلمان، طه التكريتي، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد، 1975.

18- مورتكات أنطوان، **تاريخ الشرق الأدنى القديم**، تر: توفيق سليمان، مطبعة الإنشاء، دمشق، 1967.

19- هيغل، **فكرة الجمال**، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1981.

20- ول وايريل ديورانت, **قصة الحضارة-نشأة الحضارة-** ج1، تر: زكي نجيب محمود، تق: محي الدين صابر، دار الجيل للطباعة والنشر،بيروت، 1981.

21- ويلز هـ.ج, **موجز تاريخ العالم**, ج1, تر: عبد العزيز توفيق جويد, الهيئة المصرية العامة للكتب, 2003.

جـ - الأجنبية:

1- Arnaud Daniel, **Le proche orient ancien de l'invention de L'écriture a l'hellénisation,** collection études supérieures, bordas, France, 1970.
2- Contenau George, **La vie Qoutidienne a Babylone et en Assyrie**, Hachette, Paris, 1950.
3- Contenau George, **Les Civilisations Ancienne de Proche- Orient**, P U F, Paris, 1945.
4-Delaporte. L, **La mésopotamie,-Les Civilisation Babylonienne et Assyrienne-** La renaissance du Livre, Paris, 1923.
5- Dhrome Edouard, **Les Religion De Babylonie Et D'assyrie**, 2ed, PUF, paris, 1949.
6- Fisther Hugo, **L'aube de la Civilisation Egypte et Mésopotamie,** Payot, paris, 1964.
7- Garelli Paul, **Le Proche Orient Asiatique**, PUF, Paris, 1969.
8- Kramer Sameul Noah, **Le monde commence a Sumer,** Arthaud, France 1957.
9-Maspero, **Histoire de l'orient**, Hachette, paris, 1891.
10- Oppenheim Léo, **La Mésopotamie -Portrait d'une Civilisation**- allimard, France, 1970.
11- Philibert Myriam, **Dictionnaire Des Mythologies**, Brobar a Taupin, France, 2002.
12- Roux George, **La Mésopotamie**, Seuil, Paris, 1995.
13- Rutten Marguerite, **Babylone**, PUF, Paris, 1958.
14- Rutten Margueriten, **La Science des Chaldéens**, PUF, France, 1960.
15-Thoorens Léon, **Panorama des Littératures- Mésopotamie, Egypte, Palastine, Perse, Gréce**- Marabout Université, Belgique, 1966.
16- Wiesner Joseph, **L'orient Ancien**, Payot, Paris, (s.d).

د- الموسوعات:

1- أبو شقرا سامي، **موسوعة الأديان**، ج1، دار الاختصاص للنشر، بيروت، 1989.
2-ٍ أديب سمير, **موسوعة الحضارة المصرية القديمة**, العربي للنشر والتوزيع, القاهرة, 2000.
3- حماد حسين فهد، **موسوعة الآثار التاريخية**، دار أسامة، عمان، 2003.
4- السواح فراس، **موسوعة تاريخ الإنسان-دين الإنسان**-الكتاب الثاني، دار علاء الدين، دمشق، 2004.
5- سعفان كامل، **موسوعة الأديان القديمة-معتقدات أسيوية**- دار الندى، مصر، 1989.
6- العربي محمد, **موسوعة الأديان السماوية والوضعية-الديانات الوضعية المفترضة**- دار الفكر اللبناني, بيروت, 1995.

البيبلوغرافيا:

7- غربال محمد شفيق, **الموسوعة العربية الميسرة**, الدار القومية للطباعة, مصر, 1965.

8- كوتريل ليونارد، **الموسوعة الأثرية العالمية**, تر: محمد عبد القادر محمد, زكي اسكندر, ط2, الهيئة المصرية للكتاب, مصر, 1997.

9- مدبك جميل، **الديانات القديمة**، دار كريبس، بيروت، 2001.

10- نعمة حسين، **موسوعة الأديان السماوية الوضعية-ميثولوجية وأساطير الشعوب القديمة**-ج2، دار الفكر اللبناني، 1994.

و- الدوريات:

1- بارندر جفري، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، تر: إمام عبد الفتاح إمام، مر: عبد الغفار مكاوي، سلسلة عالم المعرفة، العدد 173، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993.

2- باقر طه، معابد العراق القديم، مجلة سومر، المجلد03، ج1+2، مديرية الآثار العامة بغداد، 1947.

3- الجابري علي حسين، مفهوم "الزمان" في فكر الرافدين بين الفلك والرياضيات، مجلة سومر، المجلد 39، ج1+2، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد، 1983.

4- حنون نائل، شخصية الأم ودور الآلهة انانا عشتار، مجلة سومر، المجلد34، ج1+2، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد، 1978.

5- رينيه لابات، الطب البابلي الآشوري، تر: وليد الجادر، مجلة سومر، المجلد24، ج1+2، مديرية الآثار، بغداد، 1968.

6- سامي سعيد الأحمد، الطب العراقي القديم، مجلة سومر، المجلد30، ج1+2 مديرية الآثار، بغداد، 1974.

7- سامي سعيد الأحمد، العراق في كتابات اليونان والرومان، مجلة سومر، المجلد 26، ج1+2، مديرية الآثار، بغداد، 1970.

8- فاضل عبد الواحد علي، عشتار وتموز وجذور المعتقدات الخاصة بهما في حضارة وادي الرافدين، مجلة سومر، المجلد29، ج1+2، المديرية العامة للآثار، بغداد، 1973.

9- الوائلي فيصل, من أدب العراق-ترانيم وأدعية سومرية وأكدية- مجلة سومر, المجلد 20, ج1+2 مديرية الآثار, بغداد .1964.

10- الوائلي فيصل, من أدب العراق, مجلة سومر, المجلد 19, ج1+2 مديرية الآثار, بغداد, 1963.

11- الوائلي فيصل، من أدب سومر، مجلة سومر، المجلد21، ج1+2 مديرية الآثار، بغداد، 1965.

هـ - المواقع الالكترونية:

1-http//dierzzor.rofnetgov.sy/images/mari.09:02-12/08/2008.
2-http//images.encarta.msn.comxrefmediasharemedt.argetsimagesphoto0 4550458601.jtn.12:20-15/01/2009.
3-http//nadi.alkahf.comview-uploader.phpodo=get&id=1660. 22:30-08/11/2008.
4-http//upload.wikimedia.orgwikipediacommonsthumb66fSteleof_Vultures_detail _01a.jpg300px-Stele_of_Vultures_detail_01a.jpg.19:30-11/01/2009.
5-www.al-sham.net/yabbse/index.php.19:30-11/01/2009.
6-www. ancient iraq.net.22:30-10/09/2008
7-www.Ancient%20Iraqi.htm10:15-10/01/2009.
8-www.Ancient%20Iraqi.htm. 20:05-11/01/2009.
9-www.antikforever.comMesopotamieAmorritesImageslarsa01b.jpg.23:20-11/12/2008.
10-www.arab-encif.com.19:30-11/01/2009.
11-www.atlastours.netiraqssur.relief. 19:40-11/01/2009.
12-www.bbc.co.uk. 20:15-15/01/2009.
13-www.britishmuseum.org. 22:15-08/11/2008.
14-www.ezida.comimageskudurru.jpg.20 :30-11/12/2008.
15-www.foibiblique.frarticlesbiblePhotostabl_gilgamesh.gif. 14 :50-15/01/2009
16-www.iranain.comhistory2005marshgutiansimageziggurat-ur-recona.22:55-08/11/2008.
17-www.iraqgreen.net/moudoules.php ?name=newsafile. 19:30-11/01/2009.
18-www.iraqwho.comArchaeologicalSitemeso_map_ar.gif.14 :40-15/01/2009.
19-www.lovely0smile.com2006atat-011-03.22:05-08/11/2008.
20-www.jahwary.com/amj/files/hutric-iraq. 19:33-11/01/2009.
21-www.jesuswalk.comabrahamimagessteele_urnammu_larger.jpg .20 :33-20/09/2008.
22-www.kemetway.comDigestimgphotoziggurat1.jpg. 20 :00-5/01/2009.
23-www.mesopotamia4374.comadad2alanthafi_bestandenimage002. jpg.14 :45- 15/01/2009.

24-www.m3mary.com.23:03-08/11/2008.
25-www.polissue.com/ub/imgcoche/13783.imgcohe20:10-15/10/2009.
26-www.wikipedia.org.wiki/31-12:30-05/08/2008.
27-www.wikipedia.org/wiki104-12:32-05/08/2008.
28-www.wikipedia.org/wiki64-12:35-05/08/2008.

الفهارس

1- فهرس الآلهة

-أ-

الفهارس:

2- فهرس الأماكن والمدن

-أ-

-ب-

الفهارس:

الفهارس:

الفهارس:

3- فهرس الأعلام (الأشخاص)

-أ-

-ي-

4- فهرس الشعوب والقبائل

-أ-

-ب-

-ح-

-ك-

-م-

-هـ-

-ي-

فهرس المحتوى

فهرس المحتوى:

فهرس المحتوى:

فهرس المحتوى: